ونظيره كان زياد على البصرة اي واليا عليها ومنه قولهم فلانة تحت فلان ومن ثمة سميت المراة فرشا والمعنى انهم لفروجهم حافظون في كافة الاحوال الا في حال
تزوجهم او تسريهم او تعلق على محذوف يدل عليه غير ملومين كانه قيل يلامون الا على ازواجهم اي يلامون على كل مباشرة الا على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين عليه
فان قلت هلا قيل من ملكت قلت لانه اريد من جنس العقلاء ما يجري مجرى غير العقلاء وهم الاناث جعل المستثنى حدا اوجب الوقوف عنده ثم قال فمن احدث
ابتغا وراء هذا الحد مع فسحته واتساعه وهو اباحة اربع من الحراير ومن الاما ما شئت فاولئك هم الكاملون في العدوان المتناهون فيه فان قلت هل فيه
دليل على تحريم المتعة قلت لا لان المنكوحة نكاح المتعة من جملة الازواج اذا صح النكاح وقري لاماناتهم سمي الشي الموتمن عليه والمعاهد عليه امانة وعهدا ومنه
قوله تعالى ان الله يامركم ان تودوا الامانات الى اهلها وقال وتخونوا اماناتكم وانما يودي العيون لا المعاني ويخان الموتمن عليه لا الامانة في نفسها
والراعي القايم على الشي بحفظ واصلاح كراعي الغنم وراعي الرعية ويقال من راعي هذا الشي اي متوليه وصاحبه ويحتمل العموم في كل شي ما ايتمنوا عليه
وعوهدوا من جهة الله عز وجل ومن جهة الخلق والخصوص فيما حملوه من امانات الناس وعهودهم وقري على صلواتهم فان قلت كيف كرر ذكر الصلوة اولا
واخرا قلت هما ذكران مختلفان فليس بتكرير وصفوا اولا بالخشوع في صلوتهم واخرا بالمحافظة عليها وذلك ان لا يسهوا عنها ويودوها في اوقاتها ويقيموا
اركانها ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام بها وبما ينبغي ان يتم به اوصافها وايضا فقد وحدت اولا لتفاد الخشوع في جنس الصلوة اي صلوة كانت وجمعت اخرا لتفاد
المحافظة على اعدادها وهي الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبة مع كل صلوة وصلوة الجمعة والعيدين والجنازة والاستسقا والكسوف والخسوف وصلوة الضحى
والتهجد وصلوة التسبيح وصلوة الحاجة وغيرها من النوافل اي اولئك الجامعون لهذه الاوصاف هم الوارثون الاحقا بان يسموا وراثا دون من عداهم ثم
ترجم الوارثين بقوله الذين يرثون الفردوس فجا بفخامة وجزالة لارثهم لا يخفى على الناظر ومعنى الارث ما مر في سورة مريم انث الفردوس على تاويل
الجنة وهو البستان الجامع لاصناف الثمر روي ان الله تعالى بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل حايطها المسك الاذفر وفي رواية ولبنة من
مسك مذري وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان السلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر وفعالة بنا للقلة كالقلامة والقمامة وعن الحسن
ما بين ظهراني الطين فان قلت ما الفرق بين من ومن قلت الاول للابتدا والثاني للبيان كقوله من الاوثان فان قلت ما معنى جعلنا الانسان نطفة
قلت معناه انه خلق جوهر الانسان اولا طينا ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة القرار المستقر والمراد الرحم وصفت بالمكانة التي هي صفة المستقر فيها كقولك
طريق ساير او لمكانتها في نفسها لانها مكنت بحيث هي واحرزت قري عظما فكسونا العظم وعظاما وضع الواحد مكان الجمع لزوال اللبس لان الانسان ذو
عظام كثيرة خلقا اخر مباينا للخلق الاول مباينة ما ابعدها حيث جعل حيوانا وكان جمادا وناطقا وكان ابكم وسميعا وكان اصم وبصيرا وكان اكمه واودع
باطنه وظاهره بل كل عضو من اعضايه وكل جزو من اجزايه عجايب فطرة وغرايب حكمة لا يدرك بوصف الواصف ولا يبلغ بشرح الشارح وقد احتج به ابو حنيفة
فيمن غصب بيضة فافرخت عنده قال يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق اخر سوى البيضة فتبارك الله فتعالى امره في قدرته وعلمه احسن الخالقين المقدرين
تقديرا فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه ونحوه طرح الماذون فيه في قوله اذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة وروي عن عمر رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ قوله خلقا اخر قال فتبارك الله احسن الخالقين وروي ان عبد الله بن سعيد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله فنطق بذلك قبل
املايه فقال له رسول الله اكتب هكذا نزلت فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبي يوحى الي فلحق بمكة كافرا ثم اسلم يوم الفتح قراه ابن ابي عبلة
وابن محيصن لمايتون والفرق بين الميت والمايت ان الميت كالحي صفة ثابتة واما المايت فيدل على الحدوث تقول زيد مايت الان ومايت غدا كقولك يموت ونحوهما
ضيق وضايق في قوله تعالى وضايق به صدرك جعل الاماتة التي هي اعدام الحيوة والبعث الذي هو اعادة ما يفنيه ويعدمه دليلين ايضا على اقتدار عظيم
بعد الانشا والاختراع فان قلت لا حيوة الا حيوة الانشا وحيوة البعث قلت ليس في ذكر الحيوتين نفي الثالثة وهي حيوة القبر كما لو ذكرت ثلثي ما عندك
وطويت ذكر ثلثه لم يكن دليلا على ان الثلث ليس عندك وايضا فالغرض ذكر هذه الاجناس الثلثة الانشا والاماتة والاعادة والمطوي ذكرها من جنس
الاعادة الطرايق السموات لانه طورق بعضها فوق بعض كطارقة النعل وكل شي فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرق الملايكة ومتقلباتهم وقيل الافلاك

لانها طرايق الكواكب فيها مسيرها اراد بالخلق السموات كانه قال خلقناها فوقهم وما كنا عنها غافلين عن حفظها وامساكها ان تقع فوقهم بقدرتنا او اراد به
الناس وانه انما خلقها فوقهم ليفتح عليهم الارزاق والبركات منها وينفعهم بانواع منافعها وما كان غافلا عنهم وما يصلحهم بقدر بتقدير يسلمون معه من المضرة
ويصلون الى المنفعة او بمقدار ما علمنا من حاجاتهم ومصالحهم فاسكناه في الارض كقوله فسلكه ينابيع في الارض وقيل جعلناه ثابتا في الارض وقيل انها
خمسة انهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل نهر مصر انزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال واجراها
في الارض وجعل فيها منافع للناس في اصناف معايشهم وكما قدر على انزاله قادر على رفعه وازالته وقوله على ذهاب به من اوقع النكرات واحزها للمفصل والمعنى
على وجه من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه وفيه ايذان باقتدار المذهب وانه لا يتعايا عليه شي اذا اراده وهو ابلغ في الايعاد من قوله قل ارايتم ان اصبح
ماؤكم غورا فمن ياتيكم بما معين فعلى العباد ان يستعظموا النعمة في الما ويقيدوها بالشكر الدايم ويخافوا نفادها اذا لم يشكروا وخص هذه الانواع الثلثة لانها
اكرم الشجرة وافضلها واجمعها للمنافع ووصف النخل والعنب بان ثمرهما جامع بين امرين انه فاكهة يتفكه بها وطعام يوكل رطبا ويابسا ورطبا وعنبا وتمرا و
زبيبا والزيتون بان دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ جميعا ويجوز ان يكون قوله ومنها تاكلون من قولهم فلان ياكل من حرفة يحترفها ومن صنيعة
يغتلها ومن تجارة يتربح بها يعنون انها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه كانه قال وهذه الجنات وجوه ارزاقكم ومعايشكم منها ترزقون وتتعيشون
وشجرة عطف على جنات وقريت مرفوعة على الابتدا اي ومما انشي لكم شجرة طور سينا وطور سينين لا يخلو اما ان يضاف فيه الطور الى بقعة اسمها سينون وسينا
واما ان يكون اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف اليه كامري القيس وكبعلبك فيمن اضاف فمن كسر سين سينا فقد منع الصرف للتعريف والعجمة او التانيث وفعلا لا يكون
الفه للتانيث كعلبا وحربا ومن فتح فلم يصرف لان الالف للتانيث كصحرا وقيل هو جبل فلسطين وقيل بين مصر وايلة ومنه نودي موسي وقرا الاعمش سينا على
القصر بالدهن في موضع الحال اي تنبت وفيها الدهن وقري ينبت وفيه وجهان احدهما ان انبت بمعنى نبت وانشد لزهير رايت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطينا
لهم حتى اذا انبت البقل والثاني ان مفعوله محذوف اي ينبت زيتونها وفيه الزيت وقري تنبت بضم اليا وفتح البا وحكمه حكم تنبت وقرا ابن مسعود يخرج الدهن
وصبغ للاكلين وغيره يخرج بالدهن وفي حرف ابي تثمر بالدهن وعن بعضهم تنبت بالدهان وقرا الاعمش وصبغا وقري وصباغ ونحوهما دبغ ودباغ والصبغ الغمس
للايتدام وقيل هي شجرة تنبت بعد الطوفان ووصفها الله تعالى بالبركات في قوله توقد من شجرة مباركة وقري تسقيكم بتا مفتوحة اي تسقيكم الانعام ومنها
تاكلون اي يتعلق بها منافع من الركوب والحمل وغير ذلك بما لا يوكل لحمه من البغال والحمير والخيل وفيها منفعة زايدة وهي الاكل الذي هو انتفاع بذواتها و
القصد بالانعام الى الابل لانها هي المحمول عليها في العادة وقرنها بالفلك التي هي السفاين لانها سفاين البر قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدي زمامها
يريد صيدحه غيره بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ والجملة استينا ف تجري مجرى التعليل للامر بالعبادة افلا تتقون افلا تخافون ان ترفضوا
عبادة الله الذي هو ربكم وخالقكم ورازقكم واشكروا نعمه التي لا تحصونها واجب عليكم ان تذهبوا فتعبدوا غيره مما ليس من استحقاق العبادة في شي
ان يتفضل عليكم ان يطلب الفضل عليكم ويراسكم كقوله تعالى وتكون لكما الكبريا في الارض بهذا اشارة الى نوح عليه السلم او الي ما كلمهم من الحث
على عبادته اي ما سمعنا بمثل هذا الكلام او بمثل هذا الذي يدعي وهو بشر انه رسول الله وما اعجب شان الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر وقد رضوا للالهية
بحجر وقولهم ما سمعنا بهذا يدل على انهم وابائهم كانوا في فترة متطاولة او يكذبوا في ذلك لانهماكهم في الغي وتشمرهم لان يدفعوا الحق بما امكنهم وبما عن لهم
من غير تمييز منهم بين صدق وكذب الا تراهم كيف جننوه وقد علموا انه ارجح الناس عقلا واوزنهم قولا والجنة الجنون او الجن اي به جن يخبلونه حتى
حين اي حين احتملوه واصبروا عليه الى زمان حتى ينجلي امره عن عاقبته فان افاق من جنونه والا قتلتموه انصرني اهلكهم فكانه قال اهلكهم بسبب تكذيبهم اياي
وانصرني بدل ما كذبوني كما يقول هذا بذاك اي بدل ذاك ومكانه والمعنى ابدلني من غم تكذيبهم سلوة النصرة عليهم او انصرني بانجاز ما وعدتهم من العذاب وهو
ما كذبوه فيه حين قال لهم اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم باعيننا بحفظنا وكلاتنا كان معه من الله عين كالية حفاظا يكلوه بعيونهم لئلا يتعرض له
ولا يفسد عليه مفسد عمله ومنه قولهم عليه من الله عين كالية ووحينا اي نامرك كيف تصنع ونعلمك روي انه اوحي اليه ان يصنعها على مثال جوجو الطاير

روي انه قيل لنوح اذا رايت الما، تفور من التنور فاركب انت ومن معك في السفينة فلما نبع الما، من التنور اخبرته امراته فركب وقيل كان تنور ادم و
كان من حجارة فصار الي نوح واختلفوا في مكانه فعن الشعبي في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان نوح عمل السفينة وسط المسجد وقيل
بالشام بموضع يقال له عين وردة وقيل بالهند وعن ابن عباس ان التنور وجه الارض وعن قتادة اشرف موضع في الارض اي اعلاه وعن علي رضي الله عنه
فار التنور طلع الفجر وقيل معناه ان نور التنور كان عند تنور الفجر وقيل هو مثل كقولهم حمي الوطيس والقول هو الاول يقال سلك فيه دخله وسلكه غيره
واسلكه قال حتى اذا اسلكوهم في قتايدة من كل زوجين من كل امة زوجين وهما امة الذكر وامة الانثى كالجمال والنوق والحصن والرماك اثنين
واحدين مزدوجين كالجمل والناقة والحصان والرمكة روي انه لم يحمل الا ما تلد وبيض وقري من كل بالتنوين اي من كل امة زوجين واثنين تاكيد وزيادة
بيان جي بعلي مع سبق الضار كما جي باللام مع سبق النافع قال الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ونحوه لها ما
كسبت وعليها ما اكتسبت وقول عمر رضي الله عنه ليتها كانت كفافا لا علي ولا ليا فان قلت لم نهاه عن الدعا لهم بالنجاة قلت لما تضمنت الاية من كونهم ظالمين
وايجاب الحكمة ان يغرقوا لا محالة لما عرف من المصلحة في اغراقهم والمفسدة في استبقايهم وبعد ان املي لهم الدهر المتطاول فلم يزيدوا الا ضلالا ولزمتهم
الحجة البالغة لم يبق الا ان يجعلوا عبرة للمعتبرين ولقد بالغ في ذلك حيث اتبع النهي عنه الامر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم كقوله تعالى فقطع دابر
القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ثم امره ان يدعوه بدعا، هو اهم وانفع لهم وهو طلب ان ينزله في السفينة او في الارض عند خروجه منها منزلا
يبارك له فيه ويعطيه الزيادة في خير الدارين وان يشفع الدعا، بالثنا، عليه المطابق لمسالته وهو قوله وانت خير المنزلين فان قلت هلا قيل فقولوا
لقوله فاذا استويت انت ومن معك لانه في معنى فاذا استويتم قلت لانه نبيهم وامامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه من الاشعار لفضل النبوة واظهار كبريا،
الربوبية وان رتبة تلك المخاطبة لا يترقى اليها الا ملك او نبي وقري منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال كقوله ليدخلنهم مدخلا يرضونه ان هي المخففة من الثقيلة
واللام هي الفارقة بين النافية وبينها والمعنى ان القصة والشان كنا مبتلين اي مصيبين قوم نوح ببلا، عظيم وعقاب شديد او مختبرين بهذه الايات عبادنا لننظر
من يعتبر ويذكر كقوله ولقد تركناها اية فهل من مدكر قرنا اخرين هم عاد قوم هود عن ابن عباس يشهد له حكاية الله قول هود واذكروا اذ جعلكم خلفا من بعد
قوم نوح ومجي قصة هود على اثر قصة نوح في سورة الاعراف وسورة هود والشعرا فان قلت حق ارسل ان يعدى بالي كاخواته التي هي وجه وانفذ وبعث فما
باله عدي في القران بالي تارة وبفي اخرى كقوله كذلك ارسلناك في امة وما ارسلنا في قرية من نذير فارسلنا فيهم رسولا اي في عاد وفي موضع اخر والي عاد
اخاهم هودا قلت لم يعد بفي كما عدي بالي ولم يجعل صلة مثله ولكن الامة والقرية جعلت موضعا للارسال كما قال روبة ارسلت فيها مصعبا ذا اقحام وقد
جا بعث على ذلك في قوله ولو شينا لبعثنا في كل قرية نذيرا ان مفسرة لارسلنا اي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله فان قلت ذكر مقالة قوم هود في
جوابه في سورة الاعراف وسورة هود بغير واو قال الملا الذين كفروا من قومه انا لنريك في سفاهة قالوا ما نريك الا بشرا مثلنا وههنا مع الواو فاي فرق
بينهما قلت الذي بغير واو على تقدير سوال سايل قال فما قال قومه فقيل له قالوا كيت وكيت واما الذي مع الواو فعطف لما قالوه على ما قاله ومعناه انه اجتمع
في الحصول هذا الحق وهذا الباطل وشتان ما هما بلقا، الاخرة بلقا، ما فيها من الحساب والثواب والعقاب كقولك يا حبذا جوار مكة اي جوار الله في مكة حذف الضمير
والمعنى من مشروبكم او حذف لدلالة ما قبله عليه اذن واقع في جزا، الشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم اي تخسرون عقولكم وتغبنون في ارايكم ثني انكم للتوكيد
وحسن ذلك لفصل ما بين الاول والثاني في الظرف ومخرجون خبر عن الاول او جعل انكم مخرجون مبتدا، واذا متم خبرا على معنى اخراجكم اذا متم ثم اخبر بالجملة عن انكم
او رفع انكم مخرجون بفعل هو جزا، للشرط كانه قيل اذا متم وقع اخراجكم ثم اوقعت الجملة الشرطية خبرا عن انكم وفي قراة عبد الله بن مسعود ايعدكم اذا متم قري هيهات
بالفتح والكسر والضم بتنوين وبلا تنوين وبالسكون على لفظ الوقف فان قلت ما توعدون هو المستبعد ومن حقه ان يرتفع بهيهات كما ارتفع في قوله فهيهات
هيهات العقيق واهله فما هذه اللام قلت قال الزجاج في تفسيره البعد لما توعدون او بعد لما توعدون فيمن نون فنزله منزلة المصدر وفيه وجه اخر وهو
ان يكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جات اللام في هيت لك لبيان المهيت له هذا ضمير لا يعلم ما يعنى به الا بما يتلوه من بيانه واصله

ان الحيوة الا حيوتنا الدنيا ثم هي موضع الحيوة لان الخبر يدل عليها ويبينها ومنه هي النفس تحمل ما حملت وهي العرب تقول ما شاءت والمعنى لا حيوة الا هذه الحيوة
لان ان النافية دخلت على هي التي في معنى الحيوة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت لا التي تنفي ما بعدها نفي الجنس نموت ونحيا اي يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن ويأتي
قرن اخر ثم قالوا ما هو الا مفتر على الله فيما يدعيه من استنبائه له وفيما يعدنا من البعث وما نحن بمصدقين قليل صفة للزمان كقديم وحديث في قولك ما رايته قديما
ولا حديثا وفي معناه عن قريب وما توكيد لمعنى قلة المدة وقصرها الصيحة جبريل صاح عليهم فدمرهم بالحق بالوجوب لانهم قد استوجبوا الهلاك او بالعدل من الله
من قولك فلان يقضي بالحق اذا كان عادلا في قضاياه شبههم في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلي واسود من الورق والعيدان ومنه قوله تعالى فجعله
غثاء احوى وقد جاء مشددا في قول امرئ القيس من السيل والغثاء فلكة مغزل بعدا وسحقا ودفرا ونحوها مصادر موضوعة مواضع افعالها وهي من الجملة التي
قال سيبويه نصبت بافعال لا يستعمل اظهارها ومعنى بعدا بعدوا اي هلكوا يقال بَعِد بعدا نحو رشد رشدا ورشدا وللقوم الظالمين بيان لمن دعي عليه
بالبعد نحو هيت لك ولما توعدون قرونا قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم وعن ابن عباس بني اسرائيل اجلها الوقت الذي حد لهلاكها وكتب تترى فعلى
الالف للتانيث لان الرسل جماعة وقرئ تترًا بالتنوين والتاء بدل من الواو كما في تولج ويتقوى اي متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد اضاف
الرسل اليه والى اممهم ولقد جاءت رسلنا بالبينات لان الاضافة تكون بالملابسة والرسول يلابس المرسل والمرسل اليه جميعا فاتبعنا الامم والقرون
بعضهم بعضا في الهلاك وجعلناهم احاديث اخبارا يسمر بها ويتعجب منها والاحاديث يكون اسم جمع للحديث ومنه احاديث رسول الله وتكون جمعا للاحدوثة
التي هي مثل الاضحوكة والالعوبة والاعجوبة وهي ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا وهو المراد ها هنا فان قلت ما المراد بالسلطان المبين قلت يجوز
ان يراد العصا لانها كانت ام ايات موسى واولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها حية وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون
من الحجر بضربهما بها وكونها حارسا وشمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشاء جعلت كانها ليست بعضها لما استبدت به من الفضل فلذلك عطفت عليها كقوله تعالى
وجبريل ويجوز ان يراد بها الايات انفسها اي هي ايات وحجة بينة عالين متكبرين ان فرعون علا في الارض لا يريدون علوا في الارض او متطاولين على الناس
قاهرين بالبغي والظلم البشر يكون واحدا وجمعا بشرا سويا لبشرين فاما ترين من البشر ومثل وغير يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث انكم اذا مثلهم
ومن الارض مثلهن ويقال ايضا هما مثلاه وهم امثاله ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم وقومهما يعني بني اسرائيل كانهم يعبدوننا خضوعا وتذللا
او لانه كان يدعي الالهية فادعى للناس العبادة وان طاعتهم له عبادة على الحقيقة وموسى الكتاب اي قوم موسى التورية لعلهم يعملون بشرائعها ومواعظها
كما قال على خوف من فرعون وملائهم يريد ال فرعون وكما يقولون هاشم وثقيف وتميم ويراد قومهم ولا يجوز ان يرجع الضمير في لعلهم الى فرعون وملائه لان
التورية انما اوتيها بنو اسرائيل بعد اغراق فرعون وملائه ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى فان قلت لو قيل ايتين هل كان
يكون له وجه قلت نعم لان مريم ولدت من غير مسيس وعيسى روح من الله القي اليها وقد تكلم في المهد وكان يحيي الموتى مع معجزات اخر فكان اية من غير وجه
واللفظ محتملة للتثنية على تقدير وجعلنا ابن مريم اية وامه اية حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها الربوة والرباوة في رائها الحركات وقرئ ربوة
ورباوة بالضم ورباوة بالكسر وهي الارض المرتفعة قيل هي ايليا ارض بيت المقدس وانها كبد الارض واقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا عن كعب وقيل دمشق
وغوطتها وعن الحسن فلسطين والرملة وعن ابي هريرة الزموا هذه الرملة رملة فلسطين فانها الربوة التي ذكرها الله وقيل مصر والقرار المستقر من ارض مستوية
منبسطة وعن قتادة ذات ثمار وماء يعني لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها والمعين الماء الظاهر الجاري على وجه الارض وقد اختلف في زيادة ميمه واصالته
فوجه من جعله مفعولا انه مدرك بالعين لظهوره من عانه اذا ادركه بعينه نحو ركبه اذا ضربه بركبته ووجه من جعله فعيلا انه نفاع لظهوره وجريه من الماعون
وهو المنفعة هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما وكيف والرسل انما ارسلوا متفرقين في ازمنة مختلفة وانما المعنى الاعلام بان كل رسول في زمانه نودي
لذلك ووصي به ليعتقد السامع ان امرا نودي له جميع الرسل ووصوا به حقيق ان يؤخذ به ويعمل عليه والمراد بالطيبات ما حل وطاب وقيل طيبات الرزق
حلال وصاف وقوام فالحلال الذي لا يعصى الله فيه والصافي الذي لا ينسى الله فيه والقوام الذي يمسك النفس ويحفظ العقل او اريد ما يستطاب ويستلذ من الماكل

والفواكه ويشهد له مجيئه على عقب قوله واويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ويجوز ان يقع هذا الاعلام عند ايوا عيسى ومريم الى الربوة فذكر على سبيل الحكاية
اي اويناهما وقلنا لهما هذا اي اعلمناهما ان الرسل كلهم خوطبوا بهذا فكلا مما رزقناكم واعملوا صالحا اقتدا بالرسل وقري وان بالكسر على الاستيناف وان بمعنى
ولان وان مخففة من الثقيلة وامتكم مرفوعة معها وقري زبرا جمع زبور اي كتبا مختلفة يعني جعلوا دينهم اديانا وزبرا قطعا استعيرت من زبر الحديد و
الفضة وزبرا مخففة الباء كرسل في رسل اي كل فرقة من فرق هولاء المختلفين المتقطعين دينهم فرح بباطله مطمين النفس معتقد انه على الحق الغمرة الذي يغمر
القامة فضربت مثلا لما هم مغمورون فيه من جهلهم وعمايتهم اوشبهوا باللاعبين في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل قال كانني ضارب في غمرة لعب وعن علي رضي الله عنه في
غمراتهم حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ونهى عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تاخيرهم وقري يمدهم ويسارع ويسرع والفاعل
هو الله تعالى ويجوز ان يتضمن ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول والمعنى ان هذا الامداد ليس الا استدراجا لهم الى المعاصي واستجرارا الى زيادة الاثم وهم يحسبونه
مسارعة لهم في الخيرات وفيما لهم فيه نفع واكرام ومعاجلة بالثواب قبل وقته ويجوز ان يراد في جزاء الخيرات كما يفعل باهل الخير من المسلمين وبل استدراك لقوله
ايحسبون يعني بل هم اشباه البهايم لا فطنة بهم ولا شعور حتى يتاملوا ويتفكروا في ذلك هو استدراج ام مسارعة في الخير فان قلت اين الراجع من خبر ان
الى اسمها اذا لم يستكن فيه ضميره قلت هو محذوف تقديره نسارع به ويسارع به ويسارع الله به كقوله ان ذلك من عزم الامور اي ذلك منه وذلك لاستطالة الكلام
مع امن الالباس يوتون ما اتوا يعطون ما اعطوا وفي قراة رسول الله وعايشة ياتون ما اتوا اي يفعلون ما فعلوا وعنها قالت قلت يا رسول الله هو الذي
يزني ويسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا يا بنة الصديق ولكن هو الذي يصلي ويصوم وهو على ذلك يخاف الله ان لا يتقبل منه يسارعون في
الخيرات يحتمل معنيين احدهما ان يراد يرغبون في الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها والثاني انهم يتعجلون في الدنيا المنافع ووجوه الاكرام كما قال فاتيهم
الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين لانهم اذا سورع بها لهم فقد سارعوا في نيلها وتعجلوها وهذا
الوجه احسن طباقا للاية المتقدمة لان فيه اثبات ما نفي عن الكفار للمومنين وقري يسرعون في الخيرات لها سابقون اي فاعلون السبق لاجلها اي وسابقون
الناس لاجلها او اياها سابقون اي ينالونها قبل الاخرة حيث عجلت لهم في الدنيا ويجوز ان يكون لها سابقون خبرا بعد خبر ومعنى وهم لها كمعنى قوله وانت لها
احمد من بين البشر يعني ان هذا الذي وصف به الصالحون غير خارج من حد الوسع والطاقة وكذلك كل ما كلف عباده وما عملوه من الاعمال فغير ضايع عنده
بل هو مثبت لديه في كتاب يريد اللوح او صحيفة الاعمال ناطقة بالحق لا يقرون منه يوم القيمة الا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيها ولا نقصان ولا يظلم منهم
احدا او اراد ان الله تعالى لا يكلف الا الوسع فان لم يبلغ المكلف ان يكون على صفة هولاء السابقين بعد ان يستفرغ وسعه ويبذل طاقته فلا عليه ولدينا كتاب
فيه عمل السابق والمقتصد ولا نظلم احدا من حقه ولا نحطه دون درجته بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها من هذا اي مما عليه هولاء الموصوفون من المومنين
ولهم اعمال متجاوزة متخطية لذلك اي لما وصف به المومنون هم لها معتادون وبها ضاروان لا ينفطمون عنها حتى ياخذهم الله بالعذاب وحتى هذه هي التي
يبتدا بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية والعذاب قتلهم يوم بدر والجوع حين دعا عليهم رسول الله فقال اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم
سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى اكلوا الجيف والكلاب والعظام المحترقة والقد والاولاد الجوار الصراخ باستغاثة قال جار ساعات النيام
لربه اي يقال لهم حينئذ لا تجاروا فان الجوار غير نافع لكم منا لا تنصرون لا تغاثون ولا تمنعون منا او من جهتنا لا يلحقكم نصر ومعونة قالوا الضمير
في به للبيت العمور او للحرم كانوا يقولون لا يظهر علينا احد لانا اهل الحرم والذي سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت وانه لم يكن لهم مفخرة الا
انهم ولاته والقايمون به ويجوز ان يرجع الى اياتي الا انه ذكر لانها في معنى كتابي ومعنى استكبارهم بالقران تكذيبهم به استكبارا ضمن مستكبرين معنى مكذبين
وتعديته او يحدث لكم استماعه استكبارا وعتوا فانهم مستكبرين بسببه ويتعلق الباء بسامرا اي يسمرون بذكر القران وبالطعن فيه وكانوا يجتمعون
حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القران وتسميته سحرا وشعرا وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم او يهجرون والسامر نحو الحاضر في الاطلاق
على الجمع وقري سمرا وسمارا وتهجرون وتهجّرون من اهجر في منطقه اذا افحش والهجر بالضم الفحش ومن هجّر الذي هو مبالغة في هجر اذا هذى والهجر بالفتح الهذيان

القول القرآن يقول افلم يتدبروه ليعلموا انه الحق المبين فيصدقوا به ومن جاء به بل جاءهم ما لم يأت اباءهم فلذلك انكروه واستبدعوه لقوله لتنذر قوما ما
انذر اباؤهم فهم غافلون او ليخافوا عند تدبر اياته واقاصيصه مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين ام جاءهم من الامن ما لم يأت اباءهم الاولين حتى خافوا
الله وامنوا به وبكتبه ورسله واطاعوه واباؤهم اسمعيل واعقابه من عدنان وقحطان وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مسلمين
ولا تسبوا الحرث بن كعب ولا اسد بن خزيمة ولا تميم بن مر فانهم كانوا على الاسلام وما شككتم فيه من شيء فلا تشكوا في ان تبعا كان مسلما وروي ان ضبة
كان مسلما وكان على شرطة سليمان بن داود ام لم يعرفوا محمدا وصحة نسبه وحلوله في سطة هاشم وامانته وصدقه وشهامته وعقله واتسامه بانه خير فتيان
قريش والخطبة التي خطبها ابو طالب في نكاح خديجة بنت خويلد كفى برغائها مناديا الجنة الجنون وكانوا يعلمون انه بريء منها وانه ارجحهم عقلا واثقبهم
ذهنا ولكنه جاءهم بما خالف شهواتهم واهواءهم ولم يوافق ما نشؤوا عليه وسيط بلحومهم ودمائهم من اتباع الباطل ولم يجدوا له مردا ولا مدفعا لانه
الحق الابلج والصراط المستقيم فاخلدوا الى البهت وعولوا على الكذب من النسبة الى الجنون والشعر والسحر فان قلت قوله واكثرهم فيه ان اقلهم كانوا لا يكرهون
الحق قلت كان فيهم من يترك الايمان به انفة واستنكافا من توبيخ قومه وان يقولوا صبا وترك دين ابائه لا كراهة للحق كما يحكى عن ابي طالب كان احمل اعمام
رسول الله حتى فان قلت يزعم بعض الناس ان ابا طالب صح اسلامه قلت يا سبحان الله كان ابا طالب كان اخمل اعمام رسول الله حتى يشتهر اسلام حمزة والعباس
ويخفى اسلام ابي طالب لهذا على عظم شان الحق وان السموات والارض ما قامت ولا من فيهن الا به فلو اتبع اهواءهم لانقلب باطلا ولذهب ما يقوم به العالم
فلا يبقى له بعده قوام او اراد ان الحق الذي جاء به محمد وهو الاسلام لو اتبع اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيمة ولاهلك العالم ولم يؤخر وعن قتادة
ان الحق هو الله ومعناه ولو كان الله الها يتبع اهواءهم ويامر بالشرك والمعاصي لما كان الها ولكان شيطانا ولما قدر على ان يمسك السموات والارض بذكرهم
اي بالكتاب الذي هو ذكرهم اي وعظهم او وصيتهم وفخرهم او بالذكر الذي كانوا يتمنونه ويقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين
وقرئ بذكراهم وقرئ خراجا وخرجا فخرج وخراجا فخراج وهو ما تخرجه الى الامام من زكوة ارضك والى كل عامل من اجرته وجعله وقيل الخرج ما تبرعت به
والخراج ما لزمك اداؤه والوجه ان الخرج اخص من الخراج كقولك خراج القرية وخرج الكردة زيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذلك حسنت قراءة من قرأ خرجا فخراج
ربك يعني ان تسالهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير وقد الزمهم الحجة في هذه الايات وقطع معاذيرهم وعللهم بان الذي
ارسل اليهم رجل معروف امره وحاله مخبور سره وعلنه خليق بان يجتبى مثله للرسالة وانه لم يعرض له حتى يدعي مثل هذه الدعوى العظيمة بباطل ولم يجعل
ذلك سلما الى النيل من دنياهم واستعطاء اموالهم ولم يدعهم الا الى دين الاسلام الذي هو الصراط المستقيم مع ابتزاز المكنون من ادوائهم وهو اخلالهم بالتدبر
والتامل واستهتارهم بدين الاباء الضلال من غير برهان وتعللهم بانه مجنون بعد ظهور الحق وثبات التصديق من الله بالمعجزات والايات النيرة وكراهتهم
للحق واعراضهم عما فيه حظهم من الذكر يحتمل ان هؤلاء وصفتهم انهم لا يؤمنون بالاخرة لناكبون اي عادلون عن هذا الصراط المذكور وهو قوله الى صراط مستقيم
وان كل من لا يؤمن بالاخرة فهو عن القصد ناكب لما اسلم ثمامة ابن اثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة من اهل مكة واخذهم الله بالسنين حتى اكلوا العلهز جاء ابو
سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الاباء بالسيف والابناء بالجوع والمعنى
لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو الهزال والقحط الذي اصابهم برحمته عليهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله والمؤمنين
وافراطهم فيها ولذهب عنهم هذا الابلاس وهذا التملق بين يديه يسترحمونه واستشهد على ذلك بانا اخذناهم اولا بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل
صناديدهم واسرهم فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو اشد من الاسر والقتل وهو اطم العذاب فابلسوا الساعة وخضعت
رقابهم وجاء اعتاهم واشدهم شكيمة في العناد يستعطفك او محناهم بكل محنة من القتل والجوع فما روي فيهم لين مقادة وهم كذلك حتى اذا عذبوا بنار
جهنم فحينئذ يبلسون كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون والابلاس اليأس من كل خير وقيل السكوت مع التحير
فان قلت ما وزن استكان قلت استفعل من الكون اي انتقل من كون الى كون كما قيل استحال اذا انتقل من حال الى حال ويجوز ان يكون افتعل من

السكون اشبعت فتحة عينه كما جا بمنتزاح فان قلت هلا قيل تضرعوا و فما يستكينون قلت لان المعنى محناهم فما وجدت منهم عقيب المحنة استكانة وما من
عادة هولا ان يستكينوا ويتضرعوا حتى يفتح عليهم باب العذاب الشديد وقرئ فتحنا انما خص السمع والابصار والافئدة لانه يتعلق بها من المنافع الدينية
والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها ومقدمة منافعها ان يعملوا ابصارهم واسماعهم في ايات الله وافعاله ثم ينظروا ويستدلوا بقلوبهم ومن لم يعملها فيما خلقت له فهو بمنزلة
عادمها كما قال الله تعالى فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شي اذ كانوا يجحدون بايات الله ومقدمة شكر النعمة فيها الاقرار بالمنعم بها وان لا
يجعل لله شريك اي تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتاكيد بمعنى حقا ذراكم خلقكم وبثكم بالتناسل واليه تحشرون يوم القيمة بعد تفرقكم وله اختلاف الليل
والنهار اي هو مختص به وهو متوليه ولا يقدر على تصريفهما غيره وقرئ يعقلون بالياء عن ابي عمرو اي قال اهل مكة كما قال الكفار قبلهم الاساطير جمع سطر قال
روبة اني واسطار سطرن سطرا وهي مما كتبه الاولون مما لا حقيقة له وجمع اسطورة اوفق اي اجيبوني عما استعملتكم منه ان كان عندكم فيه علم وفيه استهانة
بهم وتجويز لفرط جهالتهم بالديانات ان يجهلوا مثل هذا الظاهر البين وقرئ تذكرون بحذف التاء الثانية ومعناه افلا تتذكرون فتعلموا ان من فطر
الارض ومن فيها اختراعا كان قادرا على اعادة الخلق وكان حقيقا بان لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية قرئ الاول باللام لا غير والاخران باللام وهو
هكذا في مصاحف اهل الحرمين والكوفة والشام وبغير اللام وهو هكذا في مصاحف اهل البصرة باللام على المعنى لان قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد وبغير
اللام على اللفظ ويجوز قراءة الاول بغير لام ولكنها لم تثبت في الرواية افلا تتقون افلا تخافونه فلا تشركوا به وتعصوا رسله اجرت فلانا على فلان اذا
اغثته منه ومنعته يعني وهو يغيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث احد منه احدا تسحرون تخدعون عن توحيده وطاعته والخادع هو الشيطان والهوى
وقرئ بل اتيتهم بالفتح والضم بالحق بان نسبة الولد اليه محال والشرك باطل وانهم لكاذبون حيث يدعون له ولدا ومعه شريكا لذهب كل اله بما خلق
لانفرد كل واحد من الالهة بخلقه الذي خلقه واستبد به ولرايتم ملك كل واحد منهم متميزا من ملك الاخر ولغلب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا
ممالكهم متمايزة وهم متغالبون وحين لم تروا اثر التمايز الممالك والتغالب فاعلموا انه اله واحد بيده ملكوت كل شي فان قلت اذن لا تدخل الا على كلام
هو جزاء وجواب فكيف وقع قوله لذهب جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا سوال قلت الشرط محذوف تقديره ولو كان معه الهة وانما حذف لدلالة قوله
وما كان معه من اله عليه وهو جواب لمن معه المحاجة من المشركين عما يصفون من الانداد والاولاد عالم الغيب بالجر صفة لله وبالرفع خبر مبتدا محذوف ما والنون
موكدتان اي ان كان لا بد من ان تريني ما تعدهم من العذاب في الدنيا او في الاخرة فلا تجعلني قرينا ولا تعذبني بعذابهم وعن الحسن اخبره الله ان له في امته
نقمة ولم يخبره افي حيوته ام بعد موته فامره ان يدعو بهذا الدعا فان قلت كيف يجوز ان يجعل الله نبيه المعصوم مع الظالمين حتى يطلب ان لا يجعله معهم قلت
يجوز ان يسال العبد ربه ما علم انه يفعله وان يستعيذ به مما علم انه لا يفعله اظهارا للعبودية وتواضعا لربه واخباتا له واستغفاره صلى الله عليه وسلم
اذا قام من مجلسه سبعين مرة او ماية مرة لذلك وما احسن قول الحسن في قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه وليتكم ولست بخيركم كان يعلم انه خيرهم ولكن
المومن يهضم نفسه وقرئ ترينهم بالهمز كما قرئ فاما ترين ولترون الجحيم وهي ضعيفة وقوله رب مرتين قبل الشرط وقبل الجزاء حث على فضل تضرع وجوار
كانوا ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون منه واستعجالهم له لذلك فقيل لهم ان الله قادر على انجاز ما وعد ان تاملتم فما وجه هذا الانكار هو ابلغ من ان يقال
بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كانه قال ادفع بالحسنى السيئة والمعنى الصفح عن اساءتهم ومقابلتها بما امكن من الاحسان حتى اذا اجتمع الصفح والاحسان وبذل
الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة بازاء سيئة وهذه قضية قوله بالتي هي احسن وعن ابن عباس هي شهادة ان لا اله الا الله والسيئة الشرك وعن مجاهد السلام يسلم
عليه اذا لقيه وعن الحسن الاغضاء والصفح وقيل هي منسوخة باية السيف وقيل محكمة لان المداراة محثوث عليها ما لم تود الى ثلم دين وازراء بمروة بما يصفون
بما يذكرونه من احوالك بخلاف صفتها او بوصفهم لك وسوء ذكرهم والله اعلم بذلك منك واقدر على جزائهم الهمز النخس والهمزات جمع الهمزة منه ومنه مهماز الرايض والمعنى
ان الشياطين يحثون الناس على المعاصي ويغرونهم عليها كما تهمز الراضة الدواب حثا لها على المشي ونحو الهمز الاز في قوله توزهم ازا امر بالتعوذ من نخساتهم بلفظ
المبتهل الى ربه المكرر لندائه وبالتعوذ من ان يحضروه اصلا ويحوموا حوله وعن ابن عباس عند تلاوة القران وعن عكرمة عند النزع حتى يتعلق بيصفون اي

لا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت والاية فاصلة بينهما على وجه الاعتراض والتاكيد للاغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان ان يستزله عن الحلم
ويغريه على الانتصار منهم او على قوله وانهم لكاذبون خطاب الله بلفظ الجمع للتعظيم كقوله فان شئت حرمت النساء سواكم وقوله الا فارحموني يا اله محمد اذا ايقن
بالموت واطلع على حقيقة الامر ادركته الحسرة على ما فرط فيه من الايمان والعمل الصالح فيه فسال ربه الرجعة وقال لعلي اعمل صالحا في الايمان الذي تركته والمعنى
لعلي اتي بما تركته من الايمان واعمل صالحا كما يقول لعلي ابني على اس ترى يريد اوس اسا وابني عليه وقيل فيما تركت من المال وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا عاين
المومن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا قال الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله واما الكافر فيقول رب ارجعون كلا ردع عن طلب الرجعة وانكار
واستبعاد والمراد بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهي قوله تعالى لعلي اعمل صالحا فيما تركت هو قائلها لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها
لاستيلاء الحسرة عليه وتسلط الندم او هو قائلها وحده لا يجاب اليها ولا يسمع منه ومن ورائهم برزخ والضمير للجماعة اي امامهم حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم
البعث وليس المعنى انهم يرجعون يوم البعث وانما هو اقناط كلي لما علم انه لا رجعة يوم البعث الا الى الاخرة الصور بفتح الواو عن الحسن والصور بالكسر والفتح
عن ابي رزين العقيلي وهذا دليل لمن فسر الصور بجمع الصورة ونفي الانساب يحتمل ان التقاطع يقع بينهم حيث يتفرقون معاقبين ومثابين ولا يكون التواصل
بينهم والتالف الا بالاعمال فيلغوا الانساب ويبطل وانه لا يعتد بالانساب لزوال التعاطف والتراحم بين الاقارب اذ يفر المرء من اخيه وامه وابيه
وصاحبته وبنيه وعن ابن مسعود لا يسالون بادغام التا في السين فان قلت قد ناقض هذا ونحو قوله ولا يسال حميم حميما وقوله واقبل بعضهم على بعض
يتسالون وقوله يتعارفون بينهم فكيف التوفيق بينهما قلت فيه جوابان احدهما ان يوم القيمة مقداره خمسون الف سنة ففيه ازمنة واحوال مختلفة
يتسالون ويتعارفون في بعضها وفي بعضها لا يفطنون لذلك لشدة الهول والفزع والثاني ان التناكر يكون عند النفخة الاولى فاذا كانت الثانية
قاموا فتعارفوا وتسالوا وعن ابن عباس الموازين جمع موزون وهي الموزونات من الاعمال اي الصالحات التي لها وزن وقدر عند الله من قوله تعالى فلا
نقيم لهم يوم القيمة وزنا في جهنم خالدون بدل من خسروا انفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل لها او خبر بعد خبر لاولئك او خبر مبتدا محذوف
تلفح تسفح وقال الزجاج اللفح والنفح واحد الا ان اللفح اشد تاثيرا والكلوح ان يتقلص الشفتان ويتشمرا عن الاسنان كما ترى الرؤوس المشوية وعن مالك
ابن دينار كان سبب توبة عتبة الغلام انه مر في السوق براس اخرج من التنور فغشي عليه ثلاثة ايام ولياليهن وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تشويه
النار فتقلص شفته العليا حتى يبلغ وسط راسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته وقري كالحون غلبت علينا ملكتنا من قولك غلبني فلان على كذا اذا اخذه
منك وامتلكه والشقاوة سوء العاقبة التي علم الله انهم يستحقونها بسوء اعمالهم وقري شقوتنا وشقاوتنا بفتح الشين وكسرها اخسؤوا فيها ذلوا فيها
وانزجروا كما ينزجر الكلاب اذا زجرت يقال خسا الكلب وخسا بنفسه ولا تكلمون في رفع العذاب فانه لا يرفع ولا يخفف قيل هو اخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام
بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون وعن ابن عباس ان لهم ست دعوات اذا دخلوا النار قالوا الف سنة ربنا ابصرنا
وسمعنا فيجابون حق القول مني فينادون الفا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم فينادون الفا يا مالك
ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فينادون الفا ربنا اخرجنا فيجابون اولم تكونوا فينادون الفا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم فينادون
الفا رب ارجعون فيجابون اخسؤوا فيها في حرف ابي انه كان فريق بالفتح بمعنى لانه سخريا بالضم والكسر مصدر سخر كالسخر الا ان في يا النسب زيادة قوة في
الفعل كما قيل الخصوصية في الخصوص وعن الكسائي والفراء ان المكسور من الهزء والمضموم من السخرة والعبودية اي تسخروهم واستعبدوهم والاول
مذهب الخليل وسيبويه قيل هم الصحابة وقيل اهل الصفة خاصة ومعناه اتخذتموهم هزءا وتشاغلتم بهم ساخرين حتى انسوكم بتشاغلكم بهم على تلك الصفة
ذكري فتركتموه اي تركتم ان تذكروني فتخافوني في اوليائي وقري انهم بالفتح والكسر استينافا اي قد فازوا حيث صبروا فجزوا بصبرهم احسن الجزاء والفتح
على انه مفعول جزيتهم كقولك جزيتهم فوزهم قال في المصاحف اهل الكوفة وقل في مصاحف اهل الحرمين والبصرة والشام ففي قال ضمير الله او المامور بسؤالهم
من الملائكة وفي قل ضمير الملك او بعض روساء اهل النار استقصروا مدة لبثهم في الدنيا بالاضافة الى خلودهم ولما هم فيه من عذابها لان الممتحن يستطيل ايام

محنة ويستقصر ما مر عليه من ايام الدعة اليها او لانهم كانوا في سرور وايام السرور قصار او لان المنقضي في حكم ما لم يكن وصدقهم الله في تقاليهم
لسني لبثهم في الدنيا ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها وقرئ فسل العادين والمعنى لا نعرف من عدد تلك السنين الا انا نستقله ونحسبه يوما او
بعض يوم لما نحن فيه من العذاب وما فينا ان نعدها فسل من فيه ان يعد ومن يقدر ان يلقي اليه فكره وقيل فسل الملائكة الذين يعدون اعمار
العباد ويحصون افعالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي الظلمة فانهم يقولون كما نقول وقرئ العاديين اي القدماء المعمرين فانهم يستقصرونها
فكيف بمن دونهم وعن ابن عباس انساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين عبثا حال اي عابثين كقوله لاعبين او مفعول له اي ما خلقناكم للعبث ولم تدعنا
الى خلقكم الا حكمة اقتضت ذلك وهي ان نتعبدكم ونكلفكم المشاق من الطاعات وترك المعاصي ثم نرجعكم من دار التكليف الى دار الجزاء فنثيب المحسن ونعاقب
المسيء وانكم الينا لا ترجعون معطوف على انما خلقناكم ويجوز ان يكون معطوفا على عبثا اي للعبث ولترككم غير مرجوعين وقرئ ترجعون بفتح التاء
الحق الذي يحق له الملك لان كل شيء منه واليه او الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه وصف العرش بالكرم لان الرحمة تنزل منه والخير والبركة او لنسبته
الى اكرم الاكرمين كما يقال بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما وقرئ الكريم بالرفع ونحوه ذو العرش المجيد لا برهان له به كقوله ما لم ينزل به سلطانا وهي
صفة لازمة نحو قوله يطير بجناحيه جيء بها للتوكيد لا ان يكون في الالهية ما يجوز ان يقوم عليه برهان ويجوز ان يكون اعتراضا بين الشرط والجزاء كقولك
من احسن الى زيد لا احق بالاحسان منه فالله مثيبه وقرئ انه لا يفلح بفتح الهمزة ومعناه حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه انه لا يفلح هو فوضع الكافرون
موضع الضمير لان من يدع في معنى الجمع وكذلك حسابه انه لا يفلح في معنى حسابهم انهم لا يفلحون جعل فاتحة السورة قد افلح المومنون واورد في خاتمتها
انه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المومنون بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه
عند نزول ملك الموت وروي ان اول سورة قد افلح واخرها من كنوز العرش من عمل بثلث ايات من اولها واتعظ باربع ايات من اخرها فقد نجا وافلح
وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه الوحي يسمع عنده دوي كدوي النحل فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع
يده وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا واثرنا ولا توثر علينا وارض عنا وارضنا ثم قال لقد انزلت علي عشر ايات من اقامهن
دخل الجنة ثم قرا قد افلح المومنون حتى ختم العشر سورة النور مكية وهي ستون اية بسم الله الرحمن الرحيم سورة خبر مبتدا محذوف وانزلناها صفة او هي
مبتدا موصوف والخبر محذوف اي فيما اوحينا اليك سورة انزلناها وقرئ بالنصب على زيدا ضربته ولا محل لانزلناها لانها مفسرة للمضمر فكانت في حكمه او على دونك سورة
او اتل سورة وانزلناها صفة ومعنى فرضناها فرضنا احكامها التي فيها واصل الفرض القطع اي جعلناها واجبة مقطوعا بها والتشديد للمبالغة في الايجاب و
توكيده او لان فيها فرائض شتى وانك تقول فرضت الفريضة وفرضت الفرائض او لكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم تذكرون بتشديد الذال وتخفيفها رفعهما
على الابتداء والخبر محذوف عند الخليل وسيبويه على معنى لكون الالف واللام بمعنى الذي وتضمنه معنى الشرط تقديره التي زنت والذي زنى فاجلدوهما كما تقول من زنى
فاجلدوه وكقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من سورة انزلناها لاجل الامر
وقرئ والزان بلا ياء والجلد ضرب الجلد يقال جلده كقولك ظهره وبطنه وراسه فان قلت اهذا حكم جميع الزناة والزواني ام حكم بعضهم قلت بل هو حكم
من ليس بمحصن منهم فان المحصن حكمه الرجم وشرائط الاحصان عند ابي حنيفة رحمه الله ست الحرية والاسلام والعقل والبلوغ والتزوج بنكاح صحيح والدخول
اذا فقدت واحدة منها فلا احصان وعند الشافعي رحمه الله الاسلام ليس بشرط لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين زنيا وحجة ابي حنيفة قوله عليه
السلام من اشرك بالله فليس بمحصن فان قلت اللفظ يقتضي تعليق الحكم بجميع الزناة والزواني لان قوله الزانية والزاني عام في الجميع يتناول المحصن وغير المحصن
قلت الزانية والزاني يدلان على الجنسين المتنافيين لجنسي العفيف وغير العفيف دلالة مطلقة والجنسية قائمة في الكل والبعض جميعا فايهما قصد المتكلم فلا
يفعل عليه كما يفعل بالاسم المشترك وقرئ ولا ياخذكم بالياء ورافة بفتح الهمزة ورآفة على فعالة والمعنى ان الواجب على المومنين ان يتصلبوا في دين الله ويستعملوا
الجد والمتانة فيه ولا ياخذهم اللين والهوادة في استيفاء حدوده وكفى برسول الله اسوة في ذلك حيث قال لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقوله ان كنتم

فيما فرض عليكم الزانية والزا[ني]
اي جلدهما ويجوز ان يكون
الخبر فاجلدوا وانما دخلت ال

يؤمنون بالله واليوم الاخر من باب التهييج والهاب الغضب لله ولدينه وقيل لا ترحموا عليهما حتى تعطلوا الحدود او حتى لا توجعوهما ضربا وفي الحديث يؤتى
بوال نقص من الحد سوطا فيقول رحمة لعبادك فيقال له انت ارحم به مني فيؤمر به الى النار ويؤتى بمن زاد سوطا فيقول لينتهوا عن معاصيك فيؤمر به الى النار
وعن ابي هريرة اقامة حد بارض خير لاهلها من مطر اربعين ليلة وعلى الامام ان ينصب للحدود رجلا عالما بصيرا يعقل كيف يضرب والرجل يجلد قايما على مجرده اي جلده
ليس عليه الا ازاره ضربا وسطا لا مبرحا ولا هينا مفرقا على الاعضا كلها لا يستثنى منها الا ثلثة الوجه والراس والفرج وفي لفظ الجلد اشارة الى انه لا ينبغي
ان يتجاوز الالم الى اللحم والمراة تجلد قاعدة ولا ينزع من ثيابها الا الحشو والفرو وبهذه الاية استشهد ابو حنيفة رحمه الله على ان الجلد حد غير المحصن بلا
تغريب وما احتج به الشافعي رحمه الله على وجوب التغريب من قوله عليه السلام البكر بالبكر جلد ماية وتغريب عام وما روي عن الصحابة انهم جلدوا ونفوا منسوخ
عنده وعند اصحابه بالاية او محمول على وجه التعزير والتاديب من غير وجوب وقول الشافعي في تغريب الحر واحد وله في العبد ثلثة اقاويل يغرب سنة كالحر
ويغرب نصف سنة كما يجلد خمسين جلدة ولا يغرب كما قال ابو حنيفة وبهذه الاية نسخ الحبس والاذى في قوله فامسكوهن في البيوت وقوله فاذوهما قيل في
تسميته عذابا دليل على انه عقوبة اي لا يعذب في الاخرة ويجوز ان يسمى عذابا لانه يمنع من المعاودة كما يسمى نكالا الطايفة الفرقة التي يمكن ان يكون حلقة
واقلها ثلثة او اربعة وهي صفة غالبة كانها الجماعة الحافة حول الشي وعن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها اربعة الى اربعين رجلا من المصدقين بالله وعن
الحسن عشرة وعن قتادة ثلثة فصاعدا وعن عكرمة رجلان فصاعدا وعن مجاهد الواحد فما فوقه وفضل قول ابن عباس لان الاربعة هي الجماعة التي يثبت بها هذا
الحد والصحيح ان هذه الكبيرة من امهات الكباير ولهذا قرنها الله بالشرك وقتل النفس في قوله ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما وقال ولا تقربوا الزنا
انه كان فاحشة ومقتا وسا سبيلا وعن النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر الناس اتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلث في الدنيا وثلث في الاخرة فاما التي في الدنيا فيذهب
البها ويورث الفقر وينقص العمر واما التي في الاخرة فيوجب السخطة وسو الحساب والخلود في النار ولذلك وفى الله فيه عقد المية بكماله بخلاف حد القذف وشرب الخمر
وشرع فيه القتلة الهولة وهي الرجم ونهى المومنين عن الرافة على المجلود فيه اي في الزنا وامر بشهادة الطايفة للتشهير ووجب ان يكون طايفة يحصل بها التشهير والواحد
والاثنان ليسوا بتلك المثابة واختصاص المومنين لان ذلك افضح والفاسق بين صلحاء قومه اخجل ويشهد له قول ابن عباس الى اربعين رجلا من المصدقين بالله قال
قحب الرجل واقحب وتقحب يعني ان الفاسق الخبيث الذي من شانه الزنا والتقحب لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء اللاتي على خلاف صفته وانما يرغب في فاسقة خبيثة
من شكله او في مشركة والفاسقة الخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال وينفرون عنها وانما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة او المشركين
ونكاح المومن الممدوح عند الله الزانية ورغبته فيها وانخراطه بذلك في سلك الفسقة المتسمين بالزنا محرم عليه محظور لما فيه من التشبه بالفساق وحضور موقع التهمة
والتسبب لسوء القالة فيه والغيبة وانواع المفاسد ومجالسة الخطايين كم فيها من التعرض لاقتراف الاثام فكيف بمزاوجة الزواني والقحاب وقد نبه على ذلك بقوله
وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامايكم وقيل كان بالمدينة موسرات من بغايا المشركين فرغب فقرا المهاجرين في نكاحهن فاستاذنوا رسول الله فنزلت
وعن عايشة رضي الله عنها ان الرجل اذا زنا بامراة ليس له ان يتزوجها لهذه الاية واذا باشرها كان زانيا وقد اجازه ابن عباس وشبهه بمن سرق ثمر شجرة ثم اشتراه
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سيل عن ذلك فقال اوله سفاح واخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطي وليس بقول لامرين احدهما ان هذه
الكلمة اينما وردت في القران لم يرد الا في معنى العقد والثاني فساد المعنى واداوه الى قولك الزاني لا يزني الا بزانية والزانية لا يزني بها الا زان وقيل كان
نكاح الزانية محرما في اول الاسلام ثم نسخ والناسخ قوله وانكحوا الايامى منكم وقيل الاجماع وروي ذلك عن سعيد بن المسيب فان قلت اي فرق بين معنى الجملة الاولى
ومعنى الثانية قلت معنى الاولى صفة الزاني بكونه غير راغب في العفايف ولكن في الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للاعفا ولكن للزناة
وهما معنيان مختلفان فان قلت كيف قدمت الزانية على الزاني اولا ثم قدم عليها ثانيا قلت سيقت تلك الاية لعقوبتهما على ما جنيا والمراة المادة التي منها
نشات الجناية لانها لو لم تطمع الرجل ولم تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت اصلا واولا في ذلك بدي بذكرها واما الثانية فمسوقة لذكر النكاح والرجل
اصل فيه لانه هو الراغب والخاطب ومنه يبدا الطلب وعن عمرو بن عبيد لا ينكح بالجزم على النهي والمرفوع ايضا فيه معنى النهي ولكن ابلغ واكد كما ان رحمك الله ويرحمك

ابلغ من لين حمك ويجوز ان يكون خبرا محصنا على معنى ان عادتهم جارية على ذلك وعلى المومن ان لا يدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصون عنها وقري وحرم
بفتح الحا القذف يكون بالزنا وبغيره والذي دل على ان المراد قذفهن بالزنا شيان احدهما ذكر المحصنات عقيب الزواني والثاني اشتراط اربعة شهدا
لان القذف بغير الزنى يكفي فيه شاهدان والقذف بالزنا ان يقول الحر البالغ العاقل المحصنة يا زانية او المحصن يا زاني يا ابن الزاني يا ولد الزنا
لست بابيك لست لرشدة والقذف بغير الزنا ان يقول يا اكل الربوا يا شارب الخمر يا يهودي يا مجوسي يا فاسق يا خبيث يا ماص بظر امه فعليه التعزير ولا يبلغ
به ادنى حد العبيد وهو اربعون بل ينقص منه وقال ابو يوسف يجوز ان يبلغ به تسعة وسبعون وقال للامام ان يعزر الى المائة وشروط احصان القذف
خمسة الحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة وقري باربعة شهدا بالتنوين وشهدا صفة فان قلت كيف يشهدون مجتمعين او متفرقين قلت
الواجب عند ابي حنيفة رحمه الله واصحابه ان يحضروا في مجلس واحد وان جاوا متفرقين كانوا قذفة وعند الشافعي يجوز ان يحضروا متفرقين فان قلت هل يجوز
ان يكون زوج المقذوفة واحدا منهم قلت يجوز عند ابي حنيفة رحمه الله خلافا للشافعي فان قلت كيف يجلد القاذف قلت كما جلد الزاني الا انه لا ينزع
عنه من ثيابه الا ما ينزع عن المراة من الحشو والفرو والقاذفة ايضا كالزانية واشد الضرب ضرب التعزير ثم ضرب الزنا ثم ضرب شرب الخمر ثم ضرب القاذف
قالوا لان سبب عقوبته محتمل للصدق والكذب الا انه عوقب صيانة للاعراض وردعا عن هتكها فان قلت فاذا لم يكن المقذوف محصنا قلت يعزر القاذف
ولا يحل الا ان يكون المقذوف معروفا بما قذف به فلا حد ولا تعزير ورد شهادة القاذف معلق عند ابي حنيفة باستيفا الحد فاذا شهد قبل الحد او قبل تمام
استيفايه قبلت شهادته فاذا استوفي لم تقبل شهادته ابدا وان تاب وكان من الابرار الاتقيا وعند الشافعي يتعلق رد شهادته بنفس القذف فاذا تاب
عن القذف بان يرجع عنه عاد مقبول الشهادة وكلاهما متمسك بالاية فابو حنيفة رحمه الله جعل جزا الشرط الذي هو الرمي الجلد ورد الشهادة عقيب الجلد
على التابيد فكانوا مردودي الشهادة عنده في ابدهم وهو مدة حياتهم وجعل قوله واولئك هم الفاسقون كلاما مستانفا غير داخل في حيز جزا الشرط كانه
حكاية حال الرامين عند الله بعد انقضا الجملة الشرطية والا الذين تابوا استثنا من الفاسقين ويدل عليه قوله فان الله غفور رحيم والشافعي رحمه الله جعل
جزا الشرط الجملتين ايضا غير انه صرف الابد الى مدة كونه قاذفا وهي تنتهي بالتوبة والرجوع عن القذف وجعل الاستثنا متعلقا بالجملة الثانية وحق المستثنى
عنده ان يكون مجرورا بدلا من هم في لهم وحقه عند ابي حنيفة ان يكون منصوبا لانه عن موجب والذي يقتضيه ظاهر الاية ونظمها ان يكون الجمل الثلث مجموعهن
جزا الشرط كانه قيل ومن قذف المحصنات فاجلدوهم وردوا شهادتهم وفسقوهم اي فاجمعوا لهم الجلد والرد والتفسيق الا الذين تابوا عن القذف و
اصلحوا فان الله يغفر لهم فينقلبون غير مجلودين ولا مردودين ولا مفسقين فان قلت الكافر يقذف فيتوب عن الكفر فيقبل شهادته بالاجماع والقاذف من
المسلمين يتوب عن القذف فلا يقبل شهادته عند ابي حنيفة رحمه الله كان القذف مع الكفر اهون من القذف مع الاسلام قلت المسلمون لا يعبا ون بسب الكفار
لانهم شهروا بعداوتهم والطعن فيهم بالباطل فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف مسلم مثله فشدد على القاذف من المسلمين
ردعا وكفا عن الحاق الشنار فان قلت هل للمقذوف او للامام ان يعفو عن حد القاذف قلت لهما ذلك قبل ان يشهد الشهود ويثبت الحد والمقذوف مندوب
الى ان لا يرافع القاذف ولا يطالبه بالحد ويحسن للامام من ان يحمل المقذوف على كظم الغيظ ويقول له اعرض عن هذا ودعه لوجه الله قبل اثبات الحد فاذا
ثبت لم يكن لواحد منهما ان يعفو لانه خالص حق الله ولهذا لم يصح ان يصالح عنه بمال فان قلت هل يورث الحد قلت عند ابي حنيفة رحمه الله لا يورث لقوله
عليه السلام الحد لا يورث ويورث عند الشافعي واذا تاب القاذف قبل ان يثبت الحد سقط وقيل نزلت هذه الاية في حسان بن ثابت حين تاب مما قال في عايشة
رضي الله عنها قاذف امراته اذا كان مسلما حرا عاقلا بالغا غير محدود في القذف والمراة بهذه الصفة مع العفة صح اللعان بينهما اذا قذفها بصريح الزنا وهو
ان يقول لها يا زانية او زنيت او رايتك تزنين واذا كان الزوج عبدا او محدودا في قذف والمراة محصنة حد كما في قذف الاجنبيات وما لم ترافعه الى
الامام لم يجب اللعان واللعان ان يبدا الرجل فيشهد اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنا ويقول في الخامسة ان لعنة الله عليه
ان كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنا وتقول المراة اربع مرات اشهد بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنا ثم تقول في الخامسة ان غضب الله عليها

ان كان من الصادقين فيما رماني به من الزنا وعند الشافعي يقام الرجل قايما حتى يشهد والمراة قاعدة وتقام المراة والرجل قاعد حتى تشهد ويامر
الامام من يضع يده على فيه ويقول له اني اخاف ان لم تكن صادقا ان تبوء بلعنة الله وقال اللعان بمكة بين المقام والبيت وبالمدينة على المنبر وببيت
المقدس في مسجده ولعان المشرك في الكنيسة وحيث يعظم واذا لم يكن له دين ففي مساجدنا الا المسجد الحرام لقوله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام
ثم يفرق القاضي بينهما ولا تقع الفرقة بينهما الا بتفريقه عند ابي حنيفة واصحابه الا عند زفر فان الفرقة تقع باللعان وعن عثمان البتي لا فرقة اصلا وعند
الشافعي يقع بلعان الزوج وتكون هذه الفرقة في حكم التطليقة البائنة عند ابي حنيفة ومحمد ولا يتابد حكمها فاذا اكذب الرجل نفسه بعد ذلك فحد
جاز ان يتزوجها وعند ابي يوسف وزفر والحسن ابن زياد والشافعي هي فرقة بغير طلاق يوجب تحريما مؤبدا ليس لهما ان يجتمعا بعد ذلك بوجه وروي ان
اية القذف لما نزلت قراها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقام عاصم بن عدي الانصاري فقال جعلني الله فداك ان وجد رجل مع امراته رجلا فاخبر
جلد ثمانين وردت شهادته ابدا وفسق وان ضربه بالسيف قتل وان سكت سكت على غيظ والى ان يجي الرجل باربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى
اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن امية او عويمر فقال ما وراك قال شر وجدت على بطن امراتي خولة وهي بنت عاصم شريك بن سحماء فقال هذا والله سوالي
ما اسرع ما ابتليت به فرجعا فاخبر عاصم رسول الله فكلم خولة فقالت لا ادري الغيرة ادركته ام بخلا على الطعام وكان شريك نزيلهم وقال هلال لقد رايته
على بطنها فنزلت ولاعن بينهما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قوله وقولها ان لعنة الله عليه ان غضب الله عليها امين وقال القوم امين وقال لها ان كنت المت
بذنب فاعترفي به فالرجم اهون عليك من غضب الله ان غضبه هو النار وقال تحينوا بها الولادة فان جاءت به اصيهب اثيبج يضرب الى السواد فهو لشريك وان جاءت به اورق
جعدا جماليا خدلج الساقين فهو لغير الذي رميت به قال ابن عباس فجاءت باشبه خلق الله لشريك فقال عليه السلام لولا الايمان لكان لي ولها شان وقرئ ولم تكن بالتاء
لان الشهداء جماعة او لانهم في معنى الانفس التي هي بدل ورفع من قرا اربع ان ينتصب لانه في حكم المصدر والعامل فيه المصدر الذي هو فشهادة احدهم وهي مبتدا
محذوف الخبر تقديره فواجب شهادة احدهم اربع شهادات وقرئ ان لعنة الله وان غضب الله على تخفيف ان ورفع ما بعدها وقرئ ان غضب الله على فعل الغضب وقرئ
بنصب الخامستين على معنى وتشهد الخامسة فان قلت لم خصت الملاعنة بان تخمس بغضب الله قلت تغليظا عليها لانها هي اصل الفجور ومنبعه بخلابتها واطماعها ولذلك
كانت مقدمة في اية الجلد ويشهد لذلك قوله عليه السلام لخولة فالرجم اهون عليك من غضب الله الفضل التفضل وجواب لولا متروك وتركه دال على امر عظيم لا يكتنه
ورب مسكوت عنه ابلغ من منطوق به الافك ابلغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجاك واصله الافك وهو القلب لانه قول مافوك عن
وجهه والمراد ما افك به على عايشة رضي الله عنها والعصبة الجماعة من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة واعصوصبوا اجتمعوا وهم عبد الله ابن ابي راس النفاق
وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وقرئ كبره بالضم والكسر وهو عظمه والذي تولاه عبد الله لامعانه في عداوة رسول
الله وانتهازه الفرص وطلبه سبيلا الى الغميزة اي يصيب كل خايض في حديث الافك من تلك العصبة نصيبه من الاثم على مقدار خوضه والعذاب العظيم لعبد الله لان معظم
الشر كان منه يحكى ان صفوان مر بهودجها عليه وهو في ملا من قومه فقال من هذه فقالوا عايشة فقال والله ما نجت منه ولا نجا منها وقال امراة نبيكم باتت مع رجل
حتى اصبحت ثم جاء يقودها والخطاب في قوله هو خير لكم لمن ساءه ذلك من المومنين وخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعايشة وصفوان بن معطل ومعنى كونه
خيرا لهم انهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم لانه كان بلاء مبينا ومحنة ظاهرة وانه نزلت فيه ثماني عشر اية كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشان رسول الله وتسلية له
وتنزيه لام المومنين رضوان الله عليها وتطهير لاهل البيت وتهويل لمن تكلم في ذلك او سمع به فلم تمجه اذناه وعدة الطاف للسامعين والتالين الى يوم القيمة وفوايد
دينية واحكام واداب لا تخفى على متاملها بانفسهم اي بالذين منهم من المومنين والمومنات كقوله ولا تلمزوا انفسكم وذلك نحو ما يروى ان ابا ايوب الانصاري
قال لام ايوب الا ترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان اكنت تظن بحرم رسول الله سوءا قال لا قالت ولو كنت انا بدل عايشة ما خنت رسول الله فعايشة خير
مني وصفوان خير منك فان قلت هلا قيل لولا اذ سمعتموه ظننتم بانفسكم خيرا وقلتم ولم عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر قلت ليبالغ في
التوبيخ بطريقة الالتفات وليصرح بلفظ الايمان دلالة على ان الاشتراك فيه مقتض ان لا يصدق مومن على اخيه ولا مومنة على اختها قول عايب ولا طاعن وفيه

تنبيه على ان حق المومن اذا سمع قالة في اخيه ان يبني الامر فيها على الظن لا على الشك وان يقول بملا فيه بناء على ظنه بالمومن الخير هذا افك مبين هكذا بلفظ
المصرح ببراة ساحته كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال وهذا من الادب الحسن الذي قل القايم به والحافظ له وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع
ما سمعه من اخوات جعل الله التفصلة بين رمي الصادق والكاذب ثبوت شهادة الشهود الاربعة وانتفايها والذين رموا عايشة لم يكن له بينة على قولهم فقامت
عليهم الحجة وكانوا عند الله اي في حكمه وشريعته كاذبين وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الافك فلم يجدوا في دفعه وانكاره واحتجاج عليهم بما هو ظاهر
مكشوف في الشرع من وجوب تكذيب القاذف بغير بينة والتنكيل به اذا قذف امراة محصنة من عرض نساء المومنين فكيف بام المومنين الصديقة بنت الصديق حرمة
رسول الله وحبيبة حبيب الله لولا الاولى للتحضيض وهذه لامتناع الشي لوجود غيره والمعنى ولولا اني قضيت ان اتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من
جملتها الامهال للتوبة وان اترحم عليكم في الاخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافك يقال افاض في الحديث واندفع
وهضب وخاض اذ تلقونه باﻟﺴﻨﺘﻜﻢ او لا فضتم تلقونه تاخذه بعضكم من بعض يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه ومنه قوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات وقري
على الاصل تتلقونه واذ تلقونه بادغام الذال في التا في الذال وتلقونه من لقيه بمعنى لقفه اخذه بفيه وتلقونه من القاية بعضهم على بعض وتلقونه
وتالقونه من الولق والالق وهو الكذب وتلقونه محكية عن عايشة رضي الله عنها وعن سفيان سمعت امي تقرا اذ تثقفونه وكان ابوها يقرا بحرف عبد الله بن
سعود فان قلت ما معنى قوله بافواهكم والقول لا يكون الا بالفم قلت معناه ان الشي المعلوم يكون علمه في القلب فيترجم عنه اللسان وهذا الافك ليس
الا قولا يجري على السنتكم ويدور في افواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب كقوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم اي تحسبونه صغيرة وهو عند
الله كبيرة موجبة وعن بعضهم انه جزع عند الموت فقيل له فقال اخاف ذنبا لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم وفي كلام بعضهم لا تقولن لشي من سياتك
حقير فلعله عند الله نخلة وهو عندك نقير وصفهم بارتكاب ثلثة اثام وعلق مس العذاب العظيم بها احدها تلقي الافك بالسنتهم وذلك ان الرجل كان يلقي
الرجل فيقول له ما وراك فيحدثه بحديث الافك حتى شاع وانتشر فلم يبق بيت ولا نادا الا طار فيه والثاني التكلم بما لا علم لهم به والثالث استصغارهم
لذلك وهو عظيمة من العظايم فان قلت كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم قلت للظروف شان وهو تنزلها من الاشيا منزلة انفسها لوقوعها فيها وانها
لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها فان قلت فاي فايدة في تقديم الظرف حتى اوقع فاصلا قلت الفايدة فيه بيان انه كان الواجب عليهم
ان يتفادوا اول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت اهم وجب التقديم فان قلت فما معنى يكون والكلام بدونه متلئب لو قيل ما لنا ان نتكلم
بهذا قلت معناه معنى ينبغي ويصح اي ما ينبغي لنا ان نتكلم بهذا وما يصح لنا ونحوه ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق سبحانك للتعجب من عظم الامر فان قلت
وما معنى التعجب في كلمة التسبيح قلت الاصل في ذلك ان يسبح الله عند روية العجيب من صنايعه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه او لتنزيه الله تعالى من ان يكون
حرمة نبيه فاجرة فان قلت كيف جاز ان تكون امراة النبي كافرة كامراة نوح ولوط ولم يجز ان تكون فاجرة قلت لان الانبيا مبعوثون الى الكفار
ليدعوهم ويستعطفوهم فيجب ان لا يكون معهم ما ينفرهم عنهم ولم يكن الكفر عندهم مما ينفر واما الكشخنة فمن اعظم المنفرات اي كراهة ان تعودوا او في
ان تعودوا من قولك وعظت فلانا في كذا فتركه وابدهم ما داموا احيا مكلفين وان كنتم مومنين فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو
اتصافهم بالايمان الصاد عن كل قبيح ويبين الله لكم الدلالات على علمه وحكمته بما ينزل عليكم من الشرايع ويعلمكم من الاداب الجميلة ويعظكم به من
المواعظ الشافية والله عالم بكل شي فاعل لما يفعله بالحكمة بدواعي الحكمة المعنى يشيعون الفاحشة عن قصد الى الاشاعة وارادة ومحبة لها وعذاب الدنيا
الحد ولقد ضرب رسول الله عبد الله بن ابي وحسانا ومسطحا وقعد صفوان لحسان فضربه ضربة بالسيف وكف بصره وقيل هو المراد بقوله والذي تولى كبره
منهم والله يعلم ما في القلوب من الاسرار والضماير وانتم لا تعلمون يعني انه قد علم محبة من احب الاشاعة وهو معاقبه عليها وكرر المنة بترك المعاجلة
بالعقاب حاذفا جواب لولا كما حذفه ثمة وفي هذا التكرير مع حذف الجواب مبالغة عظيمة وكذلك في التواب والروف والرحيم الفحشا الفاحشة ما افرط
قبحه قال ابو ذويب ضرابي حرمي تفاحش غارها اي افرطت غيرتها والمنكر ما تنكره النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه وقري خطوات بفتح الطا وسكونها وزكى

بالتشديد والضمير لله تعالى ولولا ان الله تفضل عليكم بالتوبة الممحصة لما طهر منكم احد اخر الدهر من دنس اثم الافك ولكن الله يطهر التائبين بقبول توبتهم
اذا محضوها وهو سميع لقولهم عليم بضمايرهم واخلاصهم ومن يأتلي اذا حلف افتعال من الالية وقيل من قولهم ما الوت جهدا اذا لم يدخر منه شيا ويشهد
للاول قراة الحسن ولا يتال والمعنى لا تحلفوا على ان لا تحسنوا الى المستحقين للاحسان ولا تقصروا في ان تحسنوا اليهم وان كانت بينهم وبينهم شحناء
لجناية اقترفوها فليعودوا عليهم بالعفو والصفح وليفعلوا بهم مثل ما يرجون ان يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم وذنوبهم نزلت في شان مسطح وكان
ابن خالة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وكان فقيرا من فقراء المهاجرين وكان ابو بكر ينفق عليه فلما فرط منه ما فرط الى ان لا ينفق عليه وكفى به داعيا الى المجاملة
وترك الاشتغال بالمكافاة للمسي ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قراها على ابي بكر فقال بلى احب ان يغفر الله لي ورجع الى مسطح نفقته وقال والله
لا انزعها ابدا وقرا ابو حيوة وابن قطيب ان تؤتوا بالتا على الالتفات ويعضده قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم الغافلات السليمات الصدور النقيات
القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لانهن لم يجربن الامور ولم يرزن الاحوال فلا يفطن لما تفطن له المجربات العارفات قال ولقد لهوت بطفلة
ميالة بلهاء تطلعني على اسرارها وكذلك البله من الرجال في قوله اكثر اهل الجنة البله وقري يشهد بالياء والحق بالنصب صفة للدين وهو الجزاء وبالرفع صفة
لله ولو قليت القران كله وفتشت عما اوعد به العصاة لم تر الله تعالى غلظ في شي تغليظه في افك عايشة رضي الله عنها ولا انزل من الايات القوارع
المشحونة بالوعيد الشديد والعقاب البليغ والزجر العنيف واستعظام ما ركب من ذلك واستفظاع ما اقدم عليه ما انزل فيه على طرق مختلفة واساليب مفتنة
كل واحد منها كاف في بابه ولو لم ينزل الا هذه الثلث لكفى بها حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب العظيم في الاخرة وبان
السنتهم وايديهم وارجلهم تشهد عليهم بما افكوا وبهتوا وانه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذي هم اهله حتى يعلموا عند ذلك ان الله هو الحق المبين فاوجز
في ذلك واشبع وفصل واجمل واكد وكرر وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الاوثان الا ما هو دونه في الفظاعة وما ذاك الا لامر وعن ابن عباس رضي الله
عنه انه كان بالبصرة يوم عرفة وكان يسال عن تفسير القران حتى سيل عن هذه الايات فقال من اذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض في امر عايشة رضي الله عنها
وهذا منه مبالغة وتعظيم لامر الافك ولقد برا الله اربعة باربعة برا يوسف عليه السلام بلسان الشاهد وشهد شاهد من اهلها وبرا موسى من قول
اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه وبرا مريم بانطاق ولدها حين نادى من حجرها اني عبد الله وبرا عايشة رضي الله عنها بهذه الايات العظام في كتابه
المعجز المتلو على وجه الدهر مثل هذا التبرية بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرية اوليك وما ذاك الا لاظهار علو منزلة رسول الله والتنبيه على انافة
محل سيد ولد ادم وخيرة الاولين والاخرين وحجة الله على العالمين ومن اراد ان يتحقق عظم شانه وتقدم قدمه واحرازه لقصب السبق دون كل سابق فليتلق
ذلك من ايات الافك وليتامل كيف غضب الله له في حرمته وكيف بالغ في نفي التهمة عن حجابه فان قلت ان كانت عايشة هي المرادة فكيف قيل المحصنات قلت فيه
وجهان احدهما ان يراد بالمحصنات ازواج رسول الله وان يخصصن بان من قذفهن فهذا الوعيد لاحق به واذا اردن وعايشة كبراهن منزلة وقربة عند
رسول الله كانت المرادة اولا والثاني انها ام المومنين فجمعت ارادة لها ولبناتها من نساء الامة الموصوفات بالاحصان والغفلة والايمان كما قال قدني
من نصر الخبيبين قدي اراد عبد الله بن الزبير واشياعه وكان اعداوه يكنونه بخبيب وكان مضعوفا وكنيته المشهورة ابو بكر الا ان هذا في الاسم وذاك في الصفة
فان قلت ما معنى قوله هو الحق المبين قلت معناه ذو الحق المبين اي العادل الظاهر العدل الذي لا ظلم في حكمه والمحق الذي لا يوصف بباطل ومن هذه
صفته لم تسقط عنده اساءة مسي ولا احسان محسن فحق مثله ان يتقى ويجتنب محارمه اي الخبيثات من القول تقال او تعد للخبيثين من الرجال والنساء
الخبيثون منهم يتعرضون للخبيثات من القول وكذلك الطيبات والطيبون واوليك اشارة الى الطيبين وانهم مبرؤون مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم
وهو كلام جار مجرى المثل لعايشة وما رميت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة والطيب ويجوز ان يكون اوليك اشارة الى اهل البيت وانهم مبرؤون
مما يقول اهل الافك وان يراد بالخبيثات والطيبات النساء اي الخبائث يتزوجن الخباث والخباث الخبائث وكذلك اهل الطيب وذكر الرزق الكريم
ههنا مثله في قوله واعتدنا لها رزقا كريما وعن عايشة رضي الله عنها لقد اعطيت تسعا ما اعطيتهن امراة نزل جبريل عليه السلام بصورتي في راحته حين امر

رسول الله ان يتزوجني ولقد تزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري ولقد توفي وان راسه لفي حجري ولقد قبر في بيتي ولقد حفته الملايكة في بيتي وان
الوحي لينزل عليه في اهله فيتفرقون عنه وان كان لينزل عليه وانا معه في لحافه واني لابنة خليفته وصديقه ولقد نزل عذري من السما ولقد خلقت طيبة
عند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما تستانسوا فيه وجهان احدهما انه من الاستيناس الظاهر الذي هو خلاف الاستيحاش لان الذي يطرق باب غيره
لا يدري ايوذن له ام لا فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه فاذا اذن له استانس فالمعنى حتى يوذن لكم كقوله لا تدخلوا بيوت النبي الا ان
يوذن لكم وهذا من باب الكناية والارداف لان هذا النوع من الاستيناس يردف الاذن فوضع موضع الاذن والثاني ان يكون من الاستيناس
الذي هو الاستعلام والاستكشاف استفعال من انس الشي اذا ابصره ظاهرا مكشوفا والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم ام لا
ومنه قوله استانس هل ترى احدا واستانست فلم ار احدا اي تعرفت واستعلمت ومنه بيت النابغة على مستانس وحد ويجوز ان يكون من الانس وهو ان يتعرف
هل ثم انسان وعن ابي ايوب الانصاري قلنا يا رسول الله ما الاستيناس قال يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة والتنحنح يوذن اهل البيت
والتسليم ان يقول السلام عليكم اادخل ثلث مرات فاذا اذن له والا رجع وعن ابي موسى الاشعري انه اتى باب عمر فقال السلام عليكم اادخل قالها
ثلاثا ثم رجع وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاستيذان ثلث واستاذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال االج فقال عليه السلام
للمراة يقال لها روضة قومي الى هذا فعلميه فانه لا يحسن ان يستاذن قولي له يقول السلام عليكم اادخل فسمعها الرجل فقالها فقال ادخل وكان اهل
الجاهلية يقول الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما اصاب الرجل مع امراته في لحاف واحد فصد الله عن ذلك وعلم الاحسن
والاجمل وكم من باب من ابواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به وباب الاستيذان من ذلك بينا انت في بيتك اذا رعف عليك الباب بواحد
من غير استيذان ولا تحية من تحايا اسلام ولا جاهلية وهو ممن سمع ما انزل الله فيه وما قال رسول الله ولكن اين الاذن الواعية وفي قراة عبد الله حتى تسلموا على
اهلها وتستاذنوا وعن ابن عباس وسعيد بن جبير انما هو حتى تستاذنوا فاخطا الكاتب ولا يعول على هذه الرواية وفي قراة ابي حتى تستاذنوا ذلكم الاستيذان
والتسليم خير لكم من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير اذن واشتقاقه من الدمار وهو الهلاك كان صاحبه دامر لعظم ما ارتكب وفي الحديث من سبقت
عينه استيذانه فقد دمر وروي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم ءاستاذن على امي قال نعم قال انها ليس لها خادم غيري استاذن عليها كلما دخلت
عليها قال اتحب ان تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستاذن لعلكم تذكرون اي انزل عليكم او قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا وتتعظوا وتعملوا
بما امرتم به في باب الاستيذان يحتمل فان لم تجدوا فيها احدا من اهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها الا من الاذنين فلا تدخلوها واصبروا حتى تجدوا من ياذن
لكم ويحتمل فان لم تجدوا فيها احدا من اهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها الا باذن اهلها وذلك ان الاستيذان لم يشرع ليلا يطلع الداخل على عورة ولا
يسبق عينه الى ما لا يحل النظر اليه فقط وانما شرع ليلا يوقف على الاحوال التي يطويها الناس في العادة عن غيرهم ويتحفظون من اطلاع احد عليها ولانه
تصرف في ملك غيرك فلا بد من ان يكون برضاه والا اشبه الغصب والتغلب فارجعوا اي لا تلحوا في اطلاق الاذن ولا تلحوا في تسهيل الحجاب ولا تقفوا على
الابواب منتظرين لان هذا مما يجلب الكراهة ويقدح في قلوب الناس خصوصا اذا كانوا ذوي مروة ومرتاضين بالاداب الحسنة واذا نهي عن ذلك لادايه الى
الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يودي اليها من قرع الباب بعنف والتصييح بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل في عادات من لم يتهذب من اكثر الناس وعن ابي عبيدة
ما قرعت بابا على عالم قط وكفى بقصة بني اسد زاجرة وما نزل فيها من قوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون فان قلت هل يصح ان يكون
المعنى وان لم يوذن لكم وامرتم بالرجوع فامتثلوا ولا تدخلوا مع كراهتهم قلت بعد ان جزم النهي عن الدخول مع فقدان الاذن وحده من اهل الدار حاضرين
وغايبين لم تبق شبهة في كونه منهيا عنه مع انضمام الامر بالرجوع الى فقد الاذن فان قلت فاذا عرض امر في دار من حريق او هجوم سارق او ظهور منكر يجب انكاره
قلت ذلك مستثنى بالدليل اي الرجوع اطيب لكم واطهر لما فيه من سلامة الصدور والبعد من الدنية او انفع وانمى خيرا ثم اوعد المخاطبين بذلك بانه عالم بما ياتون
وما يذرون مما خوطبوا به فموف جزاءه عليه استثنى من البيوت التي يجب الاستيذان على داخلها ما ليس بمسكون منها وذلك نحو الفنادق وهي الخانات والربط وحوانيت

البياعين والمتاع المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد وايوا الرحال والسلع والشرى والبيع ويروى ان ابا بكر رضى الله عنه قال يا رسول الله ان الله قد
انزل عليك اية فى الاستيذان وانا نختلف فى تجاراتنا فننزل هذه الخانات افلا ندخلها الا باذن وقيل الخربات يتبرز فيها والمتاع للتبرز يعلم ما تبدون
وما تكتمون وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من اهل الريبة من للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل وجوز الاخفش
ان تكون مزيدة واباه سيبويه فان قلت كيف دخلت فى غض دون حفظ الفروج قلت دلالة على ان امر النظر اوسع الا ترى ان المحارم لا باس بالنظر الى
شعورهن وصدورهن وثديهن واعضادهن واسوقهن واقدامهن وكذلك الجوارى المستعرضات والاجنبية ينظر الى وجهها وكفيها وقدميها فى احدى
الروايتين واما امر الفرج فضيق وكفاك فرقا ان ابيح النظر الا ما استثنى منه وحظر الجماع الا ما استثنى منه ويجوز ان يراد مع حفظها عن الافضا الى ما لا
يحل حفظها عن الابدا وعن ابن زيد كل ما فى القران من حفظ الفروج فهو عن الزنا الا هذا فانه اراد به الاستتار ثم اخبر انه خبير باحوالهم وافعالهم وكيف
يجيلون ابصارهم وكيف يصنعون بساير حواسهم وجوارحهم فعليهم اذا عرفوا ذلك ان يكونوا على تقوى وحذر فى كل حركة وسكون النسا مامورات ايضا بغض
الابصار ولا يحل للمراة ان تنظر من الاجنبى الى ما تحت سرته الى ركبته وان اشتهت غضت بصرها راسا ولا تنظر من المراة الا الى مثل ذلك وغض بصرها من الاجانب
اصلا اولى بها واحسن ومنه حديث ابن ام مكتوم ~~وذلك بعد ان~~ عن ام سلمة قالت كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة فاقبل ابن ام مكتوم وذلك بعد ان
امرنا بالحجاب فدخل علينا فقال احتجبا فقلنا يا رسول الله اليس اعمى لا يبصرنا فقال افعميا وان انتما الستما تبصرانه فان قلت لم قدم غض الابصار على
حفظ الفروج قلت لان النظر بريد الزنا ورايد الفجور والبلوى فيه اشد واكثر ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه الزينة ما تزينت به المراة من حلى او كحل او
خضاب فما كان ظاهرا منها كالخاتم والفتخة والكحل والخضاب فلا باس بابدايه للاجانب وما خفى منها كالسوار والخلخال والقلادة والدملج والاكليل و
الوشاح والقرط فلا تبديه الا لهولا المذكورين وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة فى الامر بالتصون والتستر لان هذه الزين واقعة على مواضع من
الجسد لا يحل النظر اليها لغير هولا وهى الذراع والساق والعضد والعنق والراس والصدر والاذن فنهى عن ابدا الزين نفسها ليعلم ان النظر اذا
لم يحل اليها لملابستها تلك المواقع بدليل ان النظر اليها غير ملابسة لها لا مقال فى حله كان النظر الى المواقع انفسها متمكنا فى الحظر ثابت القدم فى الحرمة شاهدا
على ان النسا حقهن ان يحتطن فى سترها ويتقين الله فى الكشف عنها فان قلت ما تقول فى القراميل هل يحل نظر هولا اليها قلت نعم فان قلت اليس موقعها
الظهر ولا يحل النظر الى ظهرها وبطنها وربما ورد الشعر فوقعت القراميل على ما يحاذى ما تحت السرة قلت الامر كما قلت ولكن امر القراميل خلاف امر ساير
الحلى لانه لا يقع الا فوق اللباس ويجوز النظر الى الثوب الواقع على الظهر والبطن للاجانب فضلا عن هولا الا اذا كان يصف لرقته فلا يحل النظر الى القراميل
واقعة عليه فان قلت ما المراد بموقع الزينة ذلك العضو كله ام المقدار الذى تلابسه الزينة منه قلت الصحيح انه العضو كله كما فسرت مواقع الزينة الخفية
وكذلك مواقع الزينة الظاهرة الوجه موقع الكحل فى عينيه والخضاب بالوسمة فى حاجبيه والغمرة فى خديه والكف والقدم موقعا الخاتم والفتخة والخضاب
بالحنا فان قلت لم سومح مطلقا فى الزينة الظاهرة قلت لان سترها فيه حرج فان المراة لا تجد بدا من مزاولة الاشيا بيديها ومن الحاجة الى كشف وجهها
خصوصا فى الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر الى المشى فى الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن وهذا معنى قوله الا ما ظهر منها يعنى الا ما جرت
العادة والجبلة على ظهوره والاصل فيه الظهور وانما سومح فى الزينة الخفية اوليك المذكورون لما كانوا مختصين به من الحاجة المضطرة الى مداخلتهم و
مخالطتهم ولقلة توقع الفتنة من جهاتهم ولما فى الطباع من النفرة عن مماسة القرايب ويحتاج المراة الى صحبتهم فى الاسفار للنزول والركوب وغير ذلك كانت
جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليها وكن يسدلن الخمر من ورايهن فتبقى مكشوفة فامرن ان يسدلنها من قدامهن حتى تغطيها
ويجوز ان يراد بالجيوب الصدور تسمية بما يليها ومنه قولهم ناصح الجيب وقولك ضربت بخمارها على جيبها كقولك ضربت بيدى على الحايط اذا وضعتها عليه وعن
عايشة رضى الله عنها ما رايت نسا خيرا من نسا الانصار لما نزلت هذه الاية قامت كل واحدة منهن الى مرطها المرحل فصدعت منه صدعة فاختمرن فاصبحن
على رؤوسهن الغربان وقرى جيوبهن بكسر الجيم لاجل اليا وكذلك بيوتا غير بيوتكم قيل فى نسايهن هن المومنات لانه ليس للمومنة ان تتجرد بين يدى مشركة

او كتابية عن ابن عباس والظاهر انه كني نسائهن وما ملكت ايمانهن من في صحبتهن وخدمتهن من الحراير والاما والنسا كلهن سوا في حل النظر بعضهن الى بعض
وقيل ما ملكت ايمانهن هم الذكور والاناث جميعا وعن عايشة انها اباحت النظر اليها لعبدها وقالت لذكوان انك اذا وضعتني في القبر وخرجت فانت حر وعن
سعيد بن المسيب مثله ثم رجع وقال لا تغرنكم اية النور فان المراد بها الاما وهذا هو الصحيح لان عبد المراة بمنزلة الاجنبي منها خصيا كان او فحلا وعن
ميسون بنت بحدل الكلابية ان معوية دخل عليها ومعه خصي فتقنعت منه فقال هو خصي فقالت يا معوية اترى ان المثلة به تحلل ما حرم الله وعن ابي حنيفة لا يحل
امساك الخصيان واستخدامهم وبيعهم وشراهم ولم ينقل عن احد من السلف امساكهم فان قلت روي انه اهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم خصي فقبله قلت لا
يقبل فيما يعم به البلوي الا حديث مكشوف وان صح فلعله قبله ليعتقه او لسبب من الاسباب الاربة الحاجة قيل هم الذين يتبعونه ليصيبوا من فضل طعامكم ولا
حاجة لهم الى النسا لانهم بله لا يعرفون شيا من امرهن او شيوخ صلحا اذا كانوا معهن غضوا ابصارهم او بهم عنانة وقري غير بالنصب على الاستثنا او
الحال والجر على الوصفية وضع الواحد موضع الجمع لانه يفيد الجنس ويبين ما بعده انه مراد به الجمع ونحوه نخرجكم طفلا لم يظهروا اما من ظهر على الشي اذا اطلع
عليه اي لا يعرفون العورة ولا يميزون بينها وبين غيرها واما من ظهر على فلان اذا قوي عليه وظهر على القران اخذه واطاقه اي لم يبلغوا اوان القدرة على الوطا
وقري عورات وهي لغة هذيل فان قلت لم لم يذكر الله الاعمام والاخوال قلت سيل الشعبي عن ذلك فقال لئلا يصفها العم عند ابنه والخال كذلك ومعناه
ان ساير القرابات يشترك الاب والابن في المحرمية الا العم والخال وابناهما فاذا راها الاب فربما وصفها لابنه وليس بمحرم فيداني تصوره لها بالوصف
نظره اليها وهذا ايضا من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط عليهن في التستر كانت المراة تضرب الارض برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال
وقيل كانت تضرب باحدى رجليها الاخرى ليعلم انها ذات خلخالين واذا نهين عن اظهار صوت الحلي بعد ما نهين عن اظهار الحلي علم بذلك ان النهي عن اظهار
مواضع الحلي ابلغ وابلغ اوامر الله ونواهيه في كل باب لا يكاد العبد الضعيف يقدر على مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد ولا يخلو من تقصير يقع منه
فلذلك امر المومنين جميعا بالتوبة والاستغفار وبتاميل الفلاح اذا تابوا واستغفروا وعن ابن عباس توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية لعلكم
تسعدون في الدنيا والاخرة فان قلت قد صحت التوبة بالاسلام يجب ما قبله فما معنى هذه التوبة قلت اراد بها ما يقوله العلما ان من اذنب ذنبا ثم تاب
عنه يلزمه كلما تذكره ان يجدد عنه التوبة لانه يلزمه ان يستمر على ندمه وعزمه الى ان يلقى ربه وقري ايهُ المومنون بضم الهاء ووجهه انها كانت مفتوحة
لوقوعها قبل الالف فلما سقطت الالف لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها ما قبلها الايامى واليتامى اصلهما ايايم ويتايم فقلبا والايم للرجل والمراة
وقد آم وآمت وتايما اذا لم يتزوجا بكرين كانا او ثيبين قال فان تنكحي انكح وان تتايمي وان كنت افتى منكم اتايم وعن رسول الله صلى الله عليه
وسلم اللهم انا نعوذ بك من العيمة والغيمة والايمة والكرم والقرم والمراد انكحوا من تايم من الاحرار والحراير ومن كان فيه صلاح من غلمانكم و
جواريكم وقري من عبيدكم وهذا الامر للندب لما علم من ان النكاح امر مندوب اليه وقد يكون للوجوب في حق الاوليا عند طلب المراة ذلك وعند
اصحاب الظواهر النكاح واجب ومما يدل على كونه مندوبا اليه قوله عليه السلام من احب فطرتي فليستن بسنتي وهي النكاح وعنه من كان له ما يتزوج فلم
يتزوج فليس منا وعنه اذا تزوج احدكم عج شيطانه يا ويله عصم ابن ادم مني ثلثي دينه وعنه عليه السلام يا عياض لا تزوجن عجوزا ولا عاقرا فاني مكاثر
والاحاديث فيه عن رسول الله والاثار كثيرة وربما كان واجب الترك اذا ادى الى معصية او مفسدة وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتى على امتي مائة وثمانون
سنة فقد حلت لهم العزبة والعزلة والترهب على روس الجبال وفي الحديث ياتي على الناس زمان لا تنال المعيشة فيه الا بالمعصية فاذا كان ذلك الزمان
حلت العزوبة فان قلت لم خص الصالحين قلت ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم ولان الصالحين من الارقا هم الذين مواليهم فيشفقون عليهم
وينزلونهم منزلة الاولاد في الاثرة والمودة فكانوا مظنة للتوصية بشانهم والاهتمام بهم وتقبل الوصية فيهم واما المفسدون منهم فحالهم عند
مواليهم على عكس ذلك او اريد بالصلاح القيام بحقوق النكاح ينبغي ان يكون شريطة الله غير منسية في هذا الموعد ونظايره وهي مشيته ولا يشا الحكيم
الا ما اقتضته الحكمة وما كان مصلحة ونحوه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقد جاءت الشريطة منصوصة في قوله وان خفتم عيلة

فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم ومن لم ينس هذه الشريطة لم ينتصب معترضا لعزب كان غنيا فافقره النكاح وبفاسق تاب واتقى
الله وكان له شي ففني واصبح مسكينا وعن النبي صلى الله عليه وسلم التمسوا الرزق بالنكاح وشكا رجل اليه الحاجة فقال عليك بالباءة وعن عمر رضي الله عنه
عجبت لمن لا يطلب الغنا بالباءة ولقد كان عندنا رجل رازح الحال ثم رايته بعد سنين وقد انتعشت حاله وحسنت فسالته فقال كنت في اول امري على ما
علمت وذلك قبل ان ارزق ولدا فلما رزقت بكري والدي تراخيت عن الفقر فلما ولدلي الثاني زدت خيرا فلما تتاموا ثلثة صب الله على الخير صبا فاصبحت
الى ما ترى والله واسع اي غني ذو سعة لا يرزاه اغناء الخلائق ولكنه عليم يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وليستعفف وليجتهد في العفة وطلب النفس
كان المستعف طالب من نفسه العفاف وحاملها عليه لا يجدون نكاحا اي استطاعة تزوج ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به من المال حتى يغنيهم الله
ترجية للمستعفين وتقدمة وعد بالتفضل عليهم بالغنى ليكون انتظار ذلك وتاميله لطفا لهم في استعفافهم وربطا على قلوبهم وليظهر بذلك ان
فضله اولى بالاعفاء وادنى من الصلحاء وما احسن ما رتب هذه الاوامر حيث امر اولا بما يعصمهم من الفتنة ويبعد من مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم
بالنكاح الذي يحصن به الدين ويقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام ثم بالحمل على النفس الامارة بالسوء وعزفها عن الطموح الى الشهوة عند العجز عن النكاح
الى ان يرزق القدرة عليه والذين يبتغون مرفوع على الابتداء او منصوب بفعل مضمر يفسره فكاتبوهم كقولك زيدا فاضربه ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط
والكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على الف درهم فان اداها عتق ومعناه كتبت لك على نفسي ان تعتق مني اذا
وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك ان تفي بذلك او كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق ويجوز عند ابي حنيفة حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم لان الله
تعالى لم يذكر التنجيم وقياسا على ساير العقود وعند الشافعي لا يجوز الا مؤجلا منجما ولا يكون عنده بنجم واحد لان العبد لا يملك شيا فعقده حالا منع
من حصول الغرض لانه لا يقدر على اداء البدل عاجلا ويجوز عقده على مال قليل وكثير وعلى خدمة في مدة معلومة وعلى عمل معلوم موقت مثل حفر بير في
مكان بعينه معلومة الطول والعرض وبناء دار قد اراه اجرها وجصها وما تبنى به وان كاتبه على قيمته لم يجز فان اداها عتق وان كاتبه على وصيف جاز
لقلة الجهالة ووجب الوسط وليس له ان يطا المكاتبة واذا ادى عتق وكان ولاؤه لمولاه لانه جاد عليه بالكسب الذي هو في الاصل له وهذا الامر للندب
عند عامة العلماء وعن الحسن ليس ذلك بعزم ان شاء كاتب وان شاء لم يكاتب وعن عمر رضي الله عنه هو عزمة من عزمات الله وعن ابن سيرين مثله وهو مذهب داود خيرا
قدرة على اداء ما يفارقون عليه وقيل امانة وتكسبا وعن سلمان ان مملوكا له ابتغى ان يكاتبه فقال اعندك مال قال لا قال افتامرني ان اكل غسالة ايدي
الناس واتوهم امر للمسلمين على وجه الوجوب باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم الذي جعل الله لهم من بيت المال كقوله وفي الرقاب عند ابي حنيفة واصحابه فان
قلت هل يحل لمولاه اذا كان غنيا ان ياخذ ما تصدق به عليه قلت نعم وكذلك اذا لم تف الصدقة من الفقير بجميع البدل وعجز عن اداء المال الباقي طاب
لمولاه ما اخذه لانه لم ياخذه بسبب الصدقة ولكن بسبب عقد المكاتبة كمن اشترى الصدقة من الفقير او ورثها او وهبت له ومنه قوله عليه السلام في حديث بريرة
هو لها صدقة ولنا هدية وعند الشافعي هو ايجاب على الموالي ان يحطوا لهم من مال الكتابة وان لم يفعلوا اجبروا وعن علي رضي الله عنه يحط له الربع وعن ابن
عباس يرضخ له من كتابته شيا وعن عمر رضي الله عنه انه كاتب عبدا له يكنى ابا امية وهو اول عبد كوتب في الاسلام فاتاه باول نجم فدفعه اليه عمر فقال استعن
به على مكاتبتك فقال لو اخرته الى اخر نجم فقال اخاف ان لا ادرك ذلك وهذا عند ابي حنيفة على وجه الندب وقال انه عقد معاوضة فلا يجبر على الحطيطة
كالبيع وقيل معنى واتوهم اسلفوهم وقيل انفقوا عليهم بعد ان تودوا ويعتقوا وهذا كله مستحب وروي انه كان لحويطب بن عبد العزى مملوك يقال له
الصبيح سال مولاه ان يكاتبه فابى فنزلت كانت اماء اهل الجاهلية تساعين على مواليهن وكان لعبد الله بن ابي راس النفاق ست جوار معاذة ومسيكة واميمة
وعمرة واروى وقتيلة يكرههن على البغاء وضرب عليهن ضرائب فشكت ثنتان منهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ويكنى بالفتاة والفتى عن الامة والعبد
وفي الحديث ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي انما العبد والامة لله والبغاء مصدر البغي فان قلت لم اقحم قوله تعالى ان اردن تحصنا قلت
لان الاكراه لا يتاتى الا مع ارادة التحصن وامر الطيعة المواتية للبغاء لا يسمى مكرها ولا امره اكراها وكلمة ان وايثارها على اذا ايذان بان المساعيات كن

يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وان ما وجد من معاذة ومسيكة من حيز الشاذ النادر غفور رحيم لهم او لهن او لهم ولهن ان تابوا واصلحوا وفي قراءة ابن
عباس لهن غفور رحيم فان قلت لا حاجة الى تعليق المغفرة بهن لان المكرهة على الزنا بخلاف المكره عليه في انها غير آثمة قلت لعل الاكراه كان دون
ما اعتبرته الشريعة من اكراه بقتل او بما يخاف منه التلف او ذهاب العضو من ضرب عنيف او غيره حتى تسلم من الاثم وربما قصرت عن الحد الذي تعذر فيه فتكون آثمة
بينات من الآيات التي بينت في هذه السورة واوضحت في معاني الاحكام والحدود ويجوز ان يكون الاصل مبينا فيه فاتسع في الظرف كقوله ويوم شهدناه وقرئ
بالكسر اي بينت من الاحكام والحدود وجعل الفعل لها على المجاز او من بيّن بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين ومثلا من امثال من قبلكم اي قصة
عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعني وقصة عائشة رضي الله عنها وموعظة ما وعظ به في الآيات والمثل نحو قوله ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله لولا اذ
سمعتموه ولولا اذ سمعتموه يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا نظيره قوله الله نور السموات مع قوله مثل نوره ويهدي الله لنوره قولك زيد كرم وجود ثم تقول
ينعش الناس بكرمه وجوده والمعنى ذو نور السموات وصاحب نور السموات ونور السموات والارض الحق شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله الله ولي الذين آمنوا
يخرجهم من الظلمات الى النور اي من الباطل الى الحق واضاف النور الى السموات والارض لاجل معنيين اما للدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضيء له
السموات والارض واما ان يراد اهل السموات والارض وانهم يستضيئون به مثل نوره اي صفة نوره العجيبة الشان في الاضاءة كمشكاة كصفة مشكاة وهي الكوة
في الجدار غير النافذة فيها مصباح سراج ضخم ثاقب في زجاجة اراد قنديلا من زجاج شامي ازهر شبهه في زهرته باحد الدراري من الكواكب وهي المشاهير كالمشتري
والزهرة والمريخ وسهيل ونحوها توقد هذا المصباح من شجرة اي ابتداء ثقوبه من شجرة الزيتون يعني رويت ذبالته بزيتها مباركة كثيرة المنافع او لانها
نبتت في الارض التي بارك فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم وعن النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداووا به فانه
مصحة من الباسور لا شرقية ولا غربية اي منبتها الشام واجود الزيتون زيتون الشام وقيل لا في مضحى ولا مقناة ولكن الشمس والظل يتعاقبان وذلك
اجود لحملها واصفى لدهنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير في شجرة في مقناة ولا نبات في مقناة ولا خير فيهما في مضحى وقيل ليست مما تطلع عليه
الشمس في وقت شروقها او غروبها فقط بل تصيبها بالغداة والعشي جميعا فهي شرقية وغربية ثم وصف الزيت بالصفاء والوبيص وانه لتلألؤه يكاد
يضيء من غير نار نور على نور اي هذا الذي شبهت به الحق نوره متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم تبق مما يقوي النور
ويزيده اشراقا ويمده باضاءة بقية وذلك ان المصباح اذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان اضوأ له واجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فان الضوء
ينبث فيه وينتشر والقنديل اعون شيء في زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه يهدي الله لهذا النور الثاقب من يشاء من عباده اي يوفق لاصابة
الحق من نظر وتدبر بعين عقله والانصاف من نفسه ولم يذهب عن الجادة الموصلة اليه يمينا وشمالا ومن لم يتدبر فهو كالاعمى الذي سواء عليه جنح الليل
الدامس وضحوة النهار الشامس وعن علي رضي الله عنه نوّر السموات والارض اي نشر فيها الحق وبثه فاضاءت بنوره او نور قلوب اهلها به وعن ابي بن كعب مثل
نور من آمن به وقرئ زجاجة الزجاجة بالفتح والكسر ودري منسوب الى الدر اي ابيض متلالئ ودريء بوزن سكيت تدرأ الظلام بضوئه ودريء كمريق
ودري كالسكينة عن ابي زيد وتوقد بمعنى تتوقد والفعل للزجاجة ويوقد وتوقد بالتخفيف ويوقد بالتشديد ويوقد بحذف الياء وحذف التاء
لاجتماع حرفين زائدين وهو غريب ويمسسه بالياء لان التانيث غير حقيقي والضمير فاصل في بيوت يتعلق بما قبله اي كمشكاة في بعض بيوت الله وهي المساجد
كانه قيل مثل نوره كما ترى في المسجد نور المشكاة التي من صفتها كيت وكيت او بما بعده وهو يسبح اي يسبح له رجال في بيوت وفيها تكرير كقولك زيد في الدار
جالس فيها او بمحذوف كقوله تعالى في تسع آيات اي سبحوا في بيوت والمراد بالاذن الامر ورفعها بناؤها كقوله بناها رفع سمكها فسواها واذ يرفع
ابراهيم القواعد وعن ابن عباس رضي الله عنه هي المساجد امر الله ان تبنى او تعظيمها والرفع من قدرها وعن الحسن ما امر الله ان ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم
ويذكر فيها اسمه او قوله وهو عام في كل ذكر وعن ابن عباس وان يتلى فيها كتابه وقرئ يسبح على البناء للمفعول ويسند الى احد الظروف الثلاثة اعني له فيها بالغدو
ورجال مرفوع بما دل عليه يسبح وهو يسبح له وتسبح بالتاء وكسر الباء وعن ابي جعفر بالتاء وفتح الباء ووجهها ان يسند الى اوقات الغدو والآصال

على زيادة الباء وتجعل الاوقات مسبحة والمراد ربما كصيد عليه يومان والمراد وحشيها الاصال جمع اصل وهو العشي والمعنى باوقات الغدو اي بالغدو
اي بالغدوات وقري والايصال وهو الدخول في الاصيل يقال اصل كاظهر واعتم التجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح فاما ان يريد
لا يشغلهم نوع من هذه الصناعة ثم خص البيع لانه في الالهاء ادخل من قبل ان التاجر اذا اتجهت له بيعة رابحة وهي طلبته الكلية من صناعته الهته ما لا يلهيه
شراء شي يتوقع فيه الربح في الوقت الثاني لان هذا يقيني وذاك مظنون واما ان يسمى الشرى تجارة اطلاقا لاسم الجنس على النوع كما تقول رزق فلان تجارة
رابحة اذا اتجه له بيع صالح او شرى وقيل التجارة لاهل الجلب تجر فلان في كذا اذا جلبه التاء في اقامة عوض من العين الساقطة للاعلال والاصل
اقوام فلما اضيفت اقيمت الاضافة مقام حرف التعويض فاسقطت ونحوه واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وتقلب القلوب والابصار اما ان تتقلب وتتغير في
انفسها وهو ان تضطرب من الهول والفزع وتشخص كقوله تعالى واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر واما ان تتقلب احوالها وتتغير فتفقه القلوب بعد
ان كانت مطبوعا عليها لا تفقه وتبصر الابصار بعد ان كانت عميا لا تبصر احسن ما عملوا اي احسن جزاء اعمالهم كقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى والمعنى يسجون ويجاوزون
يجزيهم ثوابهم مضاعفا ويزيدهم على الثواب تفضلا وكذلك معنى قوله الحسنى وزيادة المثوبة الحسنى وزيادة عليها من التفضل وعطاء الله تعالى اما تفضل واما
ثواب ولا عوض والله يرزق ما يتفضل به بغير حساب واما الثواب فله حساب لكونه على حسب الاستحقاق السراب ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب
على وجه الارض كانه ماء يجري والقيعة بمعنى القاع او جمع قاع وهو المنبسط المستوي من الارض كجيرة في جار وقرئ بقيعات بتاء ممطوطة كديمات وقيمات
في ديمة وقيمة وقد جعل بعضهم بقيعاة بتاء مدورة كرجل عزهاة شبه ما يعمله من لا يعتقد الايمان ولا يتبع الحق من الاعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه
عند الله وتنجيه من عذابه ثم تخيب في العاقبة امله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيمة فيحسبه ماء فياتيه فلا يجد ما رجاه
ويجد زبانية الله عنده ياخذونه فيعتلونه الى جهنم فيسقونه الحميم والغساق وهم الذين قال الله تعالى فيهم عاملة ناصبة وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا
وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية قد كان تعبد ولبس المسوح والتمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الاسلام
اللجي العميق الكثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر وفي اخرج ضمير الواقع فيه لم يكد يراها مبالغة فيما لم يرها اي لم يقرب ان يراها فضلا عن ان يراها ومثله
ذو الرمة اذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح اي لم يقرب من البراح شبه اعمالهم اولا في فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه
من بعيد شيئا ولم يكفه خيبة وكمدا ان لم يجد شيئا كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية تعتله الى النار ولا يقتل ظماءه بالماء وشبهها ثانيا في ظلمتها وسوادها
لكونها باطلة وفي خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والامواج والسحاب ثم قال ومن لم يوله نور توفيقه وعصمته ولطفه فهو في ظلمة الباطل لا
نور له وهذا الكلام مجراه مجرى الكنايات لان الالطاف انما تردف الايمان والعمل او كونهما مترقبين الا ترى الى قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
وقوله ويضل الله الظالمين وقرئ سحاب ظلمات على الاضافة وسحاب ظلمات برفع سحاب وتنوينه وجر ظلمات بدلا من ظلمات الاولى صافات يصففن اجنحتهن
في الهواء والضمير في علم لكل او لله وكذلك في صلاته وتسبيحه والصلاة الدعاء ولا يبعد ان يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما الهمها سائر العلوم الدقيقة التي
لا يكاد العقلاء يهتدون اليها يزجي يسوق ومنه البضاعة المزجاة التي يزجيها كل احد لا يرضاها والسحاب يكون واحدا كالعماء وجمعا كالرباب ومعنى تاليف
الواحد انه كان قزعا فيضم بعضه الى بعض وجاز بينه وهو واحد لان المعنى بين اجزائه كما قيل في قوله بين الدخول فحومل والركام المتراكم بعضه فوق بعض
والودق المطر من خلاله من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال في جبل وقرئ من خلله وينزل بالتشديد ويكاد سنا على الادغام وبرقه جمع برقة وهي
المقدار من البرق كالغرفة واللقمة وبرقه بضمتين للاتباع كما قيل في جمع فعلة فعلات كظلمات وسناء برقه على المد المقصور بمعنى الضوء والممدود بمعنى العلو
الارتفاع من قولك سني للمرتفع ويذهب بالابصار على زيادة الباء كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة عن ابي جعفر المدني وهذا من تعديد الدلائل
على ربوبيته وظهور امره حيث ذكر تسبيح من في السموات والارض وكل ما يطير بين السماء والارض ودعاءهم له وابتهالهم اليه وانه سخر السحاب التسخير الذي وصفه
وما يحدث فيه من افعاله حتى ينزل المطر منه وانه يقسم رحمته بين خلقه ويقبضها ويبسطها على ما تقتضيه حكمته ويريهم البرق في السحاب الذي يكاد يخطف ابصارهم

ليعتبروا ويحذروا ويعاقب بين الليل والنهار ويخالف بينهما بالطول والقصر وما هذه الا براهين في غاية الوضوح على وجوده وثباته ودلايل منادية
على صفاته لمن نظر وفكر وتبصر وتدبر فان قلت متى راى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسبيح من في السموات ودعاهم وتسبيح الطير ودعاه وتنزيل المطر من جبال برد
في السما حتى قيل له الم تر قلت علم من جهة اخبار الله اياه بذلك على طريق الوحي فان قلت ما الفرق بين من الاولى والثانية والثالثة في قوله من السما من
جبال فيها من برد قلت الاولى لابتدا الغاية والثانية للتبعيض والثالثة للبيان او الاوليان للابتدا والاخرة للتبعيض ومعناه انه ينزل البرد من السما
من جبال فيها وعلى الاول مفعول ينزل من جبال فان قلت ما معنى من جبال فيها من برد قلت فيه معنيان احدهما ان يخلق الله في السما جبال برد كما خلق في
الارض جبال حجر والثاني ان يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب وقري خلق كل دابة ولما كان اسم الدابة موقعا على المميز وغير
المميز غلب المميز فاعطي ما وراه حكمه كان الدواب كلهم مميزون فمن ثم قيل فمنهم وقيل من يمشي في الماشي على بطن وفي الماشي على اربع قوايم فان قلت لم نكر الما
في قوله من ما قلت لان المعنى انه خلق كل دابة من نوع من الما مختص بتلك الدابة او خلقها من ما مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها
هوام ومنها بهايم ومنها ناس ونحوه قوله تعالى تسقى بما واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فان قلت فما باله معرفا في قوله وجعلنا من الما كل شي حي
قلت قصد ثم معنى اخر وهو ان اجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس الذي هو جنس الما وذلك انه هو الاصل وان تخللت بينه وبينها وسايط قالوا خلق
الملايكة من ريح خلقها من الما والجن من نار خلقها منه وادم من تراب خلقه منه فان قلت لم جات الاجناس الثلثة على هذا الترتيب قلت قدم ما هو اعرف
في القدرة وهو الماشي بغير اله مشي من ارجل او قوايم ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على اربع فان قلت لم سمي الزحف على البطن مشيا قلت على سبيل الاستعارة
كما قالوا في الامر المستمر قد مشى هذا الامر ويقال فلان لا يتمشى له امر ونحوه استعارة الشفة مكان الجحفلة والمشفر مكان الشفة ونحو ذلك او على طريق المشاكلة
لذكر الزاحف مع الماشين وما اوليك بالمومنين اشارة الى القايلين امنا واطعنا او الى الفريق المتولي منهم فمعناه على الاول اعلام من الله بان جميعهم
منتف عنهم الايمان لا الفريق المتولي وحده وعلى الثاني اعلام بان الفريق المتولي لم يكن ما سبق لهم من الايمان ايمانا انما كان ادعا باللسان من غير مواطاة
القلب لانه لو كان صادرا عن صحة معتقد وطمانينة نفس لم يتعقبه التولي والاعراض والتعريف في قوله بالمومنين دلالة على انهم ليسوا بالمومنين الذين عرفت وهم
الثابتون والمستقيمون على الايمان الموصوفون في قوله تعالى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا معنى الى الله ورسوله الى رسول الله كقولك
اعجبني زيد وكرمه تريد كرم زيد ومنه قوله غلسته قبل القطا وفرطه اراد قبل فرط القطا روي انها نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في ارض
فجعل اليهودي يجره الى رسول الله والمنافق يجره الى كعب بن الاشرف ويقول ان محمدا يحيف علينا وروي ان المغيرة بن وايل كان بينه وبين علي ابن ابي طالب رضي
الله عنه خصومة في ما وارض فقال المغيرة اما محمد فلست اتيه ولا احاكم اليه فانه يبغضني وانا اخاف ان يحيف علي اليه صلة يأتوا لان اتى وجا قد جا معدين
بالى ويتصل بمذعنين لانه في معنى مسرعين في الطاعة وهذا احسن لتقدم صلته ودلالته على الاختصاص والمعنى انهم لمعرفتهم انه ليس معك الا الحق المر والعدل
البحت يزورون عن المحاكمة اليك اذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه من احداقهم بقضايك عليهم لخصومهم وان ثبت لهم حق على خصم اسرعوا اليك ولم يرضوا الا
بحكومتك لتاخذ لهم ما ذاب لهم في ذمة الخصم ثم قسم الامر في اعراضهم عن حكومته اذا كان الحق عليهم بين ان يكونوا مرضى القلوب منافقين او مرتابين في امر
نبوته او خايفين الحيف في قضايه ثم ابطل خوفهم حيفه بقوله بل اوليك هم الظالمون اي لا يخافون ان يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله وانما هم ظالمون يريدون
ان يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده وذلك شي لا يستطيعونه في مجلس رسول الله فمن ثم يابون المحاكمة اليه وعن الحسن قول المومنين بالرفع والنصب اقوى
لان اولى الاسمين بكونه اسما لكان اوغلهما في التعريف وان يقولوا اوغل لانه لا سبيل عليه للتنكير بخلاف قول المومنين وكان هذا من قبيل كان في قوله تعالى
ما كان لله ان يتخذ من ولد ما يكون لنا ان نتكلم بهذا وقري ليحكم على البنا للمفعول فان قلت الام اسند يحكم ولا بد له من فاعل قلت هو مسند الى مصدره
لان معناه ليفعل الحكم بينهم ومثله جمع بينهما والف بينهما ومثله لقد تقطع بينكم فمن قرا بينكم منصوبا اي وقع التقطع بينكم وهذه القراة مجاوبة لقوله
دعوا قري ويتقه بكسر القاف والها مع الوصل وبغير وصل وبسكون الها وبسكون القاف وكسر الها شبه تقه بكتف فخفف كقوله قالت سليمى اشتر لنا سويقا

ولقد جمع الله سبحانه في هذه الاية اسباب الفوز وعن ابن عباس رضي الله عنه في تفسيرها ومن يطع الله في فرايضه ورسوله في سننه ويخش الله على ما مضى من ذنوبه
ويتقه فيما يستقبل وعن بعض الملوك انه سال عن اية كافية فتليت له هذه الاية جهد يمينه مستعار من جهد نفسه اذا بلغ اقصى وسعها وذلك اذا بالغ في اليمين
وبلغ غاية شدتها ووكادتها وعن ابن عباس رضي الله عنه من قال بالله فقد جهد يمينه واصل اقسم جهد اليمين اقسم يجهد اليمين جهدا فحذف الفعل وقدم المصدر
فوضع موضعه مضافا الى المفعول كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كانه قال جاهدين ايمانهم وطاعة معروفة خبر مبتدا محذوف او مبتدا محذوف
الخبر اي امركم والذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخلص من المومنين الذين طابق باطن امرهم ظاهره لا ايمان تقسمون
بها بافواهكم وقلوبكم على خلافها او طاعتكم طاعة معروفة بانها بالقول دون الفعل او طاعة معروفة امثل واولى بكم من هذه الايمان الكاذبة وقرا
اليزيدي طاعةً معروفةً بالنصب على معنى اطيعوا طاعة ان الله خبير يعلم ما في ضمايركم ولا يخفى عليه شي من سرايركم وانه فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم
صرف الكلام عن الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات وهو ابلغ من تبكيتهم يريد فان تتولوا فما ضررتموه وانما ضررتم انفسكم فان الرسول ليس عليه الا ما حمله
الله وكلفه من اداء الرسالة فاذا ادى فقد خرج عن عهدة تكليفه واما انتم فعليكم ما كلفتم من التلقي بالقبول والاذعان فان لم تفعلوه وتوليتم فقد
عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه وان اطعتموه فقد احرزتم نصيبكم من الخروج عن الضلالة الى الهدى فالنفع والضرر عايدان اليكم وما الرسول الا ناصح
وهاد وما عليه الا ان يبلغ ماله نفع في قبولكم ولا عليه ضرر في توليكم والبلاغ بمعنى التبليغ كالادا بمعنى التادية ومعنى المبين كونه مقرونا بالايات والمعجزات الخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن معه ومنكم للبيان كالتي في اخر سورة الفتح وعدهم الله ان ينصر الاسلام على الكفر ويورثهم الارض ويجعلهم فيها خلفا كما فعل ببني
اسرايل حين اورثهم مصر والشام بعد اهلاك الجبابرة وان يمكن الدين المرتضى وهو دين الاسلام وتمكينه تثبيته وتوطيده وان يومن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا
عليه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خايفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون بالسلاح ويمسون فيه حتى قال رجل ما ياتي
علينا يوم نامن فيه ونضع السلاح فقال عليه السلام لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملا العظيم محتبيا ليس فيه حديدة فانجز الله وعده واظهرهم
على جزيرة العرب وافتتحوا بعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الاكاسرة وملكوا خزاينهم واستولوا على الدنيا ثم خرج الذين على خلاف سيرتهم فكفروا بتلك الانعم
وفسقوا وذلك قوله عليه السلام الخلافة بعدي ثلثون سنة ثم يملك الله من يشا فيصير ملكا ثم يصير بزيزي قطع سبل وسفك دما واخذ اموال بغير حقها و
قرى كما استخلف على البنا للمفعول وليبدلنهم بالتشديد فان قلت اين القسم المتلقى باللام والنون في ليستخلفنهم قلت هو محذوف تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم
او نزل وعد الله في تحققه منزلة القسم فيتلقى بما يتلقى به القسم كانه اقسم الله ليستخلفنهم فان قلت ما محل يعبدونني قلت ان جعلته استينافا لم يكن له محل كان قايلا
قال ما لهم يستخلفون ويومنون فقال يعبدونني وان جعلته حالا عن وعدهم اي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم واخلاصهم فمحله النصب ومن كفر يريد كفران النعمة
كقوله تعالى فكفرت بانعم الله فاولئك هم الفاسقون اي هم الكاملون في فسقهم حيث كفروا تلك النعمة العظيمة وجسروا على غمطها فان قلت هل في هذه الاية دليل
على امر الخلفا الراشدين قلت اوضح دليل وابينه لان المستخلفين الذين امنوا وعملوا الصالحات هم هم واقيموا الصلوة معطوف على اطيعوا الله واطيعوا الرسول
وليس ببعيد ان يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وان طال لان حق المعطوف ان يكون غير المعطوف عليه وكررت طاعة الرسول تاكيدا لوجوبها وقرى يحسبن
بالياء وفيه اوجه ان يكون معجزين في الارض هما المفعولان والمعنى لا يحسبن الذين كفروا احدا يعجز الله في الارض حتى يطمعوا هم في مثل ذلك وهذا معنى قوي جيد
وان يكون فيه ضمير الرسول لتقدم ذكره في قوله واطيعوا الرسول وان يكون الاصل لا يحسبنهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الاول وكان الذي
سوغ ذلك ان الفاعل والمفعولين لما كانت كشي واحد اقتنع بذكر اثنين عن ذكر الثالث وعطف قوله وماويهم النار على لا تحسبن الذين كفروا معجزين كانه قيل
لا يفوتون الله وماويهم النار والمراد بهم المقسمون جهد ايمانهم امر بان يستاذن العبيد وقيل العبيد والاما والاطفال الذين لم يحتلموا من الاحرار ثلث
مرات في اليوم والليلة قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة وبالظهيرة لانها وقت وضع الثياب
للقايلة وبعد صلوة العشا لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم وسمى كل واحدة من هذه الاحوال عورة لان الناس يختل تسترهم

وتحفظهم فيها والعورة الخلل ومنها اعور الفارس واعور المكان والاعور المختل العين ثم عذرهم في ترك الاستيذان وراء هذه المرات وبين وجه
العذر في قوله طوافون عليكم يعني ان بكم وبهم حاجة الى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام فلو جزم الامر بالاستيذان
في كل وقت لادى الى الحرج وروي ان مدلج بن عمرو وكان غلاما انصاريا ارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهر الى عمر رضي الله عنه ليدعوه فدخل
عليه وهو نايم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي الله عنه لوددت ان الله تعالى نهى اباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا علينا هذه الساعات الا
باذن ثم انطلق معه الى النبي عليه السلام فوجده وقد انزلت عليه هذه الاية وهي احدى الايات المنزلة بسبب عمر وقيل نزلت في اسما بنت ابي مرثد قالت
انا لندخل على الرجل والمراة ولعلهما يكونان في لحاف واحد وقيل دخل عليها غلام لها كبير في وقت كرهت دخوله فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها وعن ابي عمرو والحلم بالسكون وقرئ ثلث عورات بالنصب بدلا عن ثلث مرات اي اوقات ثلث عورات كان
ذلك وعن الاعمش عورات على لغة هذيل فان قلت ما محل ليس عليكم قلت اذا رفعت ثلث عورات كان ذلك في محل الرفع على الوصف المعنى هن ثلث عورات مخصوصة
بالاستيذان واذا نصبت لم يكن له محل وكان كلاما مقررا للامر بالاستيذان في تلك الاحوال الخاصة فان قلت بم ارتفع بعضكم قلت بالابتداء وخبره على بعض
على معنى طايف على بعض وحذف لان طوافون يدل عليه ويجوز ان يرتفع بيطوف مضمرا لتلك الدلالة الاطفال منكم اي من الاحرار دون المماليك الذين من قبلهم
يريد الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال او الذين ذكروا من قبلهم في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا الاية والمعنى
ان الاطفال ماذون لهم في الدخول بغير اذن الا في العورات الثلاث فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم خرجوا من حد الطفولة بان يحتلموا او يبلغوا السن
التي يحكم فيها عليهم بالبلوغ وجب ان يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على ان يستاذنوا في جميع الاوقات كما الرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول
عليكم الا بالاذن وهذا مما الناس منه في غفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة وعن ابن عباس اية لا يومن بها اكثر الناس اية الاذن واني لامر جاريتي ان
تستاذن علي وساله عطاء استاذن على اختي قال نعم وان كانت في حجرك تمونها وتلا هذه الاية وعنه ثلث ايات جحدهن الناس الاذن كله وقوله ان
اكرمكم عند الله اتقيكم فقال ناس اعظمكم بيتا وقوله واذا حضر القسمة وعن ابن مسعود رضي الله عنه عليكم ان تستاذنوا على ابائكم وامهاتكم واخواتكم
وعن الشعبي ليست بمنسوخة فقيل له ان الناس لا يعملون بها فقال الله المستعان وعن سعيد بن جبير يقولون هي منسوخة ولا والله ما هي منسوخة ولكن
تهاونوا بها فان قلت ما السن الذي يحكم فيها بالبلوغ قلت قال ابو حنيفة ثماني عشرة سنة في الغلام وسبع عشرة في الجارية وعامة العلماء على خمس عشرة فيهما
وعن علي رضي الله عنه انه كان يعتبر القامة ويقدره بخمسة اشبار وبه اخذ الفرزدق في قوله وما فاد ركخمسة الاشبار واعتبر غيره الانبات وعن عثمان رضي
الله عنه انه سال عن غلام فقال هل اخضر ازاره القاعد التي قعدت عن الحيض والولد لكبرها اللاتي لا يرجون نكاحا لا يطمعن فيه والمراد بالثياب الثياب الظاهرة
كالملحفة والجلباب الذي فوق الخمار غير متبرجات بزينة غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية التي ارادها في قوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او قاصدات
بالوضع التبرج ولكن التخفيف اذا احتجن اليه والاستعفاف من الوضع خير لهن لما ذكر الجائز عقبه بالمستحب بعثا منه على اختيار افضل الاعمال واحسنها كقوله
وان تعفوا اقرب للتقوى وان تصدقوا خير لكم فان قلت ما حقيقة التبرج قلت تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه من قولهم سفينة بارج لا غطاء عليها والبرج
سعة العين يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شي الا انه اختص بان تتكشف المراة للرجال بابداء زينتها واظهار محاسنها وبدا وبرز بمعنى ظهر
من اخوات تبرج وتبلج كذلك كان المومنون يذهبون بالضعفاء وذوي العاهات الى بيوت ازواجهم واولادهم والى بيوت قراباتهم واصدقايهم
فيطعمونهم منها فخالج قلوب المطعمين ريبة في ذلك وخافوا ان يلحقهم فيه حرج وكرهوا ان يكون اكلا بغير حق لقوله تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل
فقيل لهم ليس على الضعفاء ولا على انفسكم يعني عليكم وعلى من في مثل حالكم من المومنين حرج في ذلك وعن عكرمة كانت الانصار في انفسها قزازة فكانت
لا تاكل من هذه البيوت اذا استغنوا وقيل كان هولاء يتوقون مجالسة الناس ومواكلتهم لما عسى يودي الى الكراهة من قبلهم ولان الاعمى ربما سبقت يده
الى ما سبقت عين اكيله اليه وهو لا يشعر والاعرج يتفسح في مجلسه وياخذ اكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو من رايحة تؤذي او جرح يبض

او انفيذانٌ ونحو ذلك وقيل كانوا يخرجون الى الغزو ويخلفون الضعفا في بيوتهم ويدفعون اليهم المفاتيح وياذنون لهم ان ياكلوا من بيوتهم فكانوا
يتحرجون وحكي عن الحارث بن عمرو انه خرج غازيا وخلف مالك بن زيد في بيته وماله فلما رجع راه مجهودا فقال ما اصابك فقال لم يكن عندي شي ولم يحل
لي ان اكل من مالك فقيل ليس على هولا الضعفا حرج فيما تحرجوا عنه ولا عليكم ان تاكلوا من هذه البيوت وهذا كلام صحيح وكذلك اذا فسر بان هولا
ليس عليهم حرج في القعود عن الغزو ولا عليكم ان تاكلوا من البيوت المذكورة لالتقا الطايفتين في ان كل واحدة منهما منفي عنها الحرج ومثال هذا ان يستفتيك
مسافر عن الافطار في رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر فقلت ليس على المسافر حرج ان يفطر ولا عليك يا حاج ان تقدم الحلق على النحر فان قلت
هلا ذكر الاولاد قلت دخل ذكرهم تحت قوله من بيوتكم لان ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه وفي الحديث ان اطيب ما ياكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه
ومعنى من بيوتكم من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم ولان الولد اقرب ممن عدد من القرابات فاذا كان سبب الرخصة هو القرابة كان الذي هو اقرب منهم
اولى فان قلت ما معنى او ما ملكتم مفاتحه قلت اموال الرجل اذا كان له عليها قيم ووكيل يحفظها له ان ياكل من ثمر بستانه ويشرب من لبن ماشيته و
ملك المفاتح كونها في يده وحفظه وقيل بيوت المماليك لان مال العبد لمولاه وقري مفتاحه فان قلت فما معنى او صديقكم قلت معناه او بيوت اصدقايكم
والصديق يكون جمعا وواحدا وكذلك الخليط والقطين والعدو ويحكى عن الحسن انه دخل داره واذا حلقة من اصدقايه وقد استلوا سلالا من تحت سريره
فيها الخبيص واطايب الاطعمة وهم مكبون عليها ياكلون فتهللت اسارير وجهه سرورا وضحك وقال هكذا وجدناهم هكذا وجدناهم يريد كبرا الصحابة ومن
لقيهم من البدريين وكان الرجل منهم يدخل دار صديقه وهو غايب فيسال جاريته كيسه فياخذ ما شا فاذا حضر مولاها فاخبرته اعتقها سرورا بذلك وعن جعفر
بن محمد من عظم حرمة الصديق ان جعله الله من الانس والثقة والانبساط وطرح الحشمة بمنزلة النفس والاب والاخ والابن وعن ابن عباس رضي الله عنه الصديق
اكبر من الوالدين ان الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالابا والامهات فقالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقالوا اذا دل ظاهر الحال على رضا
المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح وربما سمج الاستيذان وثقل كمن قدم اليه طعام فاستاذن صاحبه في الاكل منه جميعا او اشتاتا اي مجتمعين او متفرقين
نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون ان ياكل الرجل وحده فربما قعد منتظرا نهاره الى الليل فان لم يجد من يواكله اكل ضرورة وقيل في قوم
من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا ياكلون الا مع ضيفهم وقيل تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الاكل وزيادة بعضهم على بعض فاذا دخلتم
بيوتا من هذه البيوت لتاكلوا فبدوا بالسلام على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة تحية من عند الله اي ثابتة بامره مشروعة من لدنه او لان التسليم
والتحية طلب سلامة وحياة للمسلم عليه والمحيى من عند الله ووصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مومن لمومن يرجا بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق وعن انس
قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين وروي تسع سنين قال فما قال لي لشي فعلته لم فعلته ولا قال لي لشي كسرته لم كسرته وكنت واقفا على راسه اصب الما
على يديه فرفع راسه فقال الا اعلمك ثلاث خصال تنتفع بها قلت بلى بابي وامي يا رسول الله قال متى لقيت من امتي احدا فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت
بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلوة الضحى فانها صلوة الابرار الاوابين وقالوا ان لم يكن في البيت احد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى
عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وعن ابن عباس رضي الله عنه اذا دخل المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين تحية من عند الله وانتصب
تحية بسلموا لانها في معنى تسليما كقولك قعدت جلوسا اراد عز وجل ان يريهم عظم الجناية في ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذنه اذا كانوا معه
على امر جامع فجعل ترك ذهابهم حتى يستاذنوه ثالث الايمان بالله والايمان برسوله وجعلهما كالتشبيب له والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة بانما وايقاع
المومنين مبتدا مخبرا عنه بموصول احاطت صلته بذكر الايمانين ثم عقبه بما يزيده تاكيدا وتشديدا حيث اعاده على اسلوب اخر وهو قوله تعالى ان الذين يستاذنونك
اوليك الذين يومنون بالله ورسوله وضمنه شيا اخر وهو انه جعل الاستيذان كالمصداق لصحة الايمانين وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذا ومعنى قوله لم
يذهبوا حتى يستاذنوه وياذن لهم الا تريه كيف علق الامر بعد وجود استيذانهم بمشيته واذنه لمن استصوب ان ياذن له والامر الجامع الذي يجمع له الناس فوصف
الامر بالجمع على سبيل المجاز وهو مقاتلة عدو او تشاور في خطب مهم او تضام لارهاب مخالف او تماسح في حلف وغير ذلك او الامر الذي يعم بضرره او بنفعه

وفي امر جميع وفي قوله اذا كانوا معه على امر جامع انه خطب جليل لا بد لرسول الله فيه من ذوي راي وقوة يظاهرونه عليه ويعاونونه ويستضيء بارائهم ومعارفهم
وتجاربهم في كفايته فمفارقة احدهم في مثل تلك الحال مما يشق على قلبه ويشعث عليه رايه فمن ثم غلظ عليهم وضيق عليهم الامر في الاستيذان مع العذر المبسوط و
مساس الحاجة اليه واعتراض ما يهمهم ويعنيهم وذلك قوله لبعض شانهم وذكر الاستغفار للمستاذنين دليل على ان الاحسن الافضل ان لا يحدثوا انفسهم بالذهاب
ولا يستاذنوا فيه وقيل نزلت في حفر الخندق وكان قوم يتسللون بغير اذن وقالوا كذلك ينبغي ان يكون الناس مع ايمتهم ومقدميهم في الدين والعلم يظاهرونهم
ولا يخذلونهم في نازلة من النوازل ولا يتفرقون عنهم والامر في الاذن مفوض الى الامام ان شاء اذن وان شاء لم ياذن على حسب ما اقتضاه رايه اذا احتاج
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اجتماعكم عنده لامر فدعاكم فلا تفرقوا الا باذنه ولا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير اذن
الداعي او لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمي بعضكم بعضا ويناديه باسمه الذي سماه به ابواه ولا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله مع
التوقير والتعظيم والصوت المخفوض والتواضع ويحتمل لا تجعلوا دعاء الرسول ربه مثل ما يدعو صغيركم كبيركم وفقيركم غنيكم يساله حاجة فربما اجابه
وربما رده فان دعوات رسول الله مسموعة مستجابة يتسللون ينسلون قليلا قليلا ونظير تسلل تدرج وتدخل واللواذ الملاوذة وهو ان يلوذ
هذا بذاك وذاك بهذا يعني يتسللون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض ولواذا حال اي ملاوذين وقيل كان بعضهم
يلوذ بالرجل اذا استاذن فياذن له فينطلق الذي لم يوذن له معه وقري لواذا بالفتح ويقال خالفه الى الامر اذا ذهب اليه دونه ومنه قوله
وما اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه وخالفه عن الامر اذا صد عنه دونه ومعنى الذين يخالفون عن امره الذين يصدون عن امره دون المومنين
وهم المنافقون فحذف المفعول لان الغرض ذكر المخالف والمخالف عنه الضمير في امره لله سبحانه او للرسول عليه السلام والمعنى عن طاعته ودينه فتنة
محنة في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم في الاخرة وعن ابن عباس فتنة قتل وعن عطاء زلازل واهوال وعن جعفر بن محمد يسلط عليهم سلطان جاير
ادخل قد ليوكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ومرجع توكيد العلم الى توكيد الوعيد وذلك ان قد اذا دخلت على المضارع كانت بمعنى
ربما فوافقت ربما في خروجها الى معنى التكثير في نحو قوله فان تمس مهجور الفناء فربما اقام به بعد الوفود وفود ونحوه قول زهير اخي ثقة لا يهلك
الخمر ماله ولكنه قد يهلك المال نائله والمعنى ان جميع ما في السموات والارض مختصة به خلقا وملكا وعلما فكيف يخفى عليه احوال المنافقين وان كانوا
يجهدون في سترها عن العيون واخفائها وسينبئهم يوم القيمة بما ابطنوا من سوء اعمالهم وسيجازيهم حق جزائهم والخطاب والغيبة في قوله قد يعلم ما
انتم عليه ويوم يرجعون اليه يجوز ان يكونا جميعا للمنافقين على طريق الالتفات ويجوز ان يكون ما انتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين والله اعلم عن رسول الله عليه
السلام من قرا سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مومن ومومنة فيما مضى وفيما بقي سورة الفرقان مكية وهي سبعون اية بسم الله الرحمن الرحيم
البركة كثرة الخير وزيادته ومنها تبارك الله وفيه معنيان احدهما تزايد خيره وتكاثر او تزايد عن كل شي وتعالى عنه في صفاته وافعاله والفرقان مصدر فرق
بين الشيئين اذا فصل بينهما وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل او لانه لم ينزل جملة واحدة ولكن مفروقا مفصولا بين بعضه وبعض في الانزال الا ترى
الى قوله وقرانا فرقناه لتقراه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا وقد جاء الفرق بمعناه قال ومشركي كافر بالفرق وعن الزبير على عباده وهم رسول الله و
امته كما قال لقد انزلنا اليكم قولوا امنا بالله وما انزل الينا والضمير في ليكون لعبده او للفرقان ويعضد رجوعه الى الفرقان قراة ابن الزبير للعالمين
للجن والانس نذيرا منذرا اي مخوفا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار ومنه قوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر الذي له رفع على الابدال من الذي نزل او
رفع على المدح او نصب عليه فان قلت كيف جاز الفصل بين البدل والمبدل منه قلت ما فصل بينهما بشي لان المبدل منه صلته نزل وليكون تعليل له
فكان المبدل منه لم يتم الا به فان قلت في الخلق معنى التقدير فما قوله وخلق كل شي فقدره تقديرا كانه قال وقدر كل شي فقدره قلت المعنى انه احدث كل
شي احداثا مراعى فيه التقدير والتسوية فقدره وهياه لما يصلح له مثاله انه خلق الانسان على هذا الشكل المقدر المسوى الذي تراه فقدره للتكاليف و
المصالح المنوطة به في بابي الدين والدنيا وكذلك كل حيوان وجماد جاء به على الجبلة المستوية المقدرة بامثلة الحكمة والتدبير فقدره لامر ما ومصلحة مطابقا

لما قدره الامر مجاز عنه اوسمي احداث الله خلقا لانه لا يحدث شيا لحكمته الا على وجه التقدير من غير تفاوت فاذا قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة قولك احدث
واوجد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فكانه قيل واوجد كل شي فقدره في ايجاده لم يوجده متفاوتا وقيل فجعل له غاية ومنتهى ومعناه فقدره للبقا الى امد
معلوم الخلق بمعنى الافتعال كما في قوله تعالى انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا والمعنى انهم اثروا على عبادة الله سبحانه عبادة الهة لا عجز
ابين من عجزهم لا يقدرون على شي من افعال الله ولا من افعال العباد حيث لا يفتعلون شيا وهم يفتعلون لان عبدتهم يصنعونهم بالنحت والتصوير ولا يملكون
اي لا يستطيعون لانفسهم دفع ضر عنها او جلب نفع اليها وهم يستطيعون واذا عجزوا عن الافتعال ودفع الضر وجلب النفع التي يقدر عليها العباد كانوا
عن الموت والحياة والنشور التي لا يقدر عليها الا الله اعجز قوم آخرون هم اليهود وقيل عداس مولى حويطب عبد العزى ويسار مولى العلا بن الحضرمي وابو
فكيهة الرومي قال ذلك النضر بن الحارث بن الحرث بن عبد الدار جا واتي يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته وقد يكون على معنى ورد واظلما كما يقول اجيب
المكان ويجوز ان يحذف الجار ويوصل الفعل وظلمهم ان جعلوا العربي يتلقن من العجمي الرومي كلاما عربيا اعجز بفصاحته جميع فصحا العرب والزور ان بهتوه
بنسبة ما هو بري منه اليه اساطير الاولين ما سطره المتقدمون من نحو احاديث رستم واسفنديار جمع اسطار او اسطورة كاحدوثة اكتتبها كتبها لنفسه
واخذها كما يقول استكب الما واصطبه اذا سكبه وصبه لنفسه واخذه وقري اكتتبها على البنا للمفعول والمعنى اكتتبها كاتب له لانه كان اميا لا يكتب بيده وذلك
من تمام اعجازه ثم حذفت اللام فافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب كقوله تعالى واختار موسى قومه ثم بني الفعل للضمير الذي هو اياه فانقلب مرفوعا
مستترا بعد ان كان بارزا منصوبا وبقي ضمير الاساطير على حاله فصار اكتتبها كما ترى فان قلت كيف قيل اكتتبها فهي تملى عليه وانما يقال امليت عليه فهو يكتبها
قلت فيه وجهان احدهما اراد اكتتابها او طلبه فهي تملى عليه او كتبت له وهو امي فهي تملى عليه اي تلقى عليه من كتابه يتحفظها لان صورة الالقا على الحافظ
كصورة الالقا على الكاتب وعن الحسن انه قول الله سبحانه يكذبهم وانما يستقيم ان لو فتحت الهمزة للاستفهام الذي في معنى الانكار ووجهه ان يكون نحو قوله افرح ان
ازرا الكرام وحق الحسن ان يقف على الاولين بكرة واصيلا اي دايما او في الخفية قبل ان ينتشر الناس وحين ياوون الى مساكنهم اي يعلم كل سر خفي في السموات
والارض ومن جملته ما تسرونه انتم من الكيد لرسوله مع علمكم ان ما تقولونه باطل وزور وكذلك باطن امر رسول الله وبراته مما تبهتونه به وهو يجازيكم ويجازيه
على ما علم منكم وعلم منه فان قلت كيف طابق قوله انه كان غفورا رحيما هذا المعنى قلت لما كان ما تقدمه في معنى الوعيد عقبه بما يدل على القدرة عليه لانه لا يوصف
بالمغفرة والرحمة الا القادر على العقوبة او هو تنبيه على انهم استوجبوا بمكابرتهم هذه ان يصب عليهم العذاب صبا ولكن صرف ذلك عنهم انه غفور رحيم يمهل ولا
يعاجل وقعت اللام في المصحف مفصولة عن هذا خارجة عن اوضاع الخط العربي وخط المصحف سنة لا تغير وفي هذا استهانة وتصغير لشانه وتسمية بالرسول سخرية
منهم وطنز كانهم قالوا اما لهذا الزاعم انه رسول ونحوه قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون اي ان صح انه رسول الله فما باله حاله مثل حالنا ياكل الطعام
كما ناكل ويتردد في الاسواق لطلب المعاش كما نتردد يعنون انه كان يجب ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والتعيش ثم نزلوا عن اقتراحهم ان يكون ملكا الى اقتراح
ان يكون انسانا معه ملك حتى يتساندا في الانذار والتخويف ثم نزلوا ايضا فقالوا وان لم يكن مرفودا بملك فليكن مرفودا بكنز يلقى عليه من السما يستظهر به
ولا يحتاج الى تحصيل المعاش ثم نزلوا فاقتنعوا بان يكون رجلا له بستان ياكل منه ويرتزق كما الدهاقين والمياسير او ياكلون هم من ذلك البستان فينتفعون
به في دنياهم ومعاشهم واراد بالظالمين اياهم باعيانهم وضع الظاهر موضع المضمر ليسجل عليهم بالظلم فيما قالوا وقري فيكون بالرفع او يكون له جنة بالياء
وناكل بالنون فان قلت ما وجها الرفع والنصب في فيكون قلت النصب لانه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام والرفع على انه معطوف على انزل ومحله
الرفع الا ترى انك تقول لولا ينزل بالرفع وقد عطف عليه يلقى ويكون مرفوعين ولا يجوز النصب فيهما لانهما في حكم الواقع بعد لولا ولا يكون الا مرفوعا والقايلون
هم كفار قريش النضر بن الحارث وعبد الله بن امية ونوفل بن خويلد ومن ضامهم مسحورا سحر فغلب على عقله او ذا سحر وهو الرية عنوا انه بشر لا ملك ضربوا لك الامثال
اي قالوا فيك تلك الاقوال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال النادرة من نبوة مشتركة بين انسان وملك والقا كنز عليك من السما وغير ذلك فبقوا ضلالا متحيرين
لا يجدون قولا يستقرون عليه او فضلوا عن الحق فلا يجدون طريقا اليه تبارك الذي ان شا وهب لك في الدنيا خيرا مما قالوا وهو ان يعجل لك مثل ما وعدك في الاخرة

من الجنان والقصور وقري ويجعل بالرفع عطفا على جعل لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جزايه الجزم والرفع كقوله وان اتاه خليل يوم مسالة يقول لا غايب
مالي ولا حرم ويجوز في يجعل لك اذا ادغمت ان يكون اللام في تقدير الجزم والرفع جميعا وقري بالنصب على انه جواب الشرط بالواو بل كذبوا عطف على ما حكى عنهم
يقول بل اتوا باعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة ويجوز ان يتصل بما يليه كانه قيل بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل
مثل ما وعدك في الاخرة وهم لا يومنون بالاخرة السعير النار الشديدة الاستعار وعن الحسن انه اسم من اسما جهنم رايتهم من قولهم دورهم تتراى وتتناظر ومن قوله
عليه السلام لا تتراى ناراهما كان بعضها يرى بعضا على سبيل المجاز والمعنى اذا كانت منهم بمراى الناظر في البعد سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والا
والزافر ويجوز ان يراد اذا راتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام منهم الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة ولذلك وصف الله
الجنة بان عرضها السموات والارض وجا في الاحاديث ان لكل مومن من القصور والجنان كذا وكذا ولقد جمع الله على اهل النار انواع التضييق والارهاق
حيث القاهم في مكان ضيق يتراصون فيه تراصا كما روي عن النبي ابن عباس رضي الله عنه في تفسيره انه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح وهم مع ذلك الضيق مسلسلون
مقرنون في السلاسل قرنت ايديهم الى اعناقهم في الجوامع وقيل يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي ارجلهم الاصفاد والثبور الهلاك ودعاوه ان يقال
واثبوراه اي يقال يا ثبور تعال فهذا حينك وزمانك لا تدعوا اي يقال لهم ذلك او هم احقا بان يقال لهم وان لم يكن ثم قول ومعنى وادعوا ثبورا كثيرا انكم وقعتم
فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير اما لان العذاب انواع والوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته او لانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا
غاية لهلاكهم الراجع الى الموصولين محذوف يعني وعدها المتقون وما يشاونه وانما قيل كانت لان ما وعده الله وحده فهو في تحققه كانه قد كان او كان
مكتوبا في اللوح قبل ان برأهم بازمنة متطاولة ان الجنة جزاوهم ومصيرهم فان قلت ما معنى قوله كانت جزا ومصيرا قلت هو كقوله تعالى نعم الثواب
وحسنت مرتفقا فمدح الثواب ومكانه كما قال بيس الشراب وساءت مرتفقا فذم العقاب ومكانه لان النعيم لا يتم للمتنعم الا بطيب المكان وسعته وموافقته
للمراد والشهوة والا تنغص وكذلك العقاب يتضاعف بغثاثة الموضع وضيقه وظلمته وجمعه لاسباب الاجتواء والكراهة فلذلك ذكر المصير مع ذكر الجزاء والضمير في
كان لما يشاون والوعد الموعود اي كان ذلك موعودا واجبا على ربك انجازه حقيقا ان يسال ويطلب لانه جزاء واجر مستحق وقيل قد سالة الناس والملايكة
في دعواتهم ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ويحشر فيقول كلاهما بالنون والياء
وقري يحشرهم بكسر الشين وما يعبدون يريد المعبودين من الملايكة والمسيح وعزير وعن الكلبي الاصنام ينطقها الله ويجوز ان يكون عاما لهم جميعا فان قلت كيف صح
استعمال ما في العقلاء قلت هو موضوع على العموم للعقلاء وغيرهم بدليل قولك اذا رايت شبحا من بعيد ما هو فاذا قيل لك انسان قلت حينيذ من هو ويدلك
قولهم من لما يعقل او اريد به الوصف كانه قيل ومعبوديهم الا تراك تقول اذا اردت السوال عن صفة زيد ما زيد اطويل ام قصير افقيه ام طبيب فان قلت ما فايدة
انتم وهم وهلا قيل اضللتم عبادي هولا ام ضلوا السبيل قلت ليس السوال عن الفعل ووجوده لانه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب وانما هو عن متوليه
فلا بد من ذكره وايلايه حرف الاستفهام حتى يعلم انه المسوول عنه فان قلت فالله قد سبق علمه بالمسوول عنه فما فايدة هذا السوال قلت فايدته ان يجيبوا
بما اجابوا عنه حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم اياهم فيبهتوا ويخذلوا وتزيد حسرتهم ويكون ذلك نوعا مما يلحقهم من غضب الله وعذابه ويغتبط المومنون ويفرحوا
بحالهم ونجاتهم من فضيحة اوليك وليكون حكاية ذلك في القران لطفا للمكلفين وفيه كسر بين لقول من يزعم ان الله يضل عباده على الحقيقة حيث يقول للمعبودين
من دونه انتم اضللتموهم ام هم ضلوا بانفسهم فيتبرون من اضلالهم ويستعيذون به ان يكونوا مضلين ويقولون بل انت تفضلت من غير سابقة على هولا
وابايهم تفضل جواد كريم فجعلوا النعمة التي حقها ان يكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر وكان ذلك سبب هلاكهم فاذا برات الملايكة والرسل انفسهم من
نسبة الاضلال الذي هو عمل الشياطين اليهم واستعاذوا منه فهم لربهم الغني العدل اشد تبرية وتنزيها منه ولقد نزهوه حين اضافوا اليه التفضل بالنعمة
والتمتع بها واسندوا نسيان الذكر والتسبب للبوار الى الكفرة فشرحوا الاضلال المجازي الذي اسنده الله الى ذاته في قوله يضل من يشا ولو كان هو المضل على
الحقيقة لكان الجواب العتيد ان يقولوا بل انت اضللتهم والمعنى انتم اوقعتموهم في الضلال عن طريق الحق ام هم ضلوا عنه بانفسهم وضل مطاوع اضل وكان

القياس ضل الاضل عن السبيل الا انهم تركوا الجادة كما تركوه فهداه الطريق و للطريق و الاصل الى الطريق و قولهم اضل البعير في معنى جعله ضالا اي ضايعا لما كان اكثر
ذلك بتفريط من صاحبه وقلة احتياط في حفظه قيل اضله سوا كان منه فعل اولم يكن سبحانك تعجب منهم وقد تعجبوا مما قيل لهم لانهم ملايكة و الانبيا معصومون
فما ابعدهم عن الاضلال الذي هو مختص بابليس وحزبه او نطقوا بسبحانك ليدلوا على انهم المسبحون المقدسون الموسومون بذلك فكيف يليق بحالهم ان يضلوا
عباده او قصدوا به تنزيهه عن الانداد وان يكون له ملك او نبي او غيرهما ندا ثم قالوا ما كان يصح لنا ولا يستقيم ونحن معصومون ان نتولي احدا دونك فكيف
يصح لنا ان نحمل غيرنا على ان يتولونا دونك او ما كان ينبغي لنا ان نكون امثال الشياطين في توليهم الكفار كما تولاهم الكفار قال الله تعالى فقاتلوا اوليا الشيطان
يريد الكفرة و قال و الذين كفروا اوليا هم الطاغوت وقرا ابو جعفر المدني نتخذ على البنا للمفعول وهذا الفعل اعني اتخذ يتعدي الي مفعول واحد كقولك اتخذ
وليا والي مفعولين كقولك اتخذ فلانا وليا قال الله تعالى ام اتخذوا الهة من الارض قال اتخذ الله ابراهيم خليلا فالقراة الاولي من المتعدي الي واحد وهو
من اوليا والاصل ان نتخذ اوليا فزيدت من لتاكيد معني النفي و الثانية من المتعدي الي مفعولين فالاول ما بني له الفعل و الثاني من اوليا ومن للتبعيض
اي لا نتخذ بعض اوليا وتنكير اوليا من حيث انهم اوليا مخصوصون وهم الجن والاصنام والذكر ذكر الله والايمان به او القران و الشرايع و البور الهلاك
يوصف به الواحد والجمع ويجوز ان يكون جمع باير كعايذ وعوذ هذه المفاجاة بالاحتجاج و الالزام حسنة رايعة وخاصة اذا انضم اليها الالتفات وحذف
القول ونحوها قوله تعالى يا اهل الكتاب قد جاكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جانا من بشير ولا نذير فقد جاكم بشير ونذير وقول القايل
قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جينا خراسانا وقري تقولون بالتا و اليا فمعني من قرا بالتا فقد كذبوكم بقولكم انهم الهة ومعني من قرا
باليا فقد كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اوليا فان قلت هل يختلف حكم اليا مع التا و اليا قلت اي والله هي مع التا
كقوله تعالى بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من الضمير كانه قيل فقد كذبوا بما تقولون وهي مع اليا كقولك كتبت بالقلم وقري تستطيعون باليا والتا
ايضا يعني فما تستطيعون انتم يا كفار صرف العذاب عنكم وقيل الصرف التوبة وقيل الحيلة من قولهم انه ليتصرف اي يحتال او فما يستطيع الهتكم ان يصرفوا
عنكم العذاب او ان يحتالوا لكم الخطاب على العموم للمكلفين والعذاب الكبير لاحق بكل من ظلم والكافر ظالم لقوله ان الشرك لظلم عظيم و الفاسق المصر ظالم لقوله
ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون وقري يذقه باليا وفيه ضمير الله او ضمير مصدر يظلم الجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف و المعني وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين
الا اكلين وماشين وانما حذف اكتفا بالجار والمجرور من المرسلين ونحوه قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم على معني وما منا احد وقري ويمشون على البنا للمفعول
اي يمشيهم حوايجهم او الناس ولو قري يمشّون لكان اوجه لولا الرواية وقيل هو احتجاج على من قال ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق فتنة اي محنة وابتلا
وهذا تصبير لرسول الله على ما قالوه واستبدعوه من اكله الطعام ومشيه في الاسواق بعدما احتج عليهم بساير الرسل يقول اجري عادتي وموجب حكمتي على ابتلا بعضكم
ايها الناس ببعض والمعني انه ابتلي المرسلين بالمرسل اليهم ومناصبتهم لهم العداوة و اقاويلهم الخارجة عن حد الانصاف وانواع اذاهم وطلب منهم الصبر الجميل
ونحوه ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذي كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وموقع اتصبرون بعد ذكر الفتنة موقع
ايكم بعد الابتلا في قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا بصيرا عالما بالصواب فيما يبتلي به وغيره فلا يضيقن صدرك ولا يستخفنك اقاويلهم فان في صبرك عليها سعادتك و
فوزك في الدارين وقيل هو تسلية له عما عيروه به من الفقر حين قالوا او يلقي اليه كنز او تكون له جنة ياكل منها وانه جعل الاغنيا فتنة للفقرا لننظر هل تصبرون
وانها حكمة ومشية يغني من يشا ويفقر من يشا وقيل جعلناك فتنة لهم لانك لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنان لكان ميلهم اليك وطاعتهم لك للدنيا او ممزوجة
بالدنيا وانما بعثناك فقيرا ليكون طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله من غير طمع دنيوي وقيل كان ابو جهل و الوليد بن المغيرة و العاص بن وايل ومن في طبقتهم يقولون
ان اسلمنا وقد اسلم قبلنا عمار وصهيب وبلال وفلان وفلان ترفعوا علينا ادلالا بالسابقة فهو افتتان بعضهم ببعض اي لا يا ملون لقانا بالخير لانهم كفرة
او لا يخافون لقانا بالشر والرجا في لغة تهامة الخوف وبه فسر قوله تعالى لا ترجون لله وقارا جعلت الصيرورة الى دار جزايه بمنزلة لقايه لو كان ملقيا اقترحوا
من الايات ان ينزل الله عليهم الملايكة فتخبرهم بان محمدا صادق حتى يصدقوه او يروا الله جهرة فيامرهم بتصديقه واتباعه ولا يخلوا اما ان يكونوا عالمين بان الله

لا يرسل الملائكة الى غير الانبياء وان الله لا يصح ان يرى وانما علقوا ايمانهم بما لا يكون وانما ان لا يكونوا عالمين بذلك وانما ارادوا التعنت باقتراح ايات سوى
الايات التي نزلت وقامت بها الحجة عليهم كما فعل قوم موسى حين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فان قلت ما معنى في انفسهم قلت معناه انهم اضمروا الاستكبار
عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه كما قال ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم يقال عتا علينا فلان وقد وصف العتو
بالكبير فبالغ في افراطه يعني انهم لم يجسروا على هذا القول العظيم الا لانهم بلغوا غاية الاستكبار واقصى العتو واللام جواب قسم محذوف وهذه الجملة في حسن استينافها
غاية وفي اسلوبها قول القائل وجارة جساس ابانا بنابها كليبا غلت ناب كليب بواؤها وفي فحوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ تعجب الا ترى ان المعنى ما اشد
استكبارهم وما اكبر عتوهم وما اغلى نابا بواؤها كليب يوم يرون منصوب باحد شيئين اما بما دل عليه لا بشرى اي يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى ويعد
مونها ويومئذ للتكرير واما باضمار اذكر اي اذكر يوم يرون الملائكة ثم قال لا بشرى يومئذ للمجرمين وقوله للمجرمين اما ظاهر في موضع ضمير واما لانه عام فقد
تناولهم بعمومه حجرا محجورا ذكره سيبويه في باب المصادر غير المتصرفة المنصوبة بافعال متروك اظهارها نحو معاذ الله وقعدك وعمرك وهذه كلمة كانوا يتكلمون
بها عند لقاء عدو موتور او هجوم نازلة او نحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة قال سيبويه ويقول الرجل للرجل اتفعل كذا وكذا فيقول حجرا وهي من
حجره اذا منعه لان المستعيذ طالب من الله ان يمنع المكروه فلا يلحقه فكان المعنى اسال الله ان يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا ومجيئه على فُعل او فِعل في قراءة
الحسن تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما كان قعدك وعمرك كذلك وانشدت لبعض الرجاز قالت وفيها حيرة وذعر عوذ بربي منكم وحجر قلت فاذ قد
ثبت انه من باب المصادر فما معنى وصفه بمحجورا قلت جاءت هذه الصفة لتاكيد معنى الحجر كما قالوا ذيل ذايل والذيل الهوان وموت مايت والمعنى في الاية انهم
يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه وهم اذا راوهم عند الموت او يوم القيمة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لانهم لا يلقونهم الا بما يكرهون وقالوا عند رؤيتهم
ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو الموتور والشدة النازلة وقيل هو من قول الملائكة ومعناه حراما محرما عليكم الغفران والجنة او البشرى اي جعل الله ذلك
حراما عليكم ليس ههنا قدوم ولا ما يشبه القدوم ولكن مثلت حال هؤلاء واعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على اسير
وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم الى اشيائهم وقصد الى ما تحت ايديهم فافسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك
لها اثرا ولا عثيرا والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار وفي امثالهم اقل من الهباء منثورا صفة للهباء شبهه بالهباء في قلته وحقارته عنده
وانه لا ينتفع به ثم بالمنثور منه لانك تراه منتظما مع الضوء فاذا حركته الريح رايته قد تناثر وذهب كل مذهب ونحوه قوله كعصف ماكول لم يكف ان شبههم بالعصف
حتى جعله موؤفا بالاكال ولا ان شبه عملهم بالهباء حتى جعله متناثرا ومفعول ثالث لجعلناه اي فجعلناه جامعا لحقارة الهباء والتناثر كقوله تعالى كونوا قردة
خاسئين اي جامعين للمسخ والخساء ولام الهباء واو بدليل الهبوة المستقر المكان الذي يكونون فيه في اكثر اوقاتهم مستقرين يتجالسون ويتحادثون
والمقيل المكان الذي ياوون اليه للاسترواح الى ازواجهم والتمتع بمغازلتهن وملامستهن كما ان المترفين في الدنيا يعيشون على ذلك الترتيب وروي انه يفرغ
من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وفي معناه قوله تعالى ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وازواجهم في
ظلال على الارائك متكئون قيل في تفسير الشغل افتضاض الابكار ولا نوم في الجنة وانما سمي مكان دعتهم واسترواحهم الى الحور مقيلا على طريق التشبيه وفي لفظ
الاحسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الوجوه وملاحة الصور الى غير ذلك من التحاسين والتزين وقرئ تشقق والاصل تتشقق فحذف بعضهم التاء وغيره ادغمها
ولما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كانه الذي تشقق به السماء كما تقول شق السنام بالشفرة وانشق بها ونظيره قوله السماء منفطر به فان قلت
اي فرق بين قولك انشقت الارض بالنبات وانشقت عن النبات قلت معنى انشقت به ان الله شقها بطلوعه فانشقت به ومعنى انشقت عنه ان التربة ارتفعت عنه
عند طلوعه والمعنى ان السماء تنفتح بغمام يخرج منها وفي الغمام الملائكة ينزلون وفي ايديهم صحايف اعمال العباد وروي تنشق سماء سماء وتنزل الملائكة
الى الارض وقيل هو غمام ابيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبني اسرائيل في تيههم وفي معناه قوله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام
والملائكة وقرئ وننزل الملائكة وتنزل الملائكة ونزلت الملائكة وانزل الملائكة ونزل الملائكة على حذف النون الذي هو فاء الفعل من ننزل قراءة اهل

ملك الحق الثابت لان كل ملك يزول يومئذ ويبطل ولا يبقى الا ملكه عض اليدين والانامل والسقوط في اليد واكل البنان وحرق الاسنان والارم وفرعها
كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفها فتذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده في نفسه
من الروعة والاستحسان ما لا يجده عند لفظ المكني عنه وقيل نزلت في عقبة بن ابي معيط وكان يكثر مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل اتخذ ضيافة
فدعا اليها رسول الله فابى ان ياكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبات يا عقبة قال لا ولكن ابى ان لا ياكل
من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له والشهادة ليست في نفسي فقال وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطا قفاه وتبزق في وجهه وتلطم عينه
فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف فقتل يوم بدر امر عليا رضي الله عنه
بقتله وقيل قتله عاصم ابن ثابت بن افلح الانصاري وقال يا محمد الى من الصبية قال الى النار وطعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابيا باحد فرجع الى مكة فمات
واللام في الظالم يجوز ان يكون للعهد يراد به عقبة خاصة ويجوز ان يكون للجنس فيتناول عقبة وغيره تمنوا ان لو صحب الرسول وسلك معه طريقا واحدا وهو طريق
الحق ولم يتشعب به طرق الضلالة والهوى او اراد اني كنت ضالا لم يكن لي سبيل قط فليتني حصلت لنفسي في صحبة الرسول سبيلا وقرئ يا ويلتي بالياء وهو الاصل
لان الرجل ينادي ويلته وهي هلكته يقول لها تعالي فهذا اوانك وانما قلبت الياء الفا كما في صحاري ومداري فلان كناية عن الاعلام كما ان الهن
كناية عن الاجناس فان اريد بالظالم عقبة فالمعنى يا ليتني لم اتخذ ابيا خليلا فكنى عن اسمه وان اريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله اسم
علم لا محالة فجعله كناية عنه عن الذكر عن ذكر الله او القرآن او موعظة الرسول ويجوز ان يريد نطقه بشهادة الحق وعزمه على الاسلام والشيطان اشارة
الى خليله سماه شيطانا لانه اضله كما يضل الشيطان ثم خذله ولم ينفعه في العاقبة او اراد ابليس وانه هو الذي حمله على مخالة المضل ومخالفة الرسول
ثم خذله او اراد الجنس وكل من تشيطن من الجن والانس ويحتمل ان يكون وكان الشيطان حكاية كلام الظالم وان لا يكون كلام الله اتخذت يقرا على الادغام
والاظهار والادغام اكثر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقومه قريش حكى الله عنه شكواه قومه اليه وفي هذه الحكاية تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لان الانبياء
كانوا اذا التجوا اليه وشكوا اليه قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا ثم اقبل عليه مسليا ومؤسيا وواعد النصرة عليهم فقال كذلك كان كل نبي قبلك مبتلى بعداوة
قومه وكفاك بي هاديا الى طريق قهرهم والانتصار منهم وناصرا لك عليهم مهجورا تركوه وصدوا عنه وعن الايمان به وعن النبي صلى الله عليه وسلم من تعلم
القرآن وعلمه وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيمة متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه وقيل من
هجر اذا هذى اي جعلوه مهجورا فيه فحذف الجار وهو على وجهين احدهما زعمهم انه هذيان وباطل واساطير الاولين والثاني انهم كانوا اذا سمعوه هجروا فيه
كقوله تعالى لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ويجوز ان يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول والمعنى اتخذوه هجرا والعدو يجوز ان يكون واحدا وجمعا كقوله
فانهم عدو لي وقيل المعنى وقال الرسول يوم القيمة نزل ههنا بمعنى انزل لا غير كخبر بمعنى اخبر والا كان متدافعا وهذا ايضا من اعتراضاتهم واقتراحاتهم الدالة
على تمردهم عن الحق وتجافيهم عن اتباعه قالوا هلا انزل عليه دفعة في وقت واحد كما انزل الكتب الثلاثة وماله انزل على التفاريق والقائلون قريش
وقيل اليهود وهذا فضول من القول ومماراة بما لا طائل تحته لان امر الاعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة او مفرقا وقوله كذلك جواب
لهم اي كذلك انزل مفرقا والحكمة فيه ان نقوي بتفريقه فؤادك حتى تعيه وتحفظه لان المتلقن انما يقوي قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شيء وجزءا عقيب جزء
ولو القي عليه جملة واحدة لبعل به وتعيا بحفظه والرسول صلى الله عليه وسلم فارقت حاله حال موسى وداود وعيسى حيث كان اميا لا يقرا ولا يكتب وهم
كانوا قارئين كاتبين فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ فانزل عليه منجما في عشرين سنة وقيل في ثلث وعشرين وايضا فكان ينزل على حسب الحوادث و
جوابات السائلين ولان بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا يتاتى ذلك الا فيما انزل مفرقا فان قلت ذلك في كذلك يجب ان يكون اشارة الى شيء تقدم والذي
تقدم هو انزاله جملة فكيف فسرته بكذلك انزلناه مفرقا قلت لان قولهم لولا انزل عليه جملة واحدة معناه لم انزل مفرقا والدليل على فساد هذا الاعتراض انهم
عجزوا عن ان ياتوا بنجم واحد من نجومه وتحدوا بسورة واحدة من اصغر السور فابرزوا صفحة عجزهم وسجلوا به على انفسهم حين لاذوا بالمناصبة وفزعوا

الى المحاربة ثم قالوا هلا انزل جملة واحدة كانهم قدروا على تفاريقه حتى يقدروا على جملته ورتلناه معطوف على الفعل الذي تعلق به كذلك كانه قال كذلك
فرقناه ورتلناه ومعنى ترتيله ان قدره اية بعد اية ووقفة عقيب وقفة ويجوز ان يكون المعنى وامرنا بترتيل قراءته وذلك قوله ورتل القران ترتيلا اي
٢٧٣
اقراه بترسل وتثبت ومنه حديث عائشة رضي الله عنها في صفة قراءته لا كسردكم هذا لو اراد السامع ان يعد حروفه يعدها واصله الترتيل في الاسنان وهو
تفليجها يقال ثغر رتل ومرتل ويشبه بنور الاقحوان في تفليجه وقيل هو ان نزله مع كونه متفرقا على تمكث وتمهل في مدة متباعدة وهي عشرون سنة ولم يفرقه
في مدة متقاربة ولا ياتونك بمثل عجيب من سؤالاتهم الباطلة كانه مثل في البطلان الا جئناك بالحق بالجواب الحق الذي لا محيد عنه واحسن معنى ومؤدى
من سؤالهم ولما كان التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا او ولا ياتونك بحال
وصفة عجيبة يقولون هلا كانت هذه صفتك وحالك نحو ان يقرن بك ملك ينذر معك او يلقى اليك كنز او تكون لك جنة او ينزل عليك القران جملة الا اعطيناك
نحن من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا ومشيتنا ان نعطاه وما هو احسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحة يعني ان تنزيله مفرقا وتحديهم بان ياتوا ببعض
تلك التفاريق كلما نزل شيء منها ادخل في الاعجاز وانور للحجة من ان ينزل كله جملة ويقال لهم جيئوا بمثل هذا الكتاب في فصاحته مع بعد ما بين طرفيه كانه قيل
لهم ان حاملكم على هذه السؤالات انكم تضللون سبيله وتحتقرون مكانه ومنزلته ولو نظرتم بعين الانصاف وانتم من المسحوبين على وجوههم الى جهنم لعلمتم
ان مكانكم شر من مكانه وسبيلكم اضل من سبيله وفي طريقته قوله قل هل انبئكم بشر من ذلكم مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه الاية ويجوز ان يراد
بالمكان الشرف والمنزلة وان يراد الدار والمسكن كقوله اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازي وعن النبي صلى الله
عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة على ثلثة اثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على اقدامهم ينسلون نسلا الوزارة لا تنافي النبوة فقد كان يبعث
في الزمن الواحد انبياء ويؤمرون بان يوازر بعضهم بعضا والمعنى فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم كقوله اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب فانفلق اراد
اختصار القصة فذكر حاشيتيها اولها واخرها لانهما المقصود من القصة بطولها اعني الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم وعن علي رضي الله
عنه فدمرتهم وعنه فدمرانهم وقرئ فدمرانهم على التاكيد بالنون الثقيلة كانهم كذبوا نوحا ومن قبله من الرسل صريحا او كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا
للجميع او لم يروا بعثة الرسل اصلا كالبراهمة وجعلناهم وجعلنا اغراقهم او قصتهم للظالمين اما ان يعني بهم قوم نوح واصله واعتدنا لهم الا انه قصد تظليمهم
فاظهر واما ان يتناولهم بعمومه عطف عادا على هم في جعلناهم او على الظالمين لان المعنى ووعدنا للظالمين وقرئ وثمود على تاويل القبيلة واما المنصرف
فعلى تاويل الحي او لانه اسم الاب الاكبر قيل في اصحاب الرس كانوا قوما من عبدة الاصنام اصحاب ابار ومواش فبعث الله اليهم شعيبا فدعاهم الى الاسلام
فتمادوا في طغيانهم وفي ايذائه فبينما هم حول الرس وهو البير غير المطوية اي غير المبنية بالحجارة والاجر وغيرهما عن ابي عبيدة انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم
وقيل الرس قرية بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود قوم صالح وقيل هم اصحاب النبي حنظلة بن صفوان كانوا مبتلين بالعنقاء وهي اعظم ما يكون
من الطير سميت لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتح وبعضهم قالوا فيج بالياء والجيم والصحيح الاول وهي تنقض على صبيانهم فتخطفهم ان اعوزها
الصيد فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة فاهلكوا وقيل هم اصحاب الاخدود والرس هو الاخدود وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها
حبيبا النجار وقيل كذبوا نبيهم ورسوه في بير اي دسوه فيها بين ذلك اي بين ذلك المذكور وقد يذكر الذاكر اشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك ويحسب الحاسب
اعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على معنى فذلك المحسوب او المعدود ضربنا له الامثال بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين ووصفنا لهم ما اجروا
اليه من تكذيب الانبياء وجرى عليهم من عذاب الله وتدميره والتتبير التفتيت والتكسير ومنه التبر وهو كسار الذهب والفضة والزجاج وكلا الاول منصوب بما
دل عليه ضربنا له الامثال وهو انذرنا او حذرنا والثاني بتبرنا لانه فارغ له اراد بالقرية سدوم من قرى لوط وكانت خمسا اهلك الله اربعا باهلها وبقيت
واحدة ومطر السوء الحجارة يعني ان قريشا مروا مرارا كثيرة في متاجرهم الى الشام على تلك القرية التي اهلكت بالحجارة من السماء افلم يكونوا في مرار مرورهم
ينظرون الى اثار عذاب الله ونكاله ويذكرون بل كانوا قوما كفرة بالبعث لا يتوقعون نشورا وعاقبة فوضع الرجاء موضع التوقع لانه انما يتوقع العاقبة

من يوم من فخ ثم لم ينظروا ولم يذكروا وهم مروا بها كما مرت ركابهم او لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون لطمعهم في الوصول الى ثواب اعمالهم او لا يخافون على اللغة التهامية
ان الاولى نافية والثانية مخففة من المثقلة واللام هي الفارقة واتخذه هزوا في موضع استهزاء به والاصل اتخذه موضع هزؤ او مهزوا به اهذا محكي بعد القول
المضمر وهذا استصغار وبعث الله رسولا واخراجه في معرض التسليم والاقرار وهم على غاية الجحود والانكار سخرية واستهزاء ولو لم يستهزؤا لقالوا اهذا الذي زعم
او ادعى انه مبعوث من عند الله رسولا وقولهم ان كاد ليضلنا دليل على فرط مجاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوتهم وبذله قصارى الوسع والطاقة في استعطافهم
مع عرض الايات والمعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم ان يتركوا دينهم الى دين الاسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة الهتهم ولولا في مثل هذا الكلام جار من حيث
المعنى لا من حيث الصيغة مجرى التقييد للحكم المطلق وسوف يعلمون وعيد ودلالة على انهم لا يفوتونه وان طالت مدة الامهال ولا بد للوعيد ان يلحقهم فلا يغرنهم التاخير
وقوله من اضل سبيلا كالجواب عن قولهم ان كاد ليضلنا لانه نسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى الضلال من حيث لا يضل غيره الا من هو ضال في نفسه ويروى انه من قول
ابي جهل لعنه الله من كان في طاعة الهوى في دينه يتبعه في كل ما ياتي ويذر لا يتبصر دليلا ولا يصغى الى برهان فهو عابد هواه وجاعله الهه فيقول لرسوله هذا الذي
لا يرى معبودا الا هواه كيف تستطيع ان تدعوه الى الهدى افتتوكل عليه وتجبره على الاسلام وتقول لا بد ان تسلم شئت او ابيت ولا اكراه في الدين وهذا كقوله
وما انت عليهم بجبار ولست عليهم بمسيطر ويروى ان الرجل منهم كان يعبد الحجر فاذا راى احسن منه رمى به واخذ اخر ومنهم الحارث بن قيس السهمي ام هذه منقطعة
معناه بل اتحسب كان هذه المذمة اشد من التي تقدمتها حتى حقت بالاضراب عنها وهي كونهم مسلوبي الاسماع والعقول لانهم لا يلقون الى استماع الحق اذنا ولا الى
تدبره عقلا ومشبهين بالانعام التي هي مثل في الغفلة والضلالة ثم ارجح ضلالة منها فان قلت لم اخر هواه والاصل قولك اتخذ الهوى الها قلت ما هو
الا تقديم المفعول الثاني على الاول للعناية كما تقول علمت منطلقا زيدا لفضل عنايتك بالمنطلق فان قلت ما معنى ذكر الاكثر قلت كان فيهم من
لم يصده عن الاسلام الا داء واحد وهو حب الرياسة وكفى به داء عضالا فان قلت كيف جعلوا اضل من الانعام قلت لان الانعام تنقاد لاربابها التي
تعلفها وتتعهدها وتعرف من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون
احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذي هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار والمهالك ولا
يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والعذب الروي الم تر الى ربك الم تنظر الى صنع ربك وقدرته ومعنى مد الظل ان جعله يمتد وينبسط فينتفع به الناس
ولو شاء لجعله ساكنا اي لاصقا باصل كل مظل من جبل وبناء وشجرة غير منبسط فلم ينتفع به احد سمي انبساط الظل وامتداده تحركا منه وعدم ذلك سكونا
ومعنى كون الشمس دليلا ان الناس يستدلون بالشمس واحوالها في مسيرها على احوال الظل من كونه ثابتا في مكان وزائلا ومتسعا ومتقلصا فيبنون حاجتهم
الى الظل واستغناءهم عنه على حسب ذلك وقبضه الينا انه ينسخه بضح الشمس يسيرا اي على مهل وفي هذا القبض اليسير شيئا بعد شيء من المنافع ما لا يعد ولا يحصر ولو
قبض دفعة واحدة لتعطلت اكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعا فان قلت ثم في هذين الموضعين كيف موقعها قلت موقعها لبيان تفاضل الامور الثلاثة
كان الثاني اعظم من الاول والثالث اعظم منهما تشبيها لتباعد ما بينها في الفضل بتباعد ما بين الحوادث في الوقت ووجه اخر وهو انه مد الظل حين بنى السماء
كالقبة المضروبة ودحا الارض تحتها فالقت القبة ظلها على الارض فينانا ما في اديمه جوب لعدم النير ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق
الشمس وجعلها على ذلك الظل اي سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا
سهلا يسيرا غير عسير ويحتمل ان يريد قبضه عند قيام الساعة بقبض اسبابه وهي الاجرام التي تلقي الظل فيكون قد ذكر اعدامه باعدام اسبابه كما ذكر انشاءه
بانشاء اسبابه وقوله قبضناه الينا يدل عليه وكذلك قوله يسيرا كما قال ذلك حشر علينا يسير شبه ما يستر من ظلام الليل باللباس الساتر والسبات الموت و
المسبوت الميت لانه مقطوع الحيوة وهذا كقوله وهو الذي يتوفيكم بالليل فان قلت هلا فسرته بالراحة قلت النشور في مقابلته يأباه اباء العيوف الورد
وهو مرنق وهذه الاية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها اظهار لنعمته على خلقه لان الاحتجاب بستر الليل كم فيه لكثير من الناس من فوايد دينية ودنياوية و
النوم واليقظة وشبههما بالموت والحيوة اي عبرة فيهما لمن اعتبر وعن لقمان انه قال لابنه يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر وقرئ الريح والرياح

نُشُرًا احياء، ونُشُرًا جمع نشور وهي المحيية ونُشْرًا تخفيف نُشُر وبُشْرًا تخفيف بُشُر جمع بشور وبشرى وبين يدي رحمته استعارة مليحة اي قدام المطر طهورا
بليغا في طهارته وعن احمد بن يحيى هو ما كان طاهرا في نفسه مطهرا لغيره فان كان ما قاله شرحا لبلاغته في الطهارة كان سديدا ويعضده قوله تعالى وينزل
عليكم من السماء ماء ليطهركم به والا فليس فعول من التفعيل في شيء والطهور على وجهين في العربية صفة واسم غير صفة فالصفة قولك ماء طهور كقولك طاهر
والاسم قولك لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضا به وتوقد به النار وقولهم تطهرت طهورا حسنا كقولك وضوءا حسنا ذكره سيبويه ومنه
قوله عليه السلام لا صلوة الا بطهور اي بطهارة فان قلت ما الذي يزيل عن الماء اسم الطهور قلت تيقن مخالطة النجاسة او غلبتها على الظن تغير احد اوصا[فه]
الثلثة او لم تغير او استعماله في البدن لاداء عبادة عند ابي حنيفة رحمه الله وعند مالك بن انس ما لم يتغير احد اوصافه فهو طهور فان قلت فما تقول في قوله
عليه السلام حين سيل عن بير بضاعة فقال الماء طهور لا ينجسه شيء الا ما غير لونه او طعمه او ريحه قلت قال الواقدي كان بير بضاعة طريقا للماء الى
البساتين وانما قال ميتا لان البلدة في معنى البلد في قوله فسقناه الى بلد ميت وانه غير جار على الفعل كفعول ومفعال ومفعيل وقري نسقيه بالفتح
وسقى واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا الاناسي جمع انسي او انسان ونحوه ظرابي في ظربان على قلب النون ياء والاصل اناسين وظرابين وقري
بالتخفيف بحذف ياء افاعيل كقولك اناعم في اناعيم فان قلت انزال الماء موصوفا بالطهارة وتعليله بالاحياء والسقي يوذن بان الطهارة شرط
في صحة ذلك كما يقول احملني الامير على فرس جواد لاصيد عليه الوحش قلت لما كان سقي الاناسي من جملة ما انزل له الماء وصفه بالطهور اكراما لهم وتتميما للمنة
عليهم وبيانا ان من حقهم حين اراد الله لهم الطهارة وارادهم عليها ان يوثروها في بواطنهم ثم في ظواهرهم وان يربأوا بانفسهم عن مخالطة القاذو[رات]
كلها كما ربا بهم ربهم فان قلت لم خص الانعام من بين ما خلق من الحيوان الشارب قلت لان الطير والوحش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب الانعام
ولانها قنية الاناسي وعامة منافعهم متعلقة بها وكان الانعام عليهم بسقي انعامهم كالانعام بسقيهم فان قلت فما معنى تنكير الانعام والاناسي
ووصفها بالكثرة قلت معنى ذلك ان علية الناس وجلهم منيخون بالقرب من الاودية والانهار ومنابع الماء ففيهم غنية عن سقي الماء واعقابهم وهم كثير
منهم لا يعيشهم الا ما ينزل الله من رحمته وسقيا سمايه وكذلك قوله لنحيي به بلدة ميتا يريد بعض بلاد هولاء المتبعدين عن مظان الماء فان قلت فلم قدم
احياء الارض وسقي الانعام على سقي الاناسي قلت لان حيوة الاناسي بحيوة ارضهم وحيوة انعامهم فقدم ما هو سبب حيوتهم وتعيشهم على سقيهم ولانهم
اذا ظفروا بما يكون سقيا ارضهم ومواشيهم لم يعدموا سقياهم يريد ولقد صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وفي ساير الكتب والصحف التي انزلت على الرسل
وهو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر ليفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا فابى اكثرهم الا كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث
لها وقيل صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة ورهام فابوا
الا الكفور وان يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله ورحمته وعن ابن عباس ما من عام اقل مطرا من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء
وتلا هذه الاية وروي ان الملايكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لانه لا يختلف ولكن يختلف فيه البلاد وينتزع من هاهنا جواب في تنكير البلدة
والانعام والاناسي كانه قال لنحيي به بعض البلاد الميتة ونسقيه بعض الانعام والاناسي وذلك البعض كثير فان قلت هل يكفر من ينسب الامطار الى
الانواء قلت ان كان لا يراها الا من الانواء ويجحد ان يكون هي والانواء من خلق الله فهو كافر وان كان يرى ان الله خالقها وقد نصب الانواء دلايل
وامارات عليها لم يكفر يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولو شينا لخففنا عنك اعباء نذارة جميع القرى ولبعثنا في كل قرية نبيا ينذرها فانما قصرنا
الامر عليك وعظمناك واجللناك وفضلناك على ساير الرسل فقابل ذلك بالتشدد والتصبر ولا تطع الكافرين فيما يريدونك وانما اراد بهذا تهييجه وتهييج
المومنين وتحريكهم والضمير للقرآن او لترك الطاعة الذي يدل عليه ولا تطع والمراد ان الكفار يجدون ويجتهدون في توهين امرك فقابلهم من جدك
واجتهادك وعضك على نواجذك بما تغلبهم به وتعلوهم واجعله جهادا كبيرا لما يحتمل فيه من المشاق العظام ويجوز ان يرجع الضمير في به الى ما دل عليه
ولو شينا لبعثنا في كل قرية نذيرا من كونه نذير كافة القرى لانه لو بعث في كل قرية نذيرا لوجبت على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله صلى الله

عليه وسلم تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده من اجل ذلك وعظم فقال له وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القري جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة سمي الماين الكثيرين
الواسعين بحرين والفرات البليغ العذوبة حتي يضرب الي الحلاوة و الاجاج نقيضه ومرجهما خلاهما متجاورين متلاصقين به وهو بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما
التمازج وهذا من عظيم اقتداره وفي كلام بعضهم وبحران احدهما مع الاخر ممزوج وما العذب منهما بالاجاج ممزوج برزخا حايلا من قدرته كقوله عز وجل
بغير عمد ترونها يريد بغير عمد مرية وهو قدرته و قري ملح علي فعل وقيل كانه حذف من مالح تخفيفا كما قال وصليانا بردا يريد باردا فان قلت وحجرا محجورا
ما معناه قلت هي الكلمة التي يقولها المتعوذ وقد فسرناها وهي هاهنا واقعة علي سبيل المجاز كان كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له حجرا محجورا كما قال
لا يبغيان اي لا يبغي احدهما علي صاحبه بالممازجة فانتفا البغي ثم كالتعوذ هاهنا جعل كل واحد منهما في صورة الباغي علي صاحبه فهو يتعوذ منه وهي من احسن
الاستعارات واشهدها علي البلاغة اراد فقسم البشر قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم فيقال فلان ابن فلان و فلانة بنت فلان و ذوات صهر اي اناثا
يصاهر بهن ونحوه قوله فجعل منه الزوجين الذكر والانثي وكان ربك قديرا حيث خلق من النطفة الواحدة بشرا نوعين ذكرا وانثي الظهير والمظاهر كالعوين
والمعاون فعيل بمعني مفاعل غير عزيز والمعني ان الكافر يظاهر الشيطان علي ربه بالعداوة والشرك روي انها نزلت في ابي جهل لعنه الله ويجوز ان يريد بالظهير
الجماعة كقوله والملايكة بعد ذلك ظهير كما جا الصديق والخليط ويريد بالكافر الجنس وان بعضهم مظاهر لبعض علي اطفا نور دين الله وقيل معناه وكان الذي
يفعل هذا الفعل وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر علي ربه هينا مهينا من قولهم ظهرت به اذا خلفته خلف ظهرك لا تلتفت اليه وهذا نحو قوله اولئك لا خلاق لهم في
الاخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم مثال الا من شا والمراد الا فعل من شا واستثناؤه عن الاجر قول ذي شفقة عليك قد سعي لك في تحصيل مال ما اطلب
منك ثوابا علي ما سعيت الا ان تحفظ هذا المال ولا تضيعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صوره هو بصورة الثواب وسماه باسمه فافاد فايدتين
احديهما قلع شبهة الطمع في الثواب من اصله كانه يقول ان كان حفظك لمالك ثوابا فاني اطلب الثواب والثانية اظهار الشفقة البالغة وانك ان حفظت مالك
اعتد بحفظك ثوابا ورضي به كما يرضي المثاب بالثواب ولعمري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مع المبعوث اليهم بهذا الصدد وفوقه ومعني اتخاذهم الي الله سبيلا
تقربهم اليه وطلبهم عنده الزلفي بالايمان والطاعة وقيل المراد التقرب بالصدقة والنفقة في سبيل الله امره بان يثق به ويسند امره اليه في استكفا شرورهم
مع التمسك بقاعدة التوكل واساس الالتجا وهو طاعته وعبادته وتنزيهه وتحميده وعرفه ان الحي الذي لا يموت حقيق بان يتوكل عليه وحده ولا يتكل علي غيره
من الاحيا الذين يموتون وعن بعض السلف انه قراها فقال لا يصح لذي عقل ان يثق بعدها بمخلوق ثم اراه ان ليس اليه من امر عباده شي امنوا ام كفروا وانه
خبير باحوالهم كاف في جزا اعمالهم في ستة ايام يعني في مدة مقدارها هذه المدة لانه لم يكن حينئذ نهار ولا ليل وقيل ستة ايام من ايام الاخرة وكل يوم الف
سنة والظاهر انها من ايام الدنيا وعن مجاهد اولها يوم الاحد واخرها يوم الجمعة ووجهه ان يسمي الله تعالي للملايكة تلك الايام المقدرة بهذه الاسما فلما
خلق الشمس وادارها وترتب امر العالم علي ما هو عليه جرت التسمية علي هذه الايام واما الداعي الي هذا العدد اعني الستة دون ساير الاعداد فلا نشك انه داعي
حكمة لعلمنا انه لا يقدر تقديرا الا بداعي حكمة وان كنا لا نطلع عليه ولا نهتدي الي معرفته ومن ذلك تقدير الملايكة الذين هم اصحاب النار تسعة عشر وحملة
العرش ثمانية والشهور اثني عشر والسموات سبعا والارض كذلك والصلوات خمسا واعداد النصب والحدود والكفارات وغير ذلك بدواعي الحكمة في جميع
افعاله وبان ما قدره حق وصواب هو الايمان وقد نص عليه في قوله وما جعلنا اصحاب النار الا ملايكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن
الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمومنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا
مثلا ثم قال وما يعلم جنود ربك الا هو وهو الجواب ايضا في ان لم يخلقها في لحظة وهو قادر علي ذلك وعن سعيد بن جبير انما خلقها في ستة ايام وهو يقدر علي
ان يخلقها في لحظة تعليما للخلق الرفق والتثبت وقيل اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله الله عيدا للمسلمين الذي خلق مبتدا والرحمن خبره او هو صفة للحي والرحمن
خبر مبتدا محذوف او بدل عن المستتر في استوي وقري الرحمن بالجر صفة للحي وقري فاسال والبا في به صلة سل كقوله سال سايل بعذاب واقع كما يكون عن صلة
في نحو قوله ثم لتسالن يومئذ عن النعيم فسال به كقولك اهتم به واعتني به واشتغل به وسال عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه ونقر عنه او صلة خبيرا وتجعل خبيرا

٢٧٥

معمول اسئل تريد فسل عنه رجلا عارفا يخبرك برحمته او فسل رجلا خبيرا به وبرحمته او فسل بسواله خبيرا كقولك رايت به اسدا اي بروية والمعنى ان سالته وجدته
خبيرا او يجعله حالا عن الها تريد فسل عنه عالما بكل شيء وقيل الرحمن اسم من اسماء الله تعالى مذكور في الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل فسل بهذا الاسم
من يخبرك من اهل الكتاب حتى تعرف من تنكره ومن ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذي باليمامة يعنون مسيلمة وكان يقال له رحمن اليمامة وما الرحمن يجوز
ان يكون سوالا عن المسمى به لانهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسوال عن المجهول بما او عن معناه لانه لم يكن مستعملا في كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم والراحم او لانهم انكروا اطلاقه على الله لما تامرنا اي للذي تامرناه بمعنى تامرنا
بسجوده على قوله امرتك الخير او لامرك لنا وقري بالياء كان بعضهم قال لبعض انسجد لما يامرنا محمد او يامرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو وفي زادهم ضميرا سجدوا
للرحمن لانه هو المقول البروج منازل الكواكب السبعة السيارة الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي
والدلو والحوت سميت بالبروج التي هي القصور العالية لان هذه الكواكب كالمنازل لسكانها واشتقاق البرج من التبرج لظهوره والسراج الشمس لقوله تعالى و
جعل الشمس سراجا وقري سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار وقرا الحسن والاعمش وقمرا منيرا وهي جمع ليلة قمراء كانه قمر منير لان الليالي تكون قمرا بالقمر فاضافه اليها و
نظيره في بقاء حكم المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف اليه مقامه قول حسان بردى يصفق بالرحيق السلسل يريد ماء بردى ولا يبعد ان تكون القمر بمعنى القمر كالرشد
والرشد والعرب والعرب الخلفة من خلف كالركبة من ركب وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الاخر والمعنى جعلهما ذوي خلفة اي ذوي
عقبة يعقب هذا ذاك وذاك هذا ويقال الليل والنهار يختلفان كما يقال يعتقبان ومنه قوله واختلاف الليل والنهار ويقال بفلان خلفة واختلاف اذا
اختلف كثيرا الى المتبرز وقري يذكر ويذكر وعن ابي بن كعب يتذكر والمعنى لينظر في اختلافهما الناظر فيعلم ان لا بد لانتقالهما من حال الى حال وتغيرهما من ناقل
ومغير ويستدل بذلك على عظيم قدرته ويشكر الشاكر على النعمة فيهما من السكون بالليل والتصرف بالنهار كما قال عز وجل ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا
فيه ولتبتغوا من فضله او ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته في احدهما ورده من العبادة قام به في الاخر وعن الحسن رحمه الله من فاته عمله من التذكر والشكر
بالنهار كان له في الليل مستعتب ومن فاته بالليل كان له في النهار مستعتب وعباد الرحمن مبتدا خبره في اخر السورة كانه قيل وعباد الرحمن الذين هذه صفاتهم
اولئك يجزون الغرفة ويجوز ان يكون خبره الذين يمشون واضافهم الى الرحمن تخصيصا وتفضيلا وقري عباد الرحمن وقري يمشون هونا حال او صفة للمشي بمعنى
هينين او مشيا هينا الا ان في وضع المصدر موضع الصفة مبالغة والهون الرفق واللين ومنه الحديث احبب حبيبك هونا ما وقوله المومنون هينون لينون والمثل
اذا عز اخوك فهن ومعناه اذا عاسر فياسر والمعنى انهم يمشون بسكينة ووقار وتواضع لا يضربون باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم اشرا وبطرا ولذلك كره بعض العلماء
الركوب في الاسواق ولقوله ويمشون في الاسواق سلاما تسليما منكم لا نجاهلكم ومتاركة لا خير بيننا ولا شر اي نتسلم منكم تسلما فاقيم السلام مقام التسلم
وقيل قالوا سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم والمراد بالجهل السفه وقلة الادب وسوء الرعة من قوله الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل
الجاهلينا وعن ابي العالية نسختها اية القتال ولا حاجة الى ذلك لان الاغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في الادب والمروة والشريعة واسلم للعرض
والورع البيتوتة خلاف الظلول وهو ان يدركك الليل نمت او لم تنم وقالوا من قرا شيا من القران في صلوة وان قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما
الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء والظاهر انه وصفهم باحياء الليل او اكثره يقال فلان يظل صائما ويبيت قائما غراما هلاكا وخسرانا ملحا لازما
قال يوم النسار ويوم الجفار كانا غراما وقال ان يعاقب يكن غراما وان يعط جزيلا فانه لا يبالي ومنه الغريم لالحاحه ولزامه وصفهم باحياء الليل ساجدين
وقائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه ايذانا بانهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون الى الله في صرف العذاب عنهم كقوله والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة
ساءت في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم ان وجعلها
خبرا لها ويجوز ان يكون ساءت بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز والتعليلان يصح ان يكونا متداخلين ومترادفين وان يكونا من كلام
الله وحكاية لقولهم قري يقتروا بكسر التاء وضمها ويقتروا بتخفيف التاء وتشديدها والقتر والاقتار والتقتير التضييق الذي هو نقيض الاسراف والاسراف
مجاوزة الحد في النفقة وصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير وبمثله امر رسول الله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقيل

ان يكون بسوالا عن المسمى [illegible]
الذي ما [illegible] فوزن [illegible]
لام والسوال عن المجهول
بما او عن [illegible]

الاسراف انما هو الانفاق في المعاصي فاما في القرب فلا اسراف وسمع رجل رجلا يقول لا خير في الاسراف فقال لا اسراف في الخير وعن عمر بن عبد العزيز انه شكر عبد
الملك بن مروان حين زوجه ابنته واحسن اليه فقال وصلت الرحم وفعلت وصنعت وجاء بكلام حسن فقال ابن لعبد الملك انما هو كلام اعده لهذا المقام فسكت عبد
الملك فلما كان بعد ايام دخل عليه والابن حاضر فساله عن نفقته واحواله فقال الحسنة بين السيئتين فعرف عبد الملك انه اراد ما في هذه الاية فقال لابنه يا بني اهذا
ايضا مما اعده وقيل اولئك اصحاب محمد كانوا لا ياكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال والزينة ولكن كانوا ياكلون ما يسد جوعتهم ويعينهم على
عبادة ربهم ويلبسون ما يستر عوراتهم ويكنهم من الحر والقر وقال عمر رضي الله عنه كفى سرفا ان لا يشتهي رجل شيئا الا اشتراه فاكله والقوام العدل بين الشيئين
لاستقامة الطرفين واعتدالهما ونظير القوام من الاستقامة السواء من الاستواء وقرئ قواما بالكسر وهو ما يقام به الشيء يقال انت قوامنا بمعنى ما تقام به الحاجة
لا يفضل عنها ولا ينقص والمنصوبان اعني بين ذلك قواما جايز ان يكونا خبرين معا وان تجعل بين ذلك لغوا وقواما مستقرا وان يكون الظرف خبرا وقواما حالا موكدة
واجاز الفراء ان يكون بين ذلك اسم كان على انه مبني لاضافته الى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت وهو من جهة الاعراب لا باس به ولكن المعنى ليس
بقوي لان ما بين الاسراف والتقتير قوام لا محالة فليس في الخبر الذي هو معتمد الفايدة فايدة حرم الله اي حرمها والمعنى حرم قتلها والا بالحق متعلق بهذا القتل
المحذوف او بلا يقتلون ونفي هذه المقبحات العظام عن الموصوفين بتلك الخلال العظيمة في الدين للتعريض بما كان عليه اعداء المومنين من قريش وغيرهم كانه قيل والذين
برأهم الله وطهرهم مما انتم عليه والقتل بغير حق يدخل فيه الواد وغيره وعن ابن مسعود قلت يا رسول الله اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت
ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية ان ياكل معك قلت ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك فانزل الله تصديقه وقرئ يلق اثاما وقرئ يلقى باثبات الالف وقد
مر مثله والاثام جزاء الاثم بوزن الوبال والنكال ومعناهما قال جزى الله ابن عروة حيث امسى عقوقا والعقوق له اثام وقيل هو الاثم ومعناه
ويلق جزاء اثام وقرأ ابن مسعود اياما اي شدايد يقال يوم ذو ايام لليوم العصيب يضاعف بدل من يلق لانهما في معنى واحد كقوله متى تاتنا تلمم بنا في
ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا وقرئ يضعف ونضعف له العذاب بالنون ونصب العذاب وقرئ بالرفع على الاستيناف او على الحال وكذلك يخلد وقرئ
ويخلد على البناء للمفعول مخففا ومثقلا من الاخلاد والتخليد وقرئ وتخلد بالتاء على الالتفات يبدل مخففا ومثقل وكذلك سياتهم فان قلت ما معنى
مضاعفة العذاب وابدال السيات حسنات قلت اذا ارتكب المشرك المعاصي مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعا فتضاعف العقوبة لمضاعفة
المعاقب عليه وابدال السيات حسنات انه يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الايمان والطاعة والتقوى وقيل يبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين
قتل المشركين وبالزنى عفة واحصانا يريد ومن يترك المعاصي ويندم عليها ويدخل في العمل الصالح فانه بذلك تايب الى الله متابا مرضيا عنده مكفرا للخطايا
محصلا للثواب او فانه تايب متابا الى الله الذي يعرف حق التايبين ويفعل بهم ما يستوجبون والذي يحب التوابين ويحب المتطهرين وفي كلام بعض العرب لله افرح
بتوبة العبد من المضل الواجد والظمان الوارد والعقيم الوالد او فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا واي مرجع يحتمل انهم ينفرون عن محاضر
الكذابين ومجالس الخطائين فلا يحضرونها ولا يقربونها تنزها عن مخالطة الشر واهله وصيانة لدينهم عما يثلمه لان مشاهدة الباطل شركة فيه ولذلك قيل في
النظارة الى كل ما لم تسوغه الشريعة هم شركاء فاعليه في الاثم لان حضورهم ونظرهم دليل الرضى به وسبب وجوده والزيادة فيه لان الذي سلط على فعله هو
استحسان النظارة ورغبتهم في النظر اليه وفي مواعظ عيسى بن مريم عليهما السلام اياكم ومجالسة الخطائين ويحتمل انهم لا يشهدون شهادة الزور فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وعن قتادة مجالس الباطل وعن ابن الحنفية اللهو والغناء وعن مجاهد اعياد المشركين اللغو كل ما ينبغي ان يلغى ويطرح
والمعنى واذا مروا باهل اللغو والمشتغلين به مروا معرضين عنهم مكرمين انفسهم عن التوقف عليهم والخوض معهم كقوله تعالى واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا
لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وعن الحسن لم تسفههم المعاصي وقيل اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى اعرضوا وصفحوا وقيل اذا ذكروا
النكاح كنوا عنه لم يخروا عليها ليس بنفي للخرور وانما هو اثبات له ونفي للصمم والعمى كما يقول لا يلقاني زيد مسلما هو نفي للسلام لا للقاء والمعنى
انهم اذا ذكروا بها اكبوا عليها حرصا على استماعها واقبلوا على المذكر بها وهم في اكبابهم عليها سامعون باذان واعية مبصرون بعيون راعية لا كالذين يذكرون

بها فترا هم مكبين مقبلين على من يذكر بها مظهرين الحرص الشديد على استماعها وهم كالصم العميا حيث لا يعونها ولا المبصرون ما فيها كالمنافقين واشباههم
قري ذريتنا وذرياتنا وقرة اعين وقرات اعين سالوا ربهم ان يرزقهم ازواجا واعقابا عمالا لله يسرون بمكانهم وتقر بهم عيونهم وعن محمد بن كعب ليس شي
اقر لعين المومن من ان يري زوجته واولاده مطيعين لله وعن ابن عباس هو الولد اذا راه يكتب الفقه وقيل سالوا ان يلحق الله بهم ازواجهم وذريتهم في الجنة
ليتم لهم سرورهم ارادا يمة فاكتفي بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس كقوله ثم نخرجكم طفلا او اراد واجعل كل واحد منا اماما او اراد جمع ام كصايم
وصيام او اراد واجعلنا اماما واحدا لاتحادنا واتفاق كلمتنا وعن بعضهم في الاية ما يدل على ان الرياسة في الدين يجب ان تطلب ويرغب فيها وقيل نزلت
هذه الايات في العشرة المبشرين رضوان الله عليهم بالجنة فان قلت من في قوله من ازواجنا ما هي قلت يحتمل ان يكون بيانية كانه قيل هب لنا قرة اعين
ثم بينت القرة وفسرت بقوله من ازواجنا وذرياتنا ومعناه ان يجعلهم الله لهم قرة اعين وهو من قولهم رايت منك اسدا اي انت اسد وان يكون ابتدائية على
معني هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح فان قلت لم قال قرة اعين فنكر وقلل قلت اما التنكير فلاجل تنكير القرة لان المضاف لا سبيل
الي تنكيره الا بتنكير المضاف اليه كانه قال هب لنا منهم سرورا وفرحا وانما قيل اعين دون عيون لانه اراد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الي عيون
غيرهم قال الله تعالي وقليل من عبادي الشكور ويجوز ان يقال في تنكير اعين انها اعين خاصة وهي اعين المتقين المراد يجزون الغرفات وهي العلالي
في الجنة فوحد اقتصارا على الواحد الدال على الجنس والدليل على ذلك قوله وهم في الغرفات امنون وقراءة من قرا في الغرفة بما صبروا بصبرهم على الطاعات
وعن الشهوات وعلى اذي الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك واطلاقه لاجل الشياع في كل مصبور عليه وقري يلقون كقوله ولقيهم نضرة ويلقون
كقوله يلق اثاما التحية دعاء بالتعمير والسلام دعاء بالسلامة يعني ان الملايكة يحيونهم ويسلمون عليهم او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه او يعطون التبقية
والتخليد مع السلامة من كل افة اللهم وفقنا لطاعتك واجعلنا مع اهل رحمتك وارزقنا مما ترزقهم في دار رضوانك لما وصف عباده العباد
وعدد صالحاتهم وحسناتهم واثني عليهم من اجلها ووعدهم الرفع من درجاتهم في الجنة اتبع ذلك بيان انه انما اكترث لاوليك وعبا بهم وعلي ذكرهم
ووعدهم ما وعدهم لاجل عبادتهم فامر رسوله ان يصرح للناس ويجزم لهم القول بان الاكتراث لهم عند ربهم انما هو للعبادة وحدها لا لمعني اخر
ولولا عبادتهم لم يكترث لهم البتة ولم يعتد بهم ولم يكونوا عنده شيا يبالي به والدعاء العبادة وما متضمنة لمعني الاستفهام وهي في محل النصب
وهي عبارة عن المصدر كانه قيل واي عبء يعبا بكم لولا دعاؤكم يعني انكم تستاهلون شيا من العبء بكم لولا عبادتكم وحقيقة قولهم ما عبات
به ما اعتددت به من فوادح همومي ومما يكون عبا علي كما يقول ما اكترثت له اي ما اعتددت به من كوارثي ومما يهمني وقال الزجاج في تاويل
ما يعبا بكم ربي اي وزن يكون لكم عنده ويجوز ان يكون ما نافية فقد كذبتم يقول اذا اعلمتكم ان حكمي اني لا اعتد بعبادي الا لعبادتهم فقد
خالفتم بتكذيبكم حكمي فسوف يلزمكم اثر تكذيبكم حتي يكبكم في النار ونظيره ان يقول الملك لمن استعصي عليه ان من عادتي ان احسن الي من يطيعني
ويتبع امري فقد عصيت فسوف تري ما احل بك بسبب عصيانك وقيل معناه ما تصنع بكم ربي لولا دعاوه اياكم الي الاسلام وقيل ما يصنع بعذابكم لولا
دعاوكم معه الهة فان قلت الي ما يتوجه هذا الخطاب قلت الي الناس على الاطلاق ومنهم مومنون عابدون ومكذبون عاصون فخوطبوا بما وجد في
جنسهم من العبادة والتكذيب وقري فقد كذب الكافرون وقيل يكون العذاب لزاما وعن مجاهد هو القتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلي لزاما
وقري لزاما بالفتح بمعني اللزوم كالثبات والثبوت والوجه ان ترك اسم كان غير منطوق به ما علم انه مما توعد به لاجل الابهام وتناوله ما لا يكتنهه
الوصف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفرقان لقي الله يوم القيمة وهو مومن بان الساعة اتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب سورة
الشعراء مكية الا قوله والشعراء الي اخر السورة وهي مايتان وسبع وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم طسم بتفخيم الالف وامالتها واظهار
النون وادغامها الكتاب المبين الظاهر اعجازه وصحة انه من عند الله والمراد به السورة او القران والمراد ايات هذا المولف من الحروف المبسوطة تلك
ايات الكتاب المبين البخع ان يبلغ بالذبح البخاع بالباء وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصي حد الذابح ولعل للاشفاق يعني اشفق على نفسك ان تقتلها

حسرة على ما فاتك من اسلام قومك ان لا يكونوا مومنين لئلا يومنوا ولامتناع ايمانهم او خيفة ان لا يومنوا وعن قتادة باخع نفسك على الاضافة
اراد اية ملجية الى الايمان قاسرة عليه فظلت معطوف على الجزا الذي هو ننزل لانه لو قيل انزلنا لكان صحيحا ونظيره فاصدق واكن كانه قيل اصدق
وقد قري لو شينا لانزلنا وقري فتظل اعناقهم فان قلت كيف صح مجي خاضعين خبرا عن الاعناق قلت اصل الكلام فظلوا لها خاضعين فاقحمت
الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على اصله لقولهم ذهبت اهل اليمامة كان الاهل غير مذكورا ولما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلا قيل
خاضعين كقوله ساجدين وقيل اعناق الناس روساوهم ومقدموهم شبهوا بالاعناق كما قيل لهم الروس والنواصي والصدور قال في محفل من نواصي
الناس مشهود وقيل جماعات الناس يقال جا عنق من الناس لفوج منهم وقري فظلت اعناقهم لها خاضعة وعن ابن عباس نزلت هذه الاية فينا وفي
بني امية قال ستكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا اعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة اي ما يجدد لهم الله بوحيه موعظة وتذكيرا الا جددوا
اعراضا عنه وكفرا به فان قلت كيف خولف بين الالفاظ والغرض واحد وهو الاعراض والتكذيب والاستهزا قلت انما خولف بينها لاختلاف الاغراض
كانه قيل حين اعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا به فقد خف عندهم قدره وصار عرضة للاستهزا والسخرية لان من كان قابلا للحق مقبلا
عليه كان مصدقا به لا محالة ولم يظن به التكذيب ومن كان مصدقا به كان موقرا له فسياتيهم وعيد لهم وانذار بانهم سيعلمون اذا مسهم عذاب الله يوم
بدر ويوم القيمة ما الشي الذي كانوا يستهزون به وهو القران وسياتيهم انباوه واحواله التي كانت خافية عليهم وصف الزوج وهو الصنف من النبات
بالكرم والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه يقال وجه كريم اذا رضي في حسنه وجماله وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوايده وقال حتى يشق الصفوف
من كرمه اي من كرمه مرضيا في شجاعته وباسه والنبات الكريم المرضي فيما يتعلق به من المنافع ان في انبات تلك الاصناف لاية على ان منبتها قادر على
احيا الموتى وقد علم الله ان اكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجو ايمانهم وان ربك لهو العزيز في انتقامه من الكفرة الرحيم لمن تاب وامن وعمل صالحا
فان قلت ما معنى الجمع بين كم وكل ولو قيل كم انبتنا فيها من زوج كريم قلت قد دل كل على الاحاطة بازواج النبات على سبيل التفصيل وكم على ان
هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة فهذا معنى الجمع بينهما وبه نبه على كمال قدرته فان قلت فما معنى وصف الزوج بالكريم قلت يحتمل معنيين احدهما ان النبات
على نوعين نافع وضار فذكر كثرة ما انبت في الارض من جميع اصناف النبات النافع وخلى ذكر الضار والثاني ان يعم جميع النبات نافعه وضاره ويصفهما
جميعا بالكرم وينبه على انه ما انبت شيا الا وفيه فايدة لان الحكيم لا يفعل فعلا الا لغرض صحيح وحكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى
معرفتها العاقلون فان قلت فحين ذكر الازواج ودل عليها بكلمتي الكثرة والاحاطة وكانت بحيث لا يحصيها الا عالم الغيب كيف قال ان في ذلك لاية و
هلا قال لايات قلت فيه وجهان ان يكون ذلك مشارا به الى مصدر انبتنا فكانه قال ان في الانبات لاية اي اية وان يراد ان في كل واحد من تلك الازواج
لاية وقد سبقت لهذا الوجه نظاير سجل عليهم بالظلم بان قدم القوم الظالمين ثم عطفهم عليهم عطف البيان كان معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكانهما
عبارتان يعتقبان على مودي واحد ان شا ذاكرهم عبر عنهم بالقوم الظالمين وان شا عبر بقوم فرعون وقد استحقوا هذا الاسم من جهتين من جهة ظلمهم
انفسهم بكفرهم وشرارتهم ومن جهة ظلمهم لبني اسرايل باستعبادهم لهم قري الا يتقون بكسر النون الا يتقوني فحذف النون لاجتماع النونين والياء للا
للاكتفا بالكسرة فان قلت بم يتعلق قوله الا يتقون قلت هو كلام مستانف اتبعه عز وجل ارساله اليهم للانذار والتسجيل عليهم بالظلم تعجيبا لموسى عليه
السلام من حالهم التي شنعت في الظلم والعسف ومن امنهم العواقب وقلة خوفهم وحذرهم من ايام الله ويحتمل ان يكون الا يتقون حالا من الضمير في
الظالمين اي يظلمون غير متقين الله وعقابه فادخلت همزة الانكار على الحال واما من قرا الا تتقون على الخطاب فعلى طريقة الالتفات اليهم وجبههم وضرب
وجوههم بالانكار والغضب عليهم كما ترى من يشكو من ركب جناية الى بعض اخصايه والجاني حاضر فاذا اندفع في الشكاية وحر من اجه وحمي غضبه قطع
مباثة صاحبه واقبل على الجاني يوبخه ويعنف به ويقول له الم تتق الله الم تستحي من الناس فان قلت فما فايدة هذا الالتفات والخطاب مع موسى عليه السلام
في وقت المناجاة والملتفت اليهم غيب لا يشعرون قلت اجرا ذلك في تكليم المرسل اليهم في معنى اجرايه بحضرتهم والقايه الى مسامعهم لانه مبلغه ومنهيه

وناشرة بين الناس وله فيه لطف وحث على زيادة التقوى وكم من اية انزلت في شان الكافرين وفيها اوفر نصيب للمومنين تدبرا لها واعتبارا بموردها وفي
الا تتقون بالياء وكسر النون وجه اخر وهو ان يكون المعنى الا يا ناس اتقون كقوله تعالى الا يا اسجدوا ويضيق وينطلق بالرفع لانهما معطوفان على خبر
ان وبالنصب لعطفهما على صلة ان والفرق بينهما في المعنى ان الرفع تفيد ان فيه ثلث علل خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع انطلاق اللسان والنصب
على ان خوفه متعلق بهذه الثلثة فان قلت في النصب تعليق الخوف بالامور الثلثة وفي جملتها نفي انطلاق اللسان وحقيقة الخوف انما هي غم يلحق الانسان
لامر سيقع وذلك كان واقعا فكيف جاز تعليق الخوف به قلت قد علق الخوف بتكذيبهم وبما يحصل له بسببه من ضيق الصدر والحبسة في اللسان زائدة على ما
كان فيه على ان تلك الحبسة التي كانت به قد زالت بدعوته وقيل بقيت منها بقية يسيرة فان قلت اعتذارك هذا يرده الرفع لان المعنى اني خائف ضيق الصدر
غير منطلق اللسان قلت يجوز ان يكون هذا قبل الدعوة واستجابتها ويجوز ان يريد القدر اليسير الذي بقي به ويجوز ان لا يكون مع حل العقدة من
لسانه من الفصحاء المصاقع الذين اوتوا سلاطة الالسنة وبسط المقال وهارون كان بتلك الصفة فاراد ان يقرن به ويدل عليه قوله عز وجل واخي هارون
هو افصح مني لسانا فارسل الى هارون ارسل اليه جبريل واجعله نبيا وازرني به واشدد به عضدي وهذا الكلام مختصر وقد بسط في غير هذا الموضع
وقد احسن في الاختصار حيث قال فارسل الى هارون فجاء بما يتضمن معنى الاستثناء ومثله في تقصير الطويلة والحسن قوله تعالى فقلنا اذهبا الى
القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم تدميرا حيث اقتصر على طرفي القصة اولها واخرها وهما الانذار والتدمير ودل بذكرهما على ما هو الغرض من القصة
الطويلة كلها وهو انهم قوم كذبوا بايات الله فاراد الزام الحجة عليهم فبعث اليهم رسولين فكذبوهما فاهلكهم فان قلت كيف ساغ لموسى عليه السلام ان
يامره الله بامر فلا يتقبله بسمع وطاعة من غير توقف وتشبث بعلل وقد علم ان الله من ورايه قلت قد امتثل وتقبل ولكنه التمس من ربه ان يعضده باخيه
حتى يتعاونا على تنفيذ امره وتبليغ رسالته فمهد قبل التماسه عذره فيما التمسه ثم التمس بعد ذلك وتمهيد العذر في التماس المعين على تنفيذ الامر ليس
بتوقف في امتثال الامر ولا بتعلل فيه وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لا على التعلل اراد بالذنب قتلة القبطي وقيل كان خباز فرعون واسمه
فاتون يعني ولهم على تبعة ذنب وهي قود ذلك القتل فاخاف ان يقتلوني به فحذف المضاف اذ سمى تبعة الذنب ذنبا كما سمي جزاء السيئة سيئة فان قلت
قد ابيت ان يكون تلك الثلاث عللا وجعلتها تمهيدا للعذر فيما التمسه فما قولك في هذه الرابعة قلت هذا استدفاع للبلية المتوقعة وفرق من ان
يقتل قبل اداء الرسالة فكيف يكون تعللا والدليل عليه ما جاء بعده من كلمة الردع والموعد بالكلاءة والرفع جمع الله له الاستجابتين معا في قوله
كلا فاذهبا لانه استدفعه بلاءهم فوعده الدفع بردعه عن الخوف والتمس منه الموازرة باخيه فاجابه بقوله اذهبا اي اذهب انت والذي طلبته وهو
هرون فان قلت علام عطف قوله فاذهبا قلت على الفعل الذي يدل عليه كلا كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت وهارون قوله معكم
مستمعون من مجاز الكلام يريد انا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه اذا حضر واستمع ما يجري بينكما وبينه فاظهركما وغلبكما وكسر شوكته عنكما
ونكسه ويجوز ان يكونا خبرين لان او يكون مستمعون مستقرا ومعكم لغوا فان قلت لم جعلت مستمعون قرينة معكم في كونه من باب المجاز والله تعالى
يوصف على الحقيقة بانه سميع وسامع قلت ولكن لا يوصف بالمستمع على الحقيقة لان الاستماع جار مجرى الاصغاء والاستماع من السمع بمنزلة النظر
من الروية ومنه قوله تعالى قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا ويقال استمع الى حديثه وسمع حديثه اي اصغى اليه وادركه بحاسة
السمع ومنه قوله عليه السلام من استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب في اذنيه البرم من التهذيب قال ابن الاعرابي قلت للمفضل ما البرم
قال الكحل المذاب وروي بعضهم صب في اذنيه البيرم قال ابن الاعرابي البرطيل فان قلت هلا ثني الرسول كما ثني في قوله انا رسولا ربك قلت
الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعله ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعله هنا بمعنى الرسالة فجازت التسوية فيه اذا وصف به بين
الواحد والتثنية والجمع في الصفة بالمصادر نحو صوم وزور قال الكلبي اليها وخير الرسول اعلمهم بنواحي الخبر فجعله للجماعة والشاهد في الرسول
بمعنى الرسالة قوله لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول ويجوز ان يوحد لان حكمهما لتساندهما واتفاقهما على شريعة واحدة

واتحادهما لذلك وللاخوة كان حكمهما واحدا فكانهما رسول واحد او اريد ان كل واحد منا ان ارسل بمعنى اي ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال
وتقول ارسلت اليك ان افعل كذا لما في الارسال من معنى القول كما في المناداة والكتبة ونحو ذلك ومعنى هذا الارسال التخلية والاطلاق كقولك
ارسل البازي يريد خلهم يذهبوا معنا الى فلسطين وكانت مسكنهما ويروى انهما انطلقا الى باب فرعون فلم يوذن لهما سنة حتى قال البواب ان
هاهنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ايذن له لعلنا نضحك منه فاديا اليه الرسالة فعرف موسى فقال له الم نربك حذف فاتيا فرعون
فقالا له ذلك لانه معلوم لايشتبه وهذا النوع من الاختصار كثير في التنزيل الوليد الصبي لقرب عهده من الولادة وفي رواية وعن ابي عمرو من عمرك
بسكون الميم سنين قيل مكث عندهم ثلثين سنة وقيل وكز القبطي وهو ابن ثنتي عشرة سنة وفر منهم على اثرها والله اعلم بصحيح ذلك وعن الشعبي فعلتك
بالكسر وهي قتلة القبطي لانه قتله بالوكزة وهو ضرب من القتل واما الفعلة فلانها كانت وكزة واحدة عدد عليه نعمة من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال و
وبخه بما جرى على يده من قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه بقوله وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين ويجوز ان يكون حالا اي قتلته وانت لذلك
من الكافرين بنعمتي او فانت اذ ذاك ممن يكفرهم الساعة وقد افترى عليه او جهل امره لانه كان يعايشهم بالتقية فان الله عاصم من يريد ان يستنبه من كل
كبيرة ومن بعض الصغاير فما بال الكفر ويجوز ان يكون قوله وانت من الكافرين حكما عليه بانه من الكافرين بالنعم ومن كانت عادته كفران النعم لم يكن قتل
خواص المنعم عليه بدعا منه او بانه من الكافرين لفرعون والاهيته او من الذين كانوا يكفرون في دينهم فقد كانت لهم الهة يعبدونهم لذلك قوله تعالى ويذرك
والهتك وقرى والاهتك فاجابه موسى صلوات الله عليه بان تلك الفعلة انما فرطت منه وهو من الضالين اي الجاهلين وقرا ابن مسعود رضي الله عنه من
الجاهلين مفسره والمعنى من الفاعلين فعل اولي الجهل والسفه كما قال يوسف لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون او المخطيين لمن
يقتل خطا من غير تعمد للقتل او الذاهبين عن الصواب او الناسين من قوله ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى فكذب فرعون ودفع الوصف
بالكفر عن نفسه وبرا ساحته بان وضع الضالين موضع الكافرين ربا بمحل من رشح للنبوة عن تلك الصفة ثم كر على امتنانه عليه بالتربية فابطله من
اصله واستاصله من سنخه وابى ان تسمى النعمة حيث بين ان حقيقة انعامه عليه تعبيد بني اسرايل لان تعبيدهم وقصدهم بذبح ابنائهم هو السبب في حصوله
عنده وتربيته فكانه امتن عليه بتعبيد قومه اذا حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيدا يقال عبدت الرجل واعبدته اذا اتخذته عبدا قال
علام يعبدني قومي وقد كثرت فيهم اباعر ماشاوا وعبدان فان قلت اذن جواب وجزاء معا والكلام وقع جوابا لفرعون فكيف وقع جزاء قلت قول
فرعون وفعلت فعلتك فيه معنى جازيت نعمتي بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله لان نعمته كانت عنده جديرة بان تجازى بنحو ذلك
الجزاء فان قلت لم جمع الضمير في منكم وخفتكم مع افراده في تمنها وعبدت قلت الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملايه المؤتمرين بقتله بدليل
قوله ان الملا ياتمرون بك ليقتلوك واما الامتنان فمنه وحده وكذلك التعبيد فان قلت تلك اشارة الى ماذا وان عبدت ما محلها من الاعراب قلت
تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة لايدرى ما هي الا بتفسيرها ومحل ان عبدت الرفع عطف بيان لتلك ونظيره قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هولا
مقطوع والمعنى تعبيدك بني اسرايل نعمة تمنها علي وقال الزجاج ويجوز ان يكون ان في موضع نصب المعنى انما صارت نعمة علي لان عبدت بني اسرايل اي
لو لم تفعل ذلك لكفلني اهلي ولم يلقوني في اليم لما قال له بوابه ان هاهنا من يزعم انه رسول رب العالمين قال عند دخوله وما رب العالمين يريد
اي شي رب العالمين وهذا السوال لايخلو اما ان يريد به اي شي هو من الاشيا التي شوهدت وعرفت اجناسها فاجاب بما يستدل به عليه من افعاله
الخاصة ليعرفه انه ليس بشي مما شوهد وعرف من الاجرام والاعراض وانه شي مخالف لجميع الاشيا ليس كمثله شي واما ان يريد به اي شي هو على
الاطلاق تفتيشا عن حقيقته الخاصة ما هي فاجابه بان الذي اليه سبيل وهو الكافي في معرفته معرفة ثباته بصفاته استدلالا بافعاله الخاصة على
ذلك واما التفتيش عن حقيقته الخاصة التي هي فوق فطر العقول فتفتيش عما لا سبيل اليه والسايل عنه متعنت غير طالب للحق والذي يليق بحال فرعون
ويدل عليه الكلام ان يكون سواله هذا انكارا لان يكون للعالمين رب سواه لادعايه الالهية فلما اجاب موسى بما اجاب عجب قومه من جوابه حيث نسب

الربوبية الى غيره فلما ثنى بتقرير قوله جننه الى قومه وطنز به حيث سماه رسولهم فلما ثلث بتقرير اخر احتدّ واحتدم وقال لين اتخذت الها غيري وهذا
يدل على صحة هذا الوجه الاخير فان قلت كيف قيل وما بينهما على التثنية والمرجوع اليه مجموع قلت اريد وما بين الجنسين فعل بالمضمر ما فعل بالظاهر قال ابو عبيد
الفرق في الهيجا الجمالين فان قلت ما معنى قوله ان كنتم موقنين واين عن فرعون وملايه الايقان قلت معناه ان كان يرجى منكم الايقان الذي
يودي اليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب والا لم ينفع او ان كنتم موقنين بشي قط فهذا اولى ما توقنون به لظهوره وانارة دليله فان قلت ومن
كان حوله قلت اشراف قومه قيل كانوا خمسماية رجل عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة فان قلت ذكر السموات والارض وما بينهما قد استوعب به
الخلايق كلها فما معنى ذكرهم وذكر ابايهم بعد ذلك وذكر المشرق والمغرب قلت قد عمّ اولا ثم خصّ من العام للبيان انفسهم واباهم لان اقرب المنظور
فيه من العاقل نفسه ومن ولده منه وما شاهد وعاين من الدلايل على الصانع والناقل من هيئة الى هيئة وحال الى حال من وقت ميلاده الى وقت
وفاته ثم خصّص المشرق والمغرب لان طلوع الشمس من احد الخافقين وغروبها في الاخر على تقدير مستقيم في فصول السنة وحساب مستو من اظهر ما
استدل به ولظهوره انتقل الى الاحتجاج به خليل الله عن الاحتجاج بالاحيا والاماتة على نمرود بن كنعان فبهت الذي كفر وقري رب المشارق
والمغارب الذي ارسل اليكم بفتح الهمزة فان قلت كيف قال اولا ان كنتم موقنين واخرا ان كنتم تعقلون قلت لاين اولا فلما راى منهم شدة
الشكيمة في العناد وقلة الاصغا الى عرض الحجج خاشن وعارض ان رسولكم لمجنون بقوله ان كنتم تعقلون فان قلت الم يكن لاسجننك اخصر من لاجعلنك
من المسجونين ومؤديا مؤداه قلت اما اخصر فنعم واما مؤدّ مؤداه فلا لان معناه لاجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم في سجوني وكان من عادته
ان يأخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوّة ذاهبة في الارض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك اشد من القتل واشد الواو في قوله
اولو جيتك واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام معناه اتفعل بي ذلك ولو جيتك بشي مبين اي جاييا بالمعجزة وفي قوله ان كنت من الصادقين انه
لا ياتي بالمعجزة الا الصادق في دعواه لان المعجزة تصديق من الله لمدعي النبوة والحكيم لا يصدق الكاذب ومن العجب ان مثل فرعون لم يخف عليه هذا
وخفي على ناس من اهل القبلة حيث جوّزوا القبيح على الله تعالى لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات وتقديره ان كنت من الصادقين في دعواك اتيت به
فحذف الجزا لان الامر بالاتيان به يدل عليه ثعبان مبين ظاهر الثعبانية لا شي يشبه الثعبان كما يكون الاشيا المزوّرة بالشعوذة والسحر وروي انها
لما انقلبت حية ارتفعت في السما قدر ميل ثم انحطّت مقبلة الى فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شيت ويقول فرعون اسالك بالذي ارسلك
الا اخذتها فاخذها فعادت عصا للناظرين دليل على ان بياضها كان شيا يجتمع النظارة على النظر اليه لخروجه عن العادة وكان بياضا نورانيا
روي ان فرعون لما ابصر الاية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده فقال له ما هذه قال يدك قال فما فيها فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي
الابصار ويسد الافق فان قلت ما العامل في حوله قلت هو منصوب نصبين نصب في اللفظ ونصب في المحل فالعامل في النصب اللفظي ما يقدر في الظرف
والعامل في النصب المحلي وهو النصب على الحال قال ولقد تحير فرعون لما ابصر الايتين وبقي لا يدري اي طرفيه اطول حتى زل عنه ذكر دعوى الالاهية
وحط عن منكبيه كبريا الربوبية وارتعدت فرايصه وانتفخ سحره خوفا وفرقا وبلغت به الاستكانة لقومه الذين هم بزعمه عبيده وهو الههم ان طفق
يوامرهم ويعترف لهم بما حذره منه وتوقعه واحس به من جهة موسى عليه السلام وغلبته على ملكه وارضه وقوله ان هذا لساحر عليم قول باهت اذا غلب
ومتمحل اذا الزم تامرون من المؤامرة وهي المشاورة او من الامر الذي هو ضد النهي جعل العبيد امرين وربهم مامورا لما استولى عليه من فرط
الدهش والحيرة وماذا منصوب اما لكونه في معنى المصدر واما لانه مفعول به من قوله امرتك الخير قري ارجيه وارجه بالهمزة والتخفيف وهما لغتان
يقال ارجاته وارجيته اذا اخرته ومنه المرجيه وهم الذين لا يقطعون بوعيد الفساق ويقولون هم مرجون لامر الله والمعنى اخره ومناظرته لوقت
اجتماع السحرة وقيل احبسه حاشرين شرطا يحشرون السحرة وعارضوا قوله ان هذا لساحر بكل سحار فجاوا بكلمة الاحاطة وصفة المبالغة ليطامنوا
من نفسه ويسكنوا بعض قلقه وقرا الاعمش بكل ساحر اليوم المعلوم يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لانه الوقت الذي وقته لهم موسى عليه السلام

من يوم الزينة في قوله موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى والميقات ما وقّت به اي حُدّد من زمان او مكان ومنه مواقيت الاحرام هل انتم
مجتمعون استبطاءٌ لهم في الاجتماع والمراد منه ويحثّهم على الانطلاق كما تحيل له ان الناس قد انطلقوا الى استعجالهم واستحثاثهم كما يقول الرجل لغلامه
هل انت منطلق اذا اراد ان يحرك منه ويحثه على الانطلاق كما يخيل له ان الناس قد انطلقوا وهو واقف ومنه قول تابّط شرًّا هل انت باعث دينار لحاجتنا
لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق يريد ابعثه الينا سريعا ولا تبطئ به لعلنا نتبع السحرة اي في دينهم ان غلبوا موسى ولا نتبع موسى في دينه
وليس غرضهم باتباع السحرة وانما الغرض الكلي ان لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى وقرئ نعم بالكسر
وهما لغتان ولما كان قوله اين لنا لاجرا في معنى جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله وانكم اذا لمن المقربين معطوفا عليه ومدخلا في حكمه دخلت اذن قارة
في مكانها الذي تقتضيه من الجواب والجزاء وعدهم ان يجمع لهم الى الثواب على سحرهم الذي قدروا انهم يغلبون به موسى القربة عنده والزلفى اقسموا بعزة فرعون
وهي من ايمان الجاهلية وهكذا كل حلف بغير الله ولا يصح في الاسلام الا الحلف بالله معلقا ببعض اسمائه او صفاته كقولك بالله والرحمن وربي ورب العرش و
عزة الله وقدرة الله وجلال الله وعظمة الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحلفوا بآبائكم ولا بامهاتكم ولا بالطواغيت ولا تحلفوا الا بالله ولا
تحلفوا بالله الا وانتم صادقون ولقد استحدث الناس في هذا الباب في اسلامهم جاهلية نسبت اليها الجاهلية الاولى وذلك ان الواحد منهم لو اقسم
باسماء الله كلها وصفاته على شيء لم يقبل منه ولم يعتدّ بها حتى يقسم براس سلطانه فاذا اقسم به فتلك عندهم جهد اليمين التي ليس وراءها حلف لحالف
ما يافكون ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم وكيدهم ويزوّرونه فيخيلون في حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى بالتمويه على الناظرين او افكهم سمّى تلك
الاشياء افكا مبالغة وروي انهم قالوا ان يك ما جاء به موسى سحرا فلن يغلب وان يك من عند الله فلن يخفى علينا فلما قذف عصاه فتلقفت ما اتوا به علموا
انه من الله فآمنوا وعن عكرمة اصبحوا سحرة وامسوا شهداء وانما عبّر عن الخرور بالالقاء لانه ذكر مع الالقاءآت فسلك به طريق المشاكلة وفيه ايضا مع
مراعاة المشاكلة انهم حين راوا ما راوا لم يتمالكوا ان رموا بانفسهم الى الارض ساجدين كانهم اخذوا فطرحوا طرحا فان قلت فاعل الالقاء ما هو
لو صرح به قلت هو الله عز وجل بما خولهم من التوفيق او ايمانهم او ما عاينوا من المعجزة الباهرة ولك ان لا تقدر فاعلا لان القوا بمعنى خرّوا وسقطوا رب
موسى وهرون عطف بيان لرب العالمين لان فرعون لعنه الله كان يدعي الربوبية فارادوا ان يعزلوه ومعنى اضافته اليهما في ذلك المقام انه الذي يدعوا
اليه هذان والذي اجرى على ايديهما ما اجرى فلسوف تعلمون اي وبال ما فعلتم الضر الضير والضور واحد ارادوا لا ضرر علينا في ذلك بل لنا فيه اعظم النفع
لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله من تكفير الخطايا والثواب العظيم مع الاعراض الكثيرة او لا ضير علينا فيما يتوعدنا به من القتل انه لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا
بسبب من اسباب الموت والقتل اهون اسبابه وارجاها او لا ضير علينا في قتلك انك ان قتلتنا انقلبنا الى ربنا انقلاب من يطمع في مغفرته ويرجو رحمته لما
رزقنا من السبق الى الايمان وخبر لا محذوف والمعنى لا ضير في ذلك او علينا ان كنا معناه لان كنا وكانوا اول جماعة مومنين من اهل زمانهم او من رعية فرعون
او من اهل المشهد وقرئ ان كنا بالكسر وهو من الشرط الذي يجيء به المدل بامره المتحقق لصحته وهم كانوا متحققين انهم اول المومنين ونظيره قول العامل
لمن يوخر جعله ان كنت عملت لك فوفني حقي ومنه قوله عز وجل ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي مع علمه انهم لم يخرجوا الا لذلك قرئ اسر بقطع
الهمزة ووصلها وسِر انكم متبعون علل الامر بالاسراء باتباع فرعون وجنوده آثارهم والمعنى اني بنيت تدبير امركم وامرهم على ان تتقدموا ويتبعوكم حتى
يدخلوا مدخلكم ويسلكوا مسلككم من طريق البحر فاطبقه عليهم فاهلكهم وروي انه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى
خرج موسى بقومه وروي ان الله اوحى الى موسى ان اجمع بني اسرائيل كل اربعة ابيات في بيت ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمائها على ابوابكم فاني سامر
الملائكة ان لا يدخلوا بيتا على بابه دم وسامرهم بقتل ابكار القبط واخبزوا خبزا فطيرا فانه اسرع لكم ثم اسر بعبادي حتى ينتهي الى البحر فياتيك امري
فارسل فرعون في اثره الف الف وخمسماية الف ملك مسوّر مع كل ملك الف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت مقدمته سبعماية الف كل رجل على حصان وعلى
راسه بيضة وعن ابن عباس خرج فرعون في الف الف حصان سوى الاناث فلذلك استقل قوم موسى وكانوا ستماية الف وسبعين الفا وسماهم شرذمة

قليلين ان هولا محلى بعد قولد مضر والشرذمة الطايفة القليلة ومنها قولهم ثوب شرادم للذي بلى وتقطع قطعا ذكرهم باسم الدال على القلة ثم
جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة الذي هو للقلة وقد يجمع القليل على اقلة وقلل ويجوز ان يريد
بالقلة الذلة القماة ولا يريد قلة العدد والمعنى انهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون افعالا تغيظنا وتضيق صدرنا
ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى اهل
المداين لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه وقرى حذرون وحاذرون وحادرون بالدال غير المعجمة فالحذر اليقظ والحاذر الذي يجدد حذره
وقيل المودى في السلاح وانما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه والحادر السمين القوي قال احب الصبي السوء من اجل امه وابغضه من بغضها وهو
وهو حادر اراد انهم اقويا اشدا وقيل مدججون في السلاح قد كسبهم ذلك حدارة في اجسامهم وعن مجاهد سماها كنوزا لانهم لم ينفقوا منها في طاعة
الله المقام والمكان يريد المنازل الحسنة والمجالس البهية وعن الضحاك المنابر وقيل السرر في الحجال كذلك يحتمل ثلثة اوجه النصب على اخرجناهم
مثل ذلك الاخراج الذي وصفنا والجر على انه وصف لمقام كريم مثل المقام الذي كان لهم والرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اي الامر كذلك فاتبعوهم
فلحقوهم وقرى فاتبعوهم مشرقين داخلين في وقت الشروق من شرقت الشمس شروقا اذا طلعت سيهدين طريق النجاة من ادراكهم واضرارهم وقرى
فلما تراءت الفيتان انا لمدّركون بتشديد الدال وكسر الراء من ادرك الشى اذا تتابع ففنى ومنه بل ادارك علمهم في الاخرة قال الحسين جهلوا علم
الاخرة وفي معناه بيت الحماسة ابعد بني امى الذين تتابعوا ارجي الحيوة ام من الموت اجزع والمعنى انا لمتتابعون في الهلاك على ايديهم حتى لا
يبقى منا احد الفرق الجزء المتفرق منه وقرى كل فلق والمعنى واحد والطود الجبل العظيم المنطاد في السماء وازلفنا ثم حيث انفلق البحر الاخرين
قوم فرعون اي قربناهم من بني اسرائيل وادنينا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم احد وقدمناهم الى البحر وقرى وازلقنا بالقاف اي ازللنا
اقدامهم والمعنى اذهبنا عزهم كقوله تداركتما عبسا وقد ثل عرشها وذبيان اذ زلت باقدامها النعل ويحتمل ان يجعل الله طريقهم في البحر
على خلاف ما جعله لبني اسرائيل يبسا فيزلقهم فيه عن عطاء بن السائب ان جبريل كان بين بني اسرائيل وبين ال فرعون فكان يقول لبني اسرائيل ليلحق
اخركم اولكم ويستقبل القبط فيقول رويدكم ليلحق اخركم فلما انتهى موسى الى البحر قال له مومن من ال فرعون وكان بين يدي موسى اين امرت
فهذا البحر امامك وقد غشيك ال فرعون قال امرت بالبحر ولا يدري موسى ما يصنع فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فصار فيه اثنى عشر
طريقا لكل سبط طريق وروي ان يوشع قال يا كليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون والبحر امامنا قال موسى ههنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى
بعصاه البحر فدخلوا وروي ان موسى قال عند ذلك يا من كان قبل كل شى والمكون لكل شى والكاين بعد كل شى ويقال هذا البحر هو بحر القلزم
وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له اساف ان في ذلك لاية اية واية لا توصف وقد عاينها الناس وشاع امرها فيهم وما تنبه عليها اكثرهم
ولا امن بالله وبنو اسرائيل الذين كانوا اصحاب موسى المخصوصين بالانجاء قد سالوه بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وطلبوا روية الله جهرة وان ربك
لهو العزيز المنتقم من اعدايه الرحيم باوليايه كان ابراهيم صلوات الله عليه يعلم انهم عبدة الاصنام ولكنه سالهم ليريهم ان ما يعبدونه ليس من استحقاق
العبادة في شى كما يقول للتاجر ما مالك وانت تعلم ان ماله الرقيق ثم تقول له الرقيق جمال وليس بمال فان قلت ما تعبدون سوال عن المعبود
فحسب فكان القياس ان يقولوا اصناما كقوله ويسالونك ماذا ينفقون قل العفو ماذا قال ربكم قالوا الحق ماذا انزل ربكم قالوا خيرا قلت هولاء
قد جاءوا بقصة امرهم كاملة كالمبتهجين بها والمفتخرين فاشتملت على جواب ابراهيم وعلى ما قصدوه من اظهار ما في نفوسهم من الابتهاج والافتخار
الا تراهم كيف عطفوا على قولهم نعبد فنظل لها عاكفين ولم يقتصروا على زيادة نعبد وحده ومثاله ان تقول لبعض الشطار ما تلبس في بلادك فيقول
البس البرد الاتحمي فاجر ذيله بين جواري الحي وانما قالوا نظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل لا بد في يسمعونكم من تقدير حذف المضاف
معناه هل يسمعون دعاكم وقرا قتادة يسمعونكم اي هل يسمعونكم الجواب عن دعايكم وهل يقدرون على ذلك وجاء مضارعا مع ايقاعه في اذ على حكاية

الماضية ومعناه استحضروا الاحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها وقولوا هل سمعوا او اسمعوا قط وهذا ابلغ في التبكيت لما اجابوه بجواب
دين لاباءهم قال لهم رقوا امر تقليدكم هذا الى اقصى غاياته وهي عبادة الاقدمين الاولين من ابائكم فان التقدم والاولية لا يكون برهانا على
و الباطل لا ينقلب حقا بالقدم وما عبادة من عبد هذه الاصنام الا عبادة اعداء له ومعنى العداوة قوله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم و
ونون عليهم ضدا ولان المغري على عبادتها اعدى اعداء الانسان وهو الشيطان وانما قال عدو لي تصويرا للمسئلة في نفسه على معنى اني فكرت
ي فرايت عبادتي لها عبادة للعدو فاجتنبتها واثرت عبادة من الخير كله منه ولداهم بذلك انها نصيحة نصح بها نفسه اولا وبنى عليها تدبير امره
وا فيقولوا ما نصحنا ابراهيم الا بما نصح به نفسه وما اراد لنا الا ما اراد لروحه ليكون ادعى لهم الى القبول وابعث على الاستماع منه ولو
فانهم عدو لكم لم يكن بتلك المثابة ولانه دخل في باب من التعريض وقد يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغه التصريح لانه يتامل فيه فربما قاده
الى التقبل ومنه ما يحكى عن الشافعي رحمه الله ان رجلا واجهه بشيء فقال لو كنت بحيث انت لاحتجت الى ادب وسمع رجل ناسا يتحدثون في
ال ما هو بيتي ولا بيتكم والعدو والصديق يجيئان في معنى الوحدة والجماعة قال الشاعر   وقوم علي ذوي مئرة اراهم   عدوا وكانوا صديقا
قوله تعالى وهم لكم عدو شبها بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل الا رب العالمين استثناء منقطع كانه قال لكن رب العالمين
ني يريد انه حين اتم خلقه ونفخ فيه الروح عقب ذلك هدايته المتصلة التي لا ينقطع الى كل ما يصلحه ويعنيه والا فمن هداه الى ان يغتذي بالدم
ن امتصاصا ومن هداه الى معرفة الثدي عند الولادة والى معرفة مكانه ومن هداه لكيفية الارتضاع الى غير ذلك من هدايات المعاش
د وانما قال مرضت دون امرضني لان كثيرا من اسباب المرض يحدث بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه وغير ذلك ومن ثم قالت الحكماء لو قيل
ولي ما سبب اجالكم لقالوا التخم وري خطاياي والمراد ما يندر منه من بعض الصغائر لان الانبياء معصومون مختارون على العالمين وقيل قوله
م وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي اختي وما هي الا معاريض كلام وتخييلات للكفرة وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار فان قلت اذا لم
منهم الا الصغائر وهي تقع مكفرة فما له اثبت لنفسه خطيئة او خطايا وطمع ان تغفر له قلت الجواب ما سبق لي ان استغفار الانبياء تواضع منهم لربهم
لانفسهم ويدل عليه قوله اطمع ولم يجزم القول بالمغفرة وفيه تعليم لاممهم وليكون لطفا لهم في اجتناب المعاصي والحذر منها وطلب المغفرة مما يفرط
قلت لم علق مغفرة الخطيئة بيوم الدين وانما يغفر في الدنيا قلت لان اثرها يتبين يومئذ وهو الان خفي لا يعلم الحكم الحكمة او الحكم بين الناس
قيل النبوة لان النبي ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله الا لحاق بالصالحين ان يوفقه لعمل ينتظم به في جملتهم او يجمع بينه وبينهم في الجنة ولقد
ث قال وانه في الاخرة لمن الصالحين والاخزاء من الخزي وهو الهوان ومن الخزاية وهو الحياء وهذا ايضا من نحو استغفارهم مما علموا انه مغفور
تون ضمير العباد لانه معلوم او ضمير الضالين وان يجعل من جملة الاستغفار لابيه يعني ولا تخزني يوم يبعث الضالون وابي فيهم الا من
الا حال من اتى الله بقلب سليم وهو من قولهم تحية بينهم ضرب وجيع وما ثوابه الا السيف وبيانه ان يقال لك هل لزيد مال وبنون فتقول ماله
سلامة قلبه تريد نفي المال والبنين عنه واثبات سلامة القلب له بدلا عن ذلك وان شئت حملت الكلام على المعنى وجعلت المال والبنين
ه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من اتى الله بقلب سليم لان غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما ان غناه في دنياه بماله وبنيه ولك ان تجعل الاستثناء
ولا بد لك مع ذلك من تقدير المضاف وهو الحال والمراد بها سلامة القلب وليست هي من جنس المال والبنين حتى يؤول المعنى الى ان المال
لا ينفعان وانما ينفع سلامة القلب ولو لم تقدر المضاف لم يتحصل للاستثناء معنى وقد جعل من مفعولا لينفع اي لا ينفع مال ولا بنون
سلم قلبه مع ماله حيث انفقه في طاعة الله ومع بنيه حيث ارشدهم الى الدين وعلمهم الشرائع ويجوز على هذا من اتى الله بقلب سليم من فتنة
البنين ومعنى سلامة القلب سلامته من افات الكفر والمعاصي ومما اكرم الله خليله ونبه على جلالة محله في الاخلاص ان حكى استثناءه هذا
ض باصابته فيه ثم جعله صفة له في قوله وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم ومن بدع التفاسير تفسير بعضهم بالديغ من خشية الله

و قول الخر هو الذي سُلِم وسلّم واسلم وسالم واستسلم وما احسن ما رتب ابراهيم عليه السلم كلامه مع المشركين حين سالهم اولا عما يعبدون سوال مقرّر لا مستفهم
ثم انحى على الهتهم فابطل امرها بانها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع وعلى تقليدهم اباءهم الاقدمين فكسره واخرجه من ان يكون شبهة فضلا من ان يكون حجة
ثم صوّر المسلة في نفسه دونهم حتى تخلص منها الى ذكر الله تعالى فعظم شانه وعدّد نعمه من لدن خلقه وانشائه الى حين وفاته مع ما يرجى في الاخرة من رحمته
ثم اتبع ذلك ان دعاه بدعوات المخلصين وابتهل اليه ابتهال الاوابين ثم وصله بذكر يوم القيمة وثواب الله وعقابه وما يدفع اليه المشركون يومئذ من الندم و
الحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمني الكرة الى الدنيا ليومنوا ويطيعوا الجنة تكون قريبة من موقف السعدا ينظرون اليها ويغتبطون بانهم المحشورون
اليها والنار تكون بارزة مكشوفة للاشقيا بمراى منهم يتحسرون على انهم المسوقون اليها قال الله تعالى وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد وقال فلما راوه
زلفة سيئت وجوه الذين كفروا فتجمع عليهم الغموم كلها والحسرات فتجعل النار بمراى منهم فيهلكون غمًّا في كل لحظة ويوبّخون على اشراكهم فيقال لهم اين الهتكم
هل ينفعونكم بنصرتهم لكم او هل ينفعون انفسهم بانتصارهم لانهم والهتهم وقود النار وهو قوله فكبكبوا فيها هم اي الالهة والغاوون وعبدتهم
الذين برزت لهم الجحيم والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى كانه اذا القي في جهنم ينكب مرّة بعد مرة حتى يستقر في قعرها اللهم
اجرنا منها يا خير مستجار وجنود ابليس شياطينه او متبعوه من عصاة الانس والجن يجوز ان ينطق الله الاصنام حتى يصح التقاول والتخاصم ويجوز ان يجري
ذلك بين العصاة والشياطين والمراد بالمجرمين الذين اضلوهم روساوهم وكبراوهم كقوله ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا وعن السدي
الاولون الذين اقتدينا بهم وعن ابن جريج ابليس وابن ادم القاتل لانه اول من سنّ القتل وانواع المعاصي فما لنا من شافعين كما ترى المومنين
لهم شفعا من الملائكة والنبيين ولا صديق كما نرى لهم اصدقا لانه لا يتصادق في الاخرة الا المومنون واما اهل النار فبينهم التعادي والتباغض
قال عز وجل الاخلا يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او فما لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعا واصدقا لانهم
كانوا يعتقدون في اصنامهم انهم شفعاوهم عند الله وكان لهم الاصدقا من شياطين الانس او ارادوا انهم وقعوا في مهلكة علموا ان الشفعا والاصدقا
لا ينفعونهم ولا يدفعوا عنهم فقصدوا بنفيهم نفي ما يتعلق بهم من النفع لان ما لا ينفع حكمه حكم المعدوم والحميم من الاحتمام وهو الاهتمام وهو الذي
يهمّه ما يهمك او من الحامّة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص فان قلت لم جمع الشافع ووحد الصديق قلت لكثرة الشفعا في العادة وقلة الصديق الا
ترى ان الرجل اذا امتحن بارهاق ظالم نهضت جماعة وافرة من اهل بلده لشفاعته رحمة له وحسبة وان لم تسبق له باكثرهم معرفة واما الصديق وهو الصادق
في ودادك الذي يهمه ما يهمك فاعزّ من بيض الانوق وعن بعض الحكما انه سئل عن الصديق فقال اسم لا معنى له ويجوز ان يريد بالصديق الجمع والكرة
الرجعة الى الدنيا ولو في مثل هذا الموضع في معنى التمني كانه قيل فليت لنا كرة وذلك لما بين معنى لو وليت من التلاقي في التقدير ويجوز ان يكون على
اصله ويحذف الجواب وهو لفعلنا كيت وكيت القوم موينة وتصغيرها قويمة ونظير قوله المرسلين والمراد نوح عليه السلم قولك فلان يركب الدواب ويلبس
البرود وما له الا دابة وبرد وقيل اخوهم لانه كان منهم من قول العرب يا اخا بني تميم يريدون يا واحدا منهم ومنه بيت الحماسة لا يسالون اخاهم حين
يندبهم في النايبات على ما قال برهانا كان امينا فيهم مشهورا بالامانة كمحمد صلى الله عليه وسلم في قريش واطيعون في نصحي لكم وفيما ادعوكم اليه من الحق عليه
على هذا الامر وعلى ما انا فيه يعني دعاءه ونصحه ومعنى فاتقوا الله واطيعون فاتقوا الله في طاعتي وكرّره ليوكده عليهم ويقرره في نفوسهم مع تعليق
كل واحد منهما بعلة جعل علة الاول كونه امينا فيما بينهم وفي الثاني حسم طمعه عنهم وقرى واتباعك جمع تابع كشاهد واشهاد وجمع تبع
كبطل وابطال والواو للحال وحقها ان تضمر بعدها قد في واتبعك وقد جمع الارذل على الصحة وعلى التكسير في قوله الذين هم اراذلنا والرذالة
والنذالة الخسة والدناة وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من اهل الصناعات الدنيّة كالحياكة والحجامة
والصناعة لا تزري بالديانة وهكذا كانت قريش تقول في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما زالت اتباع الانبيا كذلك حتى صارت من سماتهم
وامارتهم الا ترى الى هرقل حين سال ابا سفيان عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قال ضعفا الناس واراذلهم قال ما زالت اتباع الانبيا

لذلك وعن ابن عباس هم الغاغة وعن عكرمة الحاكة والاساكفة وعن مقاتل السفلة وما علمي واي شي علمي والمراد انتفا علمه باخلاص اعمالهم لله
والاطلاع على سرائرهم وباطنهم وانما قال هذا لانهم قد طعنوا مع استرذالهم في ايمانهم وانهم لم يومنوا عن نظر وبصيرة وانما امنوا هوى وبديهة
كما حكى الله عنهم في قوله الذين هم اراذلنا بادي الراي ويجوز ان يتغابى لهم نوح عليه السلم فيفسر قولهم الارذلين بما هو الرذالة عنده من سوء
الاعمال وفساد العقايد ولا يلتفت الى ما هو الرذالة عندهم ثم يبني جوابه على ذلك فيقول ما علي الا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن اسرارهم والشق
عن قلوبهم وان كان لهم عمل سيّئ فالله محاسبهم ومجازيهم عليه وما انا الا منذر لا محاسب ولا مجاز لو تشعرون ذلك ولكنكم تجهلون فتنساقون مع الجهل حيث
سيّركم وقصد بذلك رد اعتقادهم وانكار ان يسمى المومن رذلا وان كان افقر الناس واوضعهم نسبا فان الغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى وما انا
بطارد المومنين يريد ليس من شاني ان اتبع شهواتكم واطيب نفوسكم بطرد المومنين الذين صح ايمانهم طمعا في ايمانكم وما علي الا ان انذركم انذارا بيّنا
بالبرهان الصحيح الذي يتميز به الحق من الباطل ثم انتم اعلم بشانكم ليس هذا باخبار بالتكذيب لعلمه ان عالم الغيب والشهادة اعلم ولكنه اراد اني لا ادعوك
عليهم لما غاظوني واذوني وانما ادعوك لاجلك ولاجل دينك ولانهم كذبوني في وحيك ورسالتك فاحكم بيني وبينهم والفتاحة الحكومة والفتاح
الحاكم لانه يفتح المتعلق كما سمي فيصلا لانه يفصل بين الخصومات الفلك السفينة وجمعه فلك قال الله تعالى وترى الفلك فيه مواخر فالواحد بوزن قفل
والجمع بوزن اسد كسروا فعلا على فعل كما كسروا فعلا على فعل لانهما اخوان في قولك العُرْب والعَرَب والرُّشْد والرَّشَد فقالوا اسد واسد وفلك وفلك ونظيره
بعير هجان وابل هجان ودرع دلاص ودروع دلاص فالواحد بوزن كناز والجمع بوزن كرام والمشحون المملو يقال شحنها عليهم خيلا ورجالا وقرئ
بكل ريع بالكسر والفتح وهو المكان المرتفع قال المسيب بن علس في الال يرفعها ويخفضها ريع يلوح كانه سحل ومنه قولهم كم ريع ارضك وهو ارتفاعها
والاية العلم وكانوا ممن يهتدون بالنجوم في اسفارهم فاتخذوا في طرقهم اعلاما طوالا فعبثوا بذلك لانهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم وعن مجاهد
بنوا بكل ريع بروج الحمام والمصانع ماخذ الماء وقيل القصور المشيدة والحصون لعلكم تخلدون ترجون الخلود في الدنيا او تشبه حالكم حال
من يخلد وفي حرف ابي كانكم وقرئ تخلدون بضم التاء مخففا ومشددا واذا بطشتم بسوط او سيف كان ذلك ظلما وعلوا وقيل الجبار الذي يقتل
ويضرب على الغضب وعن الحسن تبادرون تعجيل العذاب لا تتثبتون متفكرين في العواقب بالغ في تنبيههم على نعم الله حيث اجملها ثم فصلها مستشهدا
بعلمهم وذلك انه ايقظهم عن سنة غفلتهم عنها حين قال امدكم بما تعلمون ثم عددها عليهم وعرّفهم المنعم بتعديد ما يعلمون من نعمته وانه كما قدر ان
يتفضل عليكم بهذه النعمة فهو قادر على الثواب والعقاب فاتقوه ونحوه قوله تعالى ويحذركم الله نفسه والله روف بالعباد فان قلت كيف قرن البنين
بالانعام قلت هم الذين يعينونهم على حفظها والقيام عليها فان قلت لو قيل اوعظت ام لم تعظ كان اخصر والمعنى واحد قلت ليس المعنى بواحد وبينهما
فرق لان المراد سواء علينا افعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ ام لم تكن اصلا من اهله ومباشريه فهو ابلغ في قلة اعتدادهم بوعظك من قولك ام
لم تعظ من قرا خلق الاولين بالفتح معناه ان ما جيت به اختلاق الاولين وتخرصهم كما قالوا اساطير الاولين او ما خلقنا هذا الا خلق الاولين
القرون الخالية نحيا كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب ومن قرا خلق بضمتين وبواحدة فمعناه ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين
وعادتهم كانوا يدينونه ويعتقدونه ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت الا عادة لم يزل عليها الناس في قديم الدهر او
ما هذا الذي جيت به من الكذب الا عادة الاولين كانوا يلفقون مثله ويسطرونه اتتركون يجوز ان يكون انكارا لان يتركوا مخلدين في نعيم
لا يزالون عنه وان يكون تذكيرا بالنعمة في تخلية الله اياهم وما يتنعمون فيه من الجنات وغير ذلك مع الامن والدعة فيما ها هنا في الذي استقر في هذا
المكان من النعيم ثم فسره بقوله في جنات وعيون وهذا ايضا اجمال ثم تفصيل فان قلت لم قال ونخل بعد قوله في جنات والجنة يتناول النخل اول
شي كما يتناول النعم الابل كذلك من بين الازواج حتى انهم ليذكرون الجنة ولا يقصدون الا النخيل كما يذكرون النعم ولا يريدون به
الا الابل قال زهير تسقي جنة سحقا قلت فيه وجهان ان يخص النخل بافراده بعد دخوله في جملة ساير الشجر تنبيها على انفراده عنها بفضله عليها وان

يريد بالجنات غيرها من الشجر لان اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل الطلعة هي التي تطلع من النخلة كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو والقنو
اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه وشماريخه والهضيم اللطيف الضامر من قولهم كشح هضيم وطلع اناث النخل فيه لطف وفي طلع الفحاحيل جفا
وكذلك طلع البرني الطف من طلع اللون فذكرهم نعمة الله في ان وهب لهم اجود النخل وانفعه لان الاناث ولادة التمر والبرني اجود التمر
واطيبه ويجوز ان يراد نخيلهم اصابت جود المنابت وسعة الماء وسلمت من العاهات وحملت الحمل الكثير واذا كثر الحمل هضم واذا قل جاء فاخرا
وقيل الهضيم اللين النضيج كانه قال ونخل قد ارطبت ثمره قرأ الحسن وتنحتون بفتح الحاء وقرئ فرهين وفارهين والفراهة الكيس والنشاط ومنه
خيل فرهة استعير للامتثال الامر وارتسامه طاعة الامر المطاع اوجعل الامر مطاعا على المجاز الحكمي والمراد الامر ومنه قولهم لك على امرة
مطاعة وقوله تعالى واطيعوا امري فان قلت ما فايدة قوله ولا يصلحون قلت فايدته ان فسادهم فساد مصمت ليس معه شيء من الصلاح كما
يكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح المسحر الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر الرية وانه بشر الشرب النصيب من الماء نحو السقي
والقيت من السقي والقوت وقرئ بالضم روي انهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا فقعد صالح يتفكر فقال له جبريل صل
ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وبركت بين ايديهم ونتجت سقبا مثلها في العظم وعن ابي موسى رايت مصدرها اي مبركها فاذا هو ستون
ذراعا وعن قتادة اذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله ولهم شرب يوم لا تشرب فيه الماء بسوء بضرب او عقر وغير ذلك عظم اليوم بحلول العذاب فيه
ووصف اليوم به ابلغ من وصف العذاب لان الوقت اذا عظم بسببه كان موقعه من العظم اشد وروي ان مسطعا الجاها الى مضيق في شعب فرماها
بسهم فاصاب رجلها فسقطت ثم ضربها قدار وروي ان عاقرها قال لا اعقرها حتى ترضوا اجمعين فكانوا يدخلون على المراة في خدرها
فيقولون اترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم فان قلت لم اخذهم العذاب وقد ندموا قلت لم يكن ندمهم ندم تائبين ولكن خائفين ان يعاقبوا
على العقر عقابا عاجلا كمن يرى في بعض الامور رايا فاسدا ويبني عليه ثم يندم ويتحسر كندامة الكسعي او ندموا تائبين ولكن في غير وقت التوبة
وذلك عند معاينة العذاب وقال عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيئات الاية وقيل كانت ندامتهم على ترك الولد وهو بعيد والالف في
العذاب اشارة الى عذاب يوم عظيم اراد بالعالمين الناس اي اتاتون من بين اولاد ادم على فرط كثرتهم وتفاوت اجناسهم وغلبت اناثهم على ذكورهم
في الكثرة ذكرانهم وكان الاناث قد اعوزتكم او اتاتون انتم من بين من عداكم من العالمين الذكران يعني انكم يا قوم لوط وحدكم مختصون
بهذه الفاحشة والعالمون على هذا القول كل ما ينكح من الحيوان من ازواجكم يصلح ان يكون تبيينا لما خلق وان يكون للتبعيض ويراد بما خلق
العضو المباح منهن وفي قراءة ابن مسعود ما اصلح لكم ربكم من ازواجكم وكانهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم العادي المتعدي في ظلمه المتجاوز
فيه الحد ومعناه اترتكبون هذه المعصية على عظمها بل انتم قوم عادون في جميع المعاصي فهذا من جملة ذاك او بل انتم قوم احقاء بان توصفوا
بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة لئن لم تنته عن نهينا وتقبيح امرنا لتكونن من جملة من اخرجناه من بين اظهرنا وطردناه من بلدنا ولعلهم
كانوا يخرجون من اخرجوه على اسوء حال من تعنيف به واحتباس لاملاكه وكما تكون حال الظلمة اذا اجلوا بعض من يغضبون عليه وكما كان يفعل
اهل مكة بمن يريد المهاجرة من القالين ابلغ من ان يقول اني لعملكم قال كما تقول فلان من العلماء فيكون ابلغ [illegible] من قولك فلان عالم لانك
تشهد له بكونه معدودا في زمرتهم ومعرفة مساهمته لهم في العلم ويجوز ان يريد من الكاملين في قلاكم والقلى البغض الشديد كانه بغض يقلي الفؤاد
والكبد وفي هذا دليل على عظم المعصية والمراد القلى من حيث الدين والتقوى وقد تقوى همة الدين في دين الله حتى تقرب كراهته للمعاصي من
الكراهة الجبلية مما يعملون من عقوبة عملهم وهو الظاهر ويحتمل ان يريد بالتنجية العصمة فان قلت فما معنى قوله فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا
في الغابرين قلت معناه انه عصمه واهله من ذلك الا العجوز فانها كانت غير معصومة منه لكونها راضية به ومعينة عليه ومحرشة والراضي بالمعصية في حكم
العاصي فان قلت كان اهله من المؤمنين ولولا ذلك لما طلب لهم النجاة فكيف استثنيت الكافرة منهم قلت الاستثناء انما وقع من الاهل وفي هذا

الاسم لها معهم شركة بحق الزواج وان لم يشاركهم في الايمان فان قلت في الغابرين صفة لها كانه قيل الا عجوزا غابرة ولم يكن الغبور صفتها وقت
تنجيتهم قلت معناه الا عجوزا مقدرا غبورها ومعنى الغابرين في العذاب والهلاك غير الناجين قيل انها هلكت مع من خرج من القرية بما امطر عليهم
من الحجارة والمراد بتدميرهم الايتفاك بهم واما الامطار فعن قتادة امطر الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فاهلكهم وعن ابن زيد لم يرض بالايتفاك
حتى اتبعه مطرا من الحجارة وفاعل ساء مطر المنذرين ولم يرد بالمنذرين قوما باعيانهم انما هو للجنس والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم قرى اصحاب الايكة
بالهمزة وبتخفيفها وبالجر على الاضافة وهو الوجه ومن قرا بالنصب وزعم ان ليكة بوزن ليلة اسم بلد فتوهم قاد اليه خط المصحف حيث وجدت مكتوبة
في هذه السورة وفي سورة صاد بغير الف وفي المصحف اشيا كتبت على خلاف قياس الخط المصطلح عليه وانما كتبت في هاتين السورتين على حكم لفظ اللافظ كما
يكتب اصحاب النحو لان ولولي على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف وقد كتبت في ساير القران على الاصل والقصة واحدة على ان ليكة اسم لا يعرف
وروي ان اصحاب الايكة كانوا اصحاب شجر ملتف وكان شجرهم الدوم فان قلت هلا قيل اخوهم شعيب كما في ساير المواضع قلت قالوا ان شعيبا
لم يكن من اصحاب الايكة وفي الحديث ان شعيبا اخا مدين ارسل اليهم والى اصحاب الايكة الكيل على ثلثة اضرب واف وطفيف وزايد فامر بالواجب
الذي هو الايفا ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف ولم يذكر الزايد وكان تركه عن الامر والنهي دليلا على انه ان فعله فقد احسن وان لم يفعله
فلا عليه قرى بالقسطاس مضموما ومكسورا وهو الميزان وقيل القرسطون فان كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس والا
فهو رباعي وقيل هو بالرومية العدل يقال بخسته حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وهو عام في كل حق ثبت لاحد ان لا يهضم وفي كل ملك
ان لا يغصب عليه مالكه ولا يتحيف منه ولا يتصرف فيه الا باذنه تصرفا شرعيا يقال عثى في الارض وعثي وعاث وذلك نحو قطع الطريق والغارة
واهلاك الزروع وكانوا يفعلون ذلك مع توليهم انواع الفساد فنهوا عن ذلك وقرى الجبلة بوزن الابلة والجبلة بوزن الخلقة ومعنا
هن واحد اي ذوي الجبلة وهو كقولك والخلق الاولين فان قلت هل اختلف المعنى بادخال الواو ههنا وتركها في قصة ثمود قلت اذا
دخلت الواو فقد قصد معنيان كلاهما مناف للرسالة عندهم التسحير والبشرية وان الرسول لا يجوز ان يكون مسحرا ولا يجوز بشرا واذا تركت الواو
فلم يقصد الا معنى واحد وهو كونه مسحرا ثم قرر بكونه بشرا مثلهم فان قلت ان المخففة من الثقيلة ولامها كيف تفرقتا على فعل الظن وثاني
مفعوليه قلت اصلهما ان يتفرقا على المبتدا والخبر كقولك ان زيدا لمنطلق فلما كان البابان اعني باب كان وباب ظننت من جنس باب المبتدا والخبر
فعل ذلك في البابين فقيل ان كان زيد لمنطلقا وان ظننت لمنطلق قرى كسفا بالسكون والحركة وكلاهما جمع كسفة نحو قطع وسدر وقيل
الكسف والكسفة كالريع والريعة وهي القطعة وكسفه قطعه والسماء السحاب او المظلة وما كان طلبهم ذلك الا لتصميمهم على الجحود والتكذيب
ولو كان فيهم ادنى ميل الى التصديق لما اخطروه ببالهم فضلا ان يطلبوه والمعنى ان كنت صادقا انك نبي فادع الله ان يسقط علينا كسفا من
السماء ربي اعلم بما تعملون يريد ان الله اعلم باعمالكم وبما تستوجبون عليها من العقاب فان اراد ان يعاقبكم باسقاط كسف من السماء فعل وان
اراد عقابا اخر فاليه الحكم والمشية فاخذهم الله بنحو ما اقترحوا من عذاب الظلة ان ارادوا بالسماء السحاب وان ارادوا المظلة فقد خالف
بهم عن مقترحهم يروى انه حبس عنهم الريح سبعا وسلط عليهم الومد فاخذ بانفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية
فاظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا وروي ان شعيبا بعث الى امتين اصحاب مدين واصحاب الايكة فاهلكت
مدين بصيحة جبريل واصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة فان قلت كيف كرر في هذه السورة في اول كل قصة واخرها ما كرر قلت كل قصة منها كتنزيل براسه
وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في ان يفتتح بما افتتحت به صاحبتها وان تختتم بما اختتمت به ولان في التكرير تقريرا
للمعاني في الانفس وتثبيتا لها في الصدور الا ترى انه لا طريق الى تحفظ العلوم الا ترديد ما يراد تحفظه منها فكلما زاد ترديده كان امكن له في القلب وارسخ
في الفهم واثبت للذكر وابعد من النسيان ولان هذه القصص طرقت بها اذان وقر عن الانصات للحق وقلوب غلف عن تدبره فكوثرت بالوعظ والتذكير

روجعت بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح اذنا ويفتق ذهنا او يصقل عقلا طال عهده بالصقل او يجلو فهما قد غطى عليه تراكم الصدا وانه
وان هذا التنزيل يعني ما نزل من هذه القصص والايات والمراد بالتنزيل المنزل والبا في نزل به الروح ونزل به الروح على القراءتين للتعدية ومعنى
نزل به الروح جعل الله الروح نازلا به على قلبك اي حفظكه وفهمك اياه واثبته في قلبك اثبات ما لا ينسى كقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى بلسان اما ان
يتعلق بالمنذرين فيكون المعنى لتكون من الذين انذروا بهذا اللسان وهم خمسة هود وصالح وشعيب واسمعيل ومحمد صلوات الله عليهم واما ان يتعلق بنزل
فيكون المعنى نزله باللسان العربي لتنذر به لانه لو نزله باللسان الاعجمي لتجافوا عنه اصلا ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار به وفي هذا
الوجه ان تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لانك تفهمه وتفهمه قومك ولو كان اعجميا لكان نازلا على سمعك دون
قلبك لانك تسمع اجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات فاذا كلم بلغته التي لقنها اولا ونشا عليها وتطبع
بها لم يكن قلبه الا الى معاني الكلام يتلقاها بقلبه ولا يكاد يفطن للالفاظ كيف جرت وان كلم بغير تلك اللغة وان كان ماهرا بمعرفتها نظر اولا
في الفاظها ثم في معانيها فهذا تقرير انه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربي مبين وانه وان القران يعني ذكره مثبت في سائر الكتب السماوية وقيل ان معانيه
فيها وبه يحتج لابي حنيفة رحمه الله في جواز القراة بالفارسية في الصلوة على ان القران قران اذا ترجم بغير العربية حيث قيل وانه لفي زبر الاولين لكون معانيه
فيها وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في ان يعلمه وليس بواضح قرئ يكن بالتذكير واية بالنصب على انها خبره وان يعلمه هو الاسم وقرئ
تكن بالتانيث وجعلت اية اسما وان يعلمه خبرا وليست كالاولى لوقوع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد خرج لها وجه اخر ليتخلص من ذلك فقيل في
يكن ضمير القصة واية ان يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز على هذا ان يكون لهم اية هي جملة الشان وان يعلمه بدلا عن اية ويجوز مع نصب الاية تانيث تكون
كقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا ومنه بيت لبيد فمضى وقدمها وكانت عادة منه اذا هي عردت اقدامها وقرئ تعلمه بالتاء وعلماء بني اسرائيل عبد
الله بن سلام وغيره قال الله تعالى واذا يتلى عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين فان قلت كيف خط في المصحف علموا
بواو قبل الالف قلت خط على لغة من يميل الالف الى الواو وعلى هذه اللغة كتبت الصلوة والزكوة والربوا والاعجم الذي لا يفصح وفي لسانه عجمة
واستعجام والاعجمي مثله الا ان فيه لزيادة ياء النسبة لزيادة تاكيد وقرا الحسن الاعجميين ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له
اعجم واعجمي شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين وقالوا لكل ذي صوت من البهائم والطيور وغيرها اعجم قال حميد ولا عربيا شاقه صوت اعجما سلكناه
ادخلناه ومكناه والمعنى انا انزلنا هذا القران على رجل عربي بلسان عربي مبين فسمعوا به وفهموه وعرفوا فصاحته وانه معجز لا يعارض بكلام مثله وانضم
الى ذلك اتفاق علماء اهل الكتب المنزلة قبله على ان البشارة بانزاله وتحلية المنزل عليه وصفته في كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك انها
من عند الله وليست باساطير كما زعموا فلم يؤمنوا به وجحدوه وسموه شعرا تارة وسحرا اخرى وقالوا هو من تلفيق محمد وافترائه ولو نزلناه على بعض الاعاجم
الذي لا يحسن العربية فضلا ان يقدر على نظم مثله فقراه عليهم هكذا فصيحا معجزا متحدى به لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لجحودهم عذرا ولسموه سحرا ثم قال
كذلك سلكناه اي مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم وهكذا مكناه وقررناه فيها وعلى مثل هذه الحال وهذه الصفة من الكفر به والتكذيب له وضعناه
فيها فكيفما فعل بهم وصنع وعلى اي وجه دبر امرهم فلا سبيل الى ان يتغيروا عما هم عليه من جحوده وانكاره كما قال الله تعالى ولو نزلنا عليك كتابا في
قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين فان قلت كيف اسند السلك بصفة التكذيب الى ذاته قلت اراد به الدلالة على تمكنه
مكذبا في قلوبهم اشد التمكن واثبته فجعله بمنزلة امر قد جبلوا عليه وفطروا الا ترى الى قولهم هو مجبول على الشح يريدون تمكن الشح فيه لان الامور
الخلقية اثبت من العارضة والدليل عليه انه اسند ترك الايمان به اليهم على عقبه وهو قوله لا يؤمنون فان قلت ما موقع لا يؤمنون به من قوله
سلكناه في قلوب المجرمين قلت موقعه منه موقع الموضح والملخص لانه مسوق لثباته مكذبا مجحودا في قلوبهم فاتبع ما يقرر هذا المعنى من انهم
لا يزالون على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد ويجوز ان يكون حالا اي سلكناه فيها غير مؤمن به وقرا الحسن رحمه الله فتاتيهم بالتاء يعني

الساعة وبغتة بالتحريك وفي حرف ابي ويروه بغتة فان قلت ما معنى التعقيب في قوله فياتيهم بغتة فيقولوا قلت ليس المعنى ترادف روية العذاب ومفاجاة
وسوال النظرة فيه في الوجود وانما المعنى ترتبها في الشدة كانه قيل لا يومنون بالقران حتى يكون رويتهم العذاب فما هو اشد منها وهو لحوقه بهم
مفاجاة فما هو اشد منه وهو سوالهم النظرة ومثال ذلك ان تقول لمن تعظه ان اسات مقتك الصالحون فمقتك الله فانك لا تقصد بهذا الترتيب ان
مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين وانما قصدك الى ترتيب شدة الامر على المسي وانه يحصل له بسبب الاساة مقت الصالحين فما هو اشد من مقتهم وهو
مقت الله وترى ثم يقع في هذا الاسلوب فيحل موقعه افبعذابنا يستعجلون تبكيت لهم بانكار وتهكم ومعناه كيف يستعجل العذاب من هو معرض لعذاب
يسال فيه من جنس ما هو فيه اليوم من النظرة والامهال طرفة عين فلا يجاب اليها ويحتمل ان يكون هذا حكاية توبيخ يوبخون به عند استنظارهم يومئذ
ويستعجلون على هذا الوجه حكاية حال ماضية ووجه اخر متصل بما بعده وذلك ان استعجالهم بالعذاب انما كان لاعتقادهم انه غير كاين ولا لاحق بهم وانهم
ممتعون باعمار طوال في سلامة وامن فقال عز وجل افبعذابنا يستعجلون اشرا وبطرا واستهزاء واتكالا على الامل الطويل ثم قال هب ان الامر كما يعتقدون
من تمتيعهم وتعميرهم فاذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم ما مضى من طول اعمارهم وطيب معايشهم وعن ميمون بن مهران انه لقي الحسن في الطواف و
كان يتمنى لقاءه فقال له عظني فلم يزده على تلاوة هذه الاية فقال ميمون بن مهران لقد وعظت فابلغت وقري يمتعون بالتخفيف منذرون الرسل
ينذرونهم ذكرى بمعنى تذكرة اما لان انذر وذكر متقاربان فكانه قيل مذكرون تذكرة واما لانها حال من الضمير في منذرون اي ينذرونهم ذوي
تذكرة واما لانها مفعول له على معنى انهم منذرون لاجل الموعظة والتذكرة او مرفوعة على انها خبر مبتدا محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية او
صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى او جعلوا ذكرى لامعانهم في التذكرة واطنابهم فيها ووجه اخر وهو ان يكون ذكرى متعلقة باهلكنا مفعولا
له والمعنى وما اهلكنا من اهل قرية ظالمين الا بعدما الزمناهم الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل
عصيانهم وما كنا ظالمين فنهلك قوما غير ظالمين وهذا الوجه عليه المعول فان قلت كيف عزلت الواو عن الجملة بعد الا ولم تعزل عنها في قوله تعالى وما
اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم قلت الاصل عزل الواو لان الجملة صفة لقرية واذا زيدت فلتاكيد وصل الصفة بالموصوف كما في قوله سبعة وثامنهم
كلبهم كانوا يقولون ان محمدا كاهن وما يتنزل به الشياطين على الكهنة فكذبوا بان ذلك مما يتسهل للشياطين ولا يقدرون عليه لانهم مرجومون بالشهب
معزولون عن استماع كلام اهل السماء وقرا الحسن الشياطون ووجهه انه راى اخره كاخر يبرين وفلسطين فتخير بين ان يجري الاعراب على النون وبين ان
يجريه على ما قبله فيقول الشياطين والشياطون كما تخيرت العرب بين ان يقولوا هذه يبرون ويبرين وفلسطون وفلسطين وحقه ان يشتقه من الشيطوطة
وهي الهلاك كما قيل له الباطل وعن الفراء رحمه الله غلط الشيخ في قراته الشياطون ظن انها النون التي على هجايين فقال النضر بن شميل ان جاز ان يحتج
بقول العجاج ورؤبة فهلا جاز ان يحتج بقول الحسن وصاحبه يريد محمد بن السميفع مع انا نعلم انهما لم يقرا به الا وقد سمعا فيه وقد علم ان ذلك لا يكون ولكنه
اراد ان يحركه منه لازدياد الاخلاص والتقوى وفيه لطف لساير المكلفين كما قال ولو تقول علينا بعض الاقاويل فان كنت في شك مما انزلنا اليك فيه
وجهان احدهما ان يومر بانذار الاقرب من قومه ويبدا في ذلك بمن هو اولى بالبداءة ثم بمن يليه وان يقدم انذارهم على غيرهم كما روي عنه صلى الله عليه وسلم
انه لما دخل مكة قال كل ربوا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين واول ما وضعه ربوا العباس والثاني ان يومر بان لا ياخذه ما ياخذ القريب للقريب
من العطف والراقة ولا يحابيهم في الانذار والتخويف وروي انه صعد الصفا لما نزلت فنادى الاقرب فالاقرب فخذا فخذا وقال يا بني عبد المطلب
يا بني هاشم يا بني عبد مناف يا عباس عم النبي يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لا املك لكم من الله شيا سلوني من مالي ما شيتم وروي انه جمع
بني عبد المطلب وهم يومئذ اربعون رجلا الرجل منهم ياكل الجذعة ويشرب العس على رجل شاة وقعت من لبن فاكلوا وشربوا حتى صدروا ثم انذرهم فقال
يا بني عبد المطلب لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال اني نذير لكم بين يدي عذاب شديد وروي انه قال يا بني عبد
المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف افتدوا انفسكم من النار واني لا اغني عنكم شيا ثم قال يا عايشة بنت ابي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت

محمد ويا صفية عمة محمد اشتريا انفسكن من النار فاني لا اغني عنكن شيئا الطاير اذا اراد ان يحط للوقوع كسر جناحه وخفضه واذا اراد ان
ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلا في التواضع ولين الجانب ومنه قول بعضهم ″ وانت الشهير بخفض الجناح فلا تك في
رفعه اجدلا ″ ينهاه عن التكبر بعد التواضع ″ فان قلت المتبعون للرسول هم المومنون والمومنون هم المتبعون للرسول فما معنى قوله لمن اتبعك
من المومنين قلت فيه وجهان ان يسميهم قبل الدخول في الايمان مومنين لمشارفتهم ذلك وان يريد بالمومنين المصدقين بالسنتهم وهم صنفان صنف
صدق واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به وصنف ما وجد منه الا التصديق فحسب ثم اما ان يكونوا منافقين او فاسقين والمنافق والفاسق
لا يخفض لهما الجناح والمعنى من المومنين من عشيرتك وغيرهم يعني انذر قومك فان اتبعوك واطاعوك فاخفض لهم جناحك فان عصوك ولم يتبعوك فتبرا
منهم ومن اعمالهم من الشرك بالله وغيره وتوكل على الله يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم والتوكل تفويض الرجل امره الى من يملك امره ويقدر على نفعه
وضره وقالوا المتوكل من اذا دهمه امر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله فعلى هذا اذا وقع الانسان في محنة ثم سال غيره خلاصه لم يخرج من
حد التوكل لانه لم يحاول دفع ما نزل به عن نفسه بمعصية الله وفي مصاحف اهل المدينة والشام فتوكل به قرا نافع وابن عامر وله محملان في العطف ان
يعطف على فقل او فلا تدع على العزيز الرحيم على الذي يقهر اعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته ثم اتبع كونه رحيما على رسوله ما هو من اسباب الرحمة وهو
ذكر ما كان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه في تصفح احوال المتهجدين من اصحابه ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون ويستبطن سرائرهم وكيف
يعبدون الله وكيف يعملون لاخرتهم كما يحكى انه حين نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه عليهم وعلى ما
يوجد منهم من فعل الطاعات وتكثير الحسنات فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله والتلاوة والمراد بالساجدين المصلين
وقيل معناه يراك حين تقوم للصلوة بالناس جماعة وتقلبه في الساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده اذا امهم وعن مقاتل انه
سال ابا حنيفة رحمه الله هل تجد الصلوة في الجماعة في القران فقال لا يحضرني فتلا له هذه الاية ويحتمل انه لا يخفى عليه حالك كلما قمت وتقلبت مع
الساجدين في كفاية امور الدين انه هو السميع لما تقوله العليم بما تنويه وتعمله وقيل هو تقلب بصره فيمن يصلي خلفه من قوله عليه السلم اتموا الركوع
والسجود فوالله اني لاراكم من خلف ظهري اذا ركعتم وسجدتم وقرى ويقلبك كل افاك اثيم هم الكهنة والمتنبية كشق وسطيح ومسيلمة وطليحة يلقون السمع
هم الشياطين كانوا قبل ان يحجبوا بالرجم يسمعون الى الملا الاعلى فيختطفون بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون به الى اوليايهم
من اوليك واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم لانهم يسمعونهم ما لم يسمعوا وقيل يلقون اليها اوليايهم السمع اي المسموع من الملايكة وقيل الافاكون
يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون وحيهم اليهم او يلقون المسموع من الشياطين الى الناس واكثر الافاكين كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم
وترى اكثر ما يحكون به باطلا وزورا وفي الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من ماية كذبة والقر الصب فان قلت كيف
دخل حرف الجر على من المتضمنة لمعنى الاستفهام والاستفهام له صدر الكلام الا ترى الى قولك اعلى زيد مررت ولا تقول على ازيد مررت قلت ليس معنى التضمن
ان الاسم دل على معنيين معا معنى الاسم ومعنى الحرف وانما معناه ان الاصل امن فحذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والاصل
اهل قال اهل راونا بسفح القاع ذي الاكم فاذا ادخلت حرف الجر على من فقدر الهمزة قبل حرف الجر في ضميرك كانك تقول اعلى من تنزل الشياطين كقولك
اعلى زيد مررت فان قلت يلقون ما محله قلت يجوز ان يكون في محل النصب على الحال اي تنزل ملقين السمع وفي محل الجر صفة لكل افاك لانه في معنى الجمع
وان لا يكون له محل بان يستانف كان قايلا قال لم تنزل على الافاكين فقيل يفعلون كيت وكيت فان قلت كيف قيل واكثرهم كاذبون بعد ما قضي
عليهم ان كل واحد منهم افاك قلت الافاكون هم الذين يكثرون الافك ولا يدل ذلك على انهم لا ينطقون الا بالافك فاراد ان هولا الافاكين
قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني واكثرهم مفتر عليه فان قلت وانه لتنزيل رب العالمين وما تنزلت به الشياطين هل انبيكم على من تنزل الشيا
الشياطين لم فرق بينهن وهن اخوات قلت اريد التفريق بينهن بايات ليست في معناهن ليرجع الى المجي بهن وتطرية ذكر ما فيهن كرة بعد كرة فيدل بذلك

على ان المعنى الذي نزلنا فيه من المعاني التي اشتدت كراهة الله بخلافها ومثاله ان يحدث الرجل وفي صدره اهتمام بشي منه وفضل عناية فتراه يعيد
ذكره ولا ينفك عن الرجوع اليه والشعرا مبتدا ويتبعهم الغاوون خبره ومعناه انه لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وفضول قولهم وما هم عليه من الهجا وتمزيق
الاعراض والقدح في الانساب والنسيب بالحرم والغزل والابتهار ومدح من لا يستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على قولهم الا الغاوون والسفها
والشطار وقيل الغاوون الراوون وقيل الشياطين وقيل هم شعرا قريش عبد الله بن الزبعري وهبيرة بن ابي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وعمرو
الجمحي ومن ثقيف امية بن ابي الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد وكانوا يهجونه ويجتمع اليهم الاعراب من قومهم يستمعون اشعارهم واهاجيهم وقرا عيسى
ابن عمر والشعرا بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر قال ابو عبيد كان الغالب عليه حب النصب قرا حمالة الحطب والسارق والسارقة وسورة انزلناها
وقري يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيها لبعه بعضد ذكر الوادي والهيوم فيه تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول واعتسافهم وقلة
مبالاتهم بالغلو في المنطق ومجاوزة حد القصد فيه حتى يفضلوا اجبن الناس على عنترة واشحهم على حاتم وان يبهتوا البري ويفسقوا التقي وعن
الفرزدق ان سليمان بن عبد الملك سمع قوله فبتن بجانبي مصرعات وبت افض اغلاق الختام فقال قد وجب عليك الحد فقال يا امير المومنين قد
درا الله عني الحد بقوله وانهم يقولون ما لا يفعلون استثنى الشعرا المومنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القران وكان ذلك ابلغ
عليهم من الشعر واذا قالوا شعرا قالوه في توحيد الله والثنا عليه والحكمة والموعظة والزهد والاداب الحسنة ومدح رسول الله والصحابة وصلحا
الامة وما لا باس به من المعاني التي لا يتلطخون فيها بذنب ولا يتلبسون لشاينة ولا منقصة وكان هجاوهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم قال الله
تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وذلك من غير اعتدا ولا زيادة على ما هو جواب لقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل
ما اعتدى عليكم وعن عمرو بن عبيد رحمه الله ان رجلا من العلوية قال له ان صدري ليجيش بالشعر فقال فما يمنعك منه فيما لا باس به والقول فيه ان
الشعر باب من الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام وقيل ان المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبان كعب بن مالك
وكعب بن زهير والذين كانوا ينافحون عن رسول الله ويكافحون هجاة قريش وعن كعب بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له
اهجهم فو الذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك ختم السورة باية ناطقة بما لا شي اهيب منه واهول ولا
انكا لقلوب المتاملين ولا اصدع لاكباد المتدبرين وذلك قوله وسيعلم وما فيه من الوعيد البليغ وقوله الذين ظلموا واطلاقه وقوله اي منقلب
ينقلبون وابهامه وقد تلاها ابو بكر رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه حين عهد اليه وكان السلف الصالح يتواعظون بها ويتناذرون بشدتها وتفسير
الظلم بالكفر تعليل ولان تخاف فتبلغ الامن خير من ان تامن فتبلغ الخوف وقرا ابن عباس اي منفلت ينفلتون ومعناها ان الذين ظلموا يطمعون ان
ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات وهو النجاة اللهم اجعلنا ممن جعل هذه الاية بين عينيه فلم يغفل عنها وعلم
ان من عمل سيئة فهو من الذين ظلموا والله اعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الشعرا كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب
به وهود وشعيب وصالح وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم سورة النمل مكية وهي ثلث وتسعون اية وقيل اربع

بسم الله الرحمن الرحيم طس قري بالتفخيم والامالة وتلك اشارة الى ايات السورة والكتاب المبين اما اللوح وابانته انه قد خط فيه كل ما هو
كاين فهو يبينه للناظرين فيه ابانة واما السورة واما القران وابانتهما انهما يبينان ما اودعاه من العلوم والحكم والشرايع وان اعجازهما ظاهر
مكشوف واضافة الايات الى القران والكتاب المبين على سبيل التفخيم لها والتعظيم لان المضاف الى العظيم يعظم بالاضافة اليه فان قلت لم نكر الكتاب
المبين قلت ليبهم بالتنكير فيكون افخم له كقوله تعالى في مقعد صدق عند مليك مقتدر فان قلت ما وجه عطفه على القران اذا اريد به القران قلت
كما تعطف احدى الصفتين على الاخرى في نحو قولك هذا فعل السخي والجواد الكريم لان القران هو المنزل المبارك المصدق لما بين يديه فكان حكمه حكم
الصفات المستقلة بالمدح فكانه قيل تلك الايات ايات المنزل المبارك واي كتاب مبين وقرا ابن ابي عبلة وكتاب مبين بالرفع على تقدير المضاف فحذفت

المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فان قلت ما الفرق بين هذا وبين قوله الر تلك ايات الكتاب وقران مبين قلت لا فرق بينهما الا ما بين المعطوف
والمعطوف عليه من التقدم والتاخر وذلك على ضربين ضرب جار مجرى التثنية لا يترجح فيه جانب على جانب وضرب فيه ترجح فالاول نحو قوله وقولوا حطة
وادخلوا الباب سجدا ومنه ما نحن بصدده والثاني نحو قوله شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم هدى وبشرى في محل النصب او الرفع فالنصب
على الحال اي هادية ومبشرة والعامل فيها ما في تلك من معنى الاشارة والرفع على ثلثة اوجه على هي هدى وبشرى وعلى البدل من الايات وعلى ان يكون
خبرا بعد خبر اي جمعت انها ايات وانها هدى وبشرى والمعنى في كونها هدى للمومنين انها زايدة في هداهم قال الله تعالى فاما الذين امنوا فزادتهم
ايمانا فان قلت وهم بالاخرة هم يوقنون كيف يتصل بما قبله قلت يحتمل ان يكون من جملة صلة الموصول ويحتمل ان تتم الصلة عنده ويكون جملة
اعتراضية كانه قيل وهؤلاء الذين يومنون ويعملون الصالحات من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة هم الموقنون بالاخرة وهو الوجه ويدل
عليه انه عقد جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدا الذي هو هم حتى صار معناها وما يوقن بالاخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون بين الايمان
والعمل الصالح لان خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق فان قلت كيف اسند تزيين اعمالهم الى ذاته وقد اسنده الى الشيطان حقيقة واسناده
الى الله عز وجل مجاز وله طريقان في علم البيان احدهما ان يكون من المجاز يسمى الاستعارة والثاني ان يكون من المجاز الحكمي فالطريق الاول انه لما
متعهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا انعام الله بذلك عليهم واحسانه اليهم ذريعة الى اتباع شهواتهم وبطرهم وايثارهم الروح والترفه ونفارهم
عما تلزمهم فيه التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة فكانه زين لهم بذلك اعمالهم واليه اشارت الملائكة عليهم السلام في قولهم ولكن متعتهم واباءهم حتى
نسوا الذكر والطريق الثاني ان امهاله الشيطان وتخليته حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين فاسند اليه لان المجاز الحكمي يصحح بعض الملابسات
الملابسات وقيل هي اعمال الخير التي وجب عليهم ان يعملوها زينها لهم الله فعمهوا عنها وضلوا ويعزى الى الحسن والعمه التحير والتردد كما يكون حال
الضال عن الطريق وعن بعض الاعراب انه دخل السوق وما ابصرها قط فقال رايت الناس عمهين اراد مترددين في اعمالهم واشغالهم سوء العذاب القتل
والاسر يوم بدر والاخسرون اشد الناس خسرانا لانهم لو امنوا لكانوا من الشهداء على جميع الامم فخسروا ذلك مع خسران النجاة وثواب الله
لتلقى القران لتوتاه وتلقنه من عند اي حكيم واي عليم وهذا معنى مجيئهما نكرتين وهذه الاية بساط وتمهيد لما يريد ان يسوق بعدها من
الاقاصيص وما في ذلك من لطايف حكمته ودقايق علمه اذ منصوب باضمار وهو اذكر كانه قال على اثر ذلك خذ من اثار حكمته وعلمه قصة موسى ويجوز ان
ينتصب بعليم روي انه لم يكن مع موسى عليه السلام غير امراته وقد كنى الله عنها بالاهل فتبع ذلك ورود الخطاب على لفظ الجمع وهو قوله امكثوا الشهاب
الشعلة والقبس النار المقبوسة واضاف الشهاب الى القبس لانه يكون قبسا وغير قبس ومن قرا بالتنوين جعل القبس بدلا او صفة لما فيه من معنى القبس والخبر
ما يخبر به عن حال الطريق لانه كان قد ضله فان قلت سآتيكم منها بخبر ولعلي اتيكم منها بخبر كالمتدافعين لان احدهما ترج والاخر تيقن قلت قد يقول
الراجي اذا قوي رجاؤه سافعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة فان قلت كيف جاء بسين التسويف قلت عدة لاهله انه ياتيهم به وان ابطا او كانت
المسافة بعيدة فان قلت فلم جاء باو دون الواو قلت بنى الرجاء على انه ان لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما اما هداية الطريق واما
اقتباس النار ثقة بعادة الله انه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده وما ادراه حين قال ذلك انه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين وهما العزان عز الدنيا
وعز الاخرة ان هي المفسرة لان النداء فيه معنى القول والمعنى قيل له بورك فان قلت هل يجوز ان يكون المخففة من الثقيلة وتقديره نودي بانه
بورك والضمير ضمير الشان قلت لا لانه لا بد من قد فان قلت فعلى اضمارها قلت لا يصح لانها علامة لا تحذف ومعنى بورك من في النار ومن حولها
بورك من في مكان النار ومن حول مكانها ومكانها البقعة التي حصلت فيها وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطئ الوادي
الايمن في البقعة المباركة وتدل عليه قراءة ابي تباركت الارض ومن حولها وعنه بوركت النار والذي بوركت له البقعة وبورك من فيها وحواليها
حدوث امر ديني فيها وهو تكليم الله موسى واستنباؤه له واظهار المعجزات عليه ورب خير يتجدد في بعض البقاع فينشر الله بركة ذلك الخير في اقاصيها

قوله وزين لهم الشيطان اعمالهم

ويبث آثار يمنه في اباعدها فكيف بمثل ذلك الامر العظيم الذي جرى في تلك البقعة وقيل المراد بالمبارك فيهم موسى والملئكة الحاضرون والظاهر
انه عام في كل من كان في تلك الارض وفي ذلك الوادي وحواليهما من ارض الشام ولقد جعل الله ارض الشام بالبركات موسومة في قوله ونجيناه ولوطا
الى الارض التي باركنا فيها للعالمين وحقت ان يكون كذلك فهي مبعث الانبياء صلوات الله عليهم ومهبط الوحي وكفاتهم احياء وامواتا فان قلت فما معنى
ابتداء خطاب الله موسى بذلك عند مجيئه قلت هي بشارة له بانه قد قضي امر عظيم تنتشر منه في ارض الشام كلها البركة وسبحان الله رب العالمين تعجيب
لموسى من ذلك وايذان بان ذلك الامر مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على ان الكائن من جلائل الامور وعظائم الشؤون الهاء في انه يجوز ان
يكون ضمير الشان والبيان انا الله مبتدا وخبر والعزيز الحكيم صفتان للخبر وان يكون راجعا الى ما دل عليه ما قبله يعني ان مكلمك انا والله بيان لانا
والعزيز الحكيم صفتان للمبين وهذا تمهيد لما اراد ان يظهره على يده من المعجزة يريد انا القوي القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل
كل ما افعله بحكمة وتدبير فان قلت علام عطف قوله والق عصاك قلت على بورك لان المعنى نودي ان بورك من في النار وان الق عصاك كلاهما تفسير لنودي
والمعنى قيل له بورك من في النار وقيل الق عصاك والدليل على ذلك قوله عز من قايل وان الق عصاك بعد قوله ان يا موسى اني انا الله على تكرير حرف التفسير
كما يقول كتبت اليك ان حج وان اعتمر وان شئت اوحج واعتمر قرا الحسن جأن على لغة من يجد في الهرب من التقاء الساكنين فيقول شابة ودابة ومنها قراءة عمر
وبن عبيد ولا الضالين لم يعقب لم يرجع يقال عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار قال فما عقبوا اذ قيل هل من معقب ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا وانما
رعب لظنه ان ذلك الامر اريد به ويدل عليه اني لا يخاف لدي المرسلون والا بمعنى لكن لانه لما اطلق نفي الخوف عن الرسل كان ذلك مظنة لطرو الشبهة
فاستدرك ذلك والمعنى ولكن من ظلم منهم اي فرطت منه صغيرة مما يجوز على الانبياء كالذي فرط من ادم ويونس وداود وسليمان واخوة يوسف ومن موسى عليه
السلام بوكزة القبطي ويوشك ان يقصد بهذا التعريض بما وجد من موسى وهو من التعريضات التي يلطف ماخذها وسماه ظلما كما قال موسى رب اني
ظلمت نفسي فاغفر لي والحسن والسو حسن التوبة وقبح الذنب وقري الا من ظلم بحرف التنبيه وعن ابي عمرو في رواية عصمة حسنا في تسع ايات كلام مستانف وحرف
الجر فيه يتعلق بمحذوف والمعنى اذهب في تسع ايات الى فرعون ونحوه فقلت الى الطعام فقال منهم فريق نحسد الانس الطعاما ويجوز ان يكون المعنى والق
عصاك وادخل يدك في تسع ايات اي في جملة تسع ايات وعدادهن ولقايل ان يقول كانت الايات احدى عشرة ثنتان منها اليد والعصا والتسع الفلق
والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم المبصرة الظاهرة البينة جعل الابصار لها وهو في
الحقيقة لمتامليها لانهم لابسوها وكانوا بسبب منها بنظرهم وتفكرهم فيها ويجوز ان يراد بحقيقة الابصار كل ناظر فيها من كافة اولي العقل وان
يراد ابصار فرعون وملايه لقوله واستيقنتها انفسهم او جعلت كانها تبصر وتهتدي لان العمي لا تقدر على الاهتداء فضلا ان تهدي غيرها ومنه
قولهم كلمة عيناء وكلمة عوراء لان الكلمة الحسنة ترشد والسيئة تغوي ونحوه قوله تعالى لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصاير فوصفها
بالبصارة كما وصفها بالابصار وقرا علي بن الحسين وقتادة مبصرة وهي نحو مجبنة ومبخلة ومجفرة اي مكانا يكثر فيه التبصر الواو في واستيقنتها واو
الحال وقد بعدها مضمرة والعلو الكبر والترفع عن الايمان بما جاء به موسى كقوله تعالى فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا
وقومهما لنا عابدون وقري عليا بالضم والكسر كما قري عتيا وفايدة ذكر الانفس انهم جحدوها بالسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضمايرهم والاستيقان
ابلغ من الايقان وقد قوبل بين المبصرة والمبين واي ظلم افحش من ظلم من اعتقد واستيقن انها ايات بينة واضحة جاءت من عند الله ثم كابر بتسميتها
سحرا بينا مكشوفا لا شبهة فيه علما طايفة من العلم او علما سنيا عزيزا فان قلت اليس هذا موضع الفاء دون الواو كقوله تعالى اعطيته فشكر ومنعته فصبر
قلت بلى ولكن عطفه بالواو اشعار بان ما قالاه بعض ما احدث فيهما ايتاء العلم وشيء من مواجبه فاضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كانه قال ولقد اتيناهما
علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير والكثير المفضل عليه من لم يوت علما او من لم يوت مثل
علمهما وفيه انهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وفي الاية دليل على شرف العلم وانافة محله وتقدم حملته واهله وان نعمة العلم من اجل النعم

٢٤٥

واجزل القسم وان من اوتيه فقد اوتي فضلا على كثير من عباد الله كما قال والذين اوتوا العلم درجات وما سماهم رسول الله ورثة الانبياء الا
لدنا نامتهم في الشرف والمنزلة للعلم المقوّلم بما بعثوا من اجله وفيها انه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة لوازم منها ان يحمدوا الله على ما اوتوه من فضلهم
على غيرهم وفيها التذكير بالتواضع وان يعتقد العالم انه ان فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما احسن قول عمر رضي الله عنه كل الناس افقه من عمر
ورث منه النبوة والملك دون ساير بنيه وكانوا تسعة عشر وكان داود اكثر تعبدا وسليمان اقضى واشكر لنعمة الله قال يا ايها الناس تشهيرا لنعمة الله
وتنويها بها واعترافا بمكانها ودعاء الناس الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك مما اوتيه من عظايم الامور والمنطق
كل ما يصوّت به من المفرد والمولف المفيد وغير المفيد وقد ترجم يعقوب كتابه باصلاح المنطق وما اصلح فيه الا مفردات الكلم وقالت العرب
نطقت الحمامة وكل صنف من الطير يتفاهم اصواته والذي علمه سليمان من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه واغراضه ويحكى انه
مر على بلبل في شجرة يحرك راسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما يقول قالوا الله ونبيه اعلم قال يقول اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء
وصاحت فاختة فاخبر انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس يقولها فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا
الله يا مذنبون وصاح طيطوي فقال يقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطّاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاحت رخمة فقال
يقول سبحان ربي الاعلى ملء سمايه وارضه وصاح قمري فاخبر انه يقول سبحان ربي الاعلى وقال الحداء يقول كل شيء هالك الا الله والقطاة
يقول من سكت سلم والببغاء يقول ويل لمن الدنيا همه والديك يقول اذكروا الله يا غافلون والنسر يقول يا ابن ادم عش ما شئت اخرك الموت
والعقاب يقول في البعد من الناس انس والضفدع يقول ربي القدوس واراد بقوله من كل شيء كثرة ما اوتي كما يقول فلان يقصده كل احد ويعلم
كل شيء يريد كثرة قصاده ورجوعه الى غزارة في العلم واستكثار منه ومثله قوله واوتيت من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين قوله وارد على سبيل
الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر اي يقول هذا القول شكرا ولا اقوله فخرا فان قلت كيف قال علمنا و
واوتينا وهو من كلام المتكبرين قلت فيه وجهان احدهما ان يريد نفسه واباه والثاني ان هذه النون يقال لها نون الواحد المطاع وكان ملكا
مطاعا فكلم اهل طاعته على صفته وحالته التي كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك وقد يتعلق بتجمل الملك وتفخيمه واظهار ابهته وسياسة مصالح فيعود
تكلف ذلك واجبا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل نحوا من ذلك اذا وفد عليه وفد واحتاج ان يرجح في عين عدوه الا ترى كيف امر العباس
بان يحبس ابا سفيان حتى تمر عليه الكتايب روي ان معسكره كان ماية فرسخ في ماية خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير
وخمسة وعشرون للوحش وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثماية منكوحة وسبعماية سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا
في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستماية الف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء
على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به
مسيرة شهر وروي انه كان يامر الريح العاصف تحمله ويامر الرخاء تسيره فاوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك لا
يتكلم احد بشيء الا القته الريح في سمعك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد اوتي ال داود ملكا عظيما فالقته الريح في اذنه فنزل ومشى الى الحراث
وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله خير مما اوتي ال داود يوزعون يحبس اولهم على اخرهم اي يوقف
سلاف العسكر مقدمتهم حتى تلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم واحد وذلك للكثرة العظيمة قيل هو واد بالشام كثير النمل فان
قلت لم عدي اتوا بعلى قلت يتوجه على معنيين احدهما ان اتيانهم كان من فوق فاتى بحرف الاستعلاء كما قال ابو الطيب قطع الوادي فلشد
ما جاوزت قدرك صاعدا ولشد ما قربت عليك الانجم لما كان قربا من فوق والثاني ان يراد قطع الوادي وبلوغ اخره من قولهم اتى على الشيء
اذا انفده وبلغ اخره كانهم ارادوا ان ينزلوا عند منقطع الوادي لانهم ما دامت الريح تحملهم في الهواء لا يخاف حطمهم وقرئ نملة يا ايها النمل بضم

الميم وبضم النون والميم وكان الاصل النمُل بوزن الرجل والنمل الذي عليه الاستعمال تخفيف عنه كقولهم السبع في السبع قيل كانت تمشي وهي عرجاء
تتكاوس فنادت يا ايها النمل الاية فسمع سليمان كلامها من ثلثة اميال وقيل كان اسمها طاخية وعن قتادة انه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا
عما شئتم وكان ابو حنيفة رحمه الله حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمان اكانت ذكرا ام انثى فسالوه فافحم فقال ابو حنيفة كانت انثى فقيل
له من اين عرفت قال من كتاب الله وهو قوله قالت نملة ولو كان ذكرا لقال قال نملة وذلك ان النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والانثى
فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى وهو وهي وقرئ مسكنكم ولا يحطمنكم بتخفيف النون وقرئ لا يحطمنكم بفتح الحاء وكسرها واصله
يحتطمنكم ولما جعلها قائلة والنمل مقولا لهم كما يكون في اولي العقل اجرى خطابهم مجرى خطابهم فان قلت لا يحطمنكم ما هو قلت يحتمل ان يكون
جوابا للامر وان يكون نهيا بدلا من الامر والذي جوّز ان يكون بدلا منه انه في معنى لا تكونوا حيث انتم فيحطمنكم على طريقة لا ارينك هاهنا اراد
لا يحطمنكم جنود سليمان فجاء بما هو ابلغ ونحوه عجبت من نفسي ومن اشفاقها ومعنى تبسم ضاحكا تبسم شارعا في الضحك واخذا فيه يعني انه قد تجاوز حدّ
التبسم الى الضحك وكذلك ضحك الانبياء واما ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فالغرض المبالغة في وصف ما وجد منه من الضحك
النبوي والا فبدو النواجذ على الحقيقة انما يكون عند الاستغراب وقرأ ابن السميفع ضحكا فان قلت ما اضحكه من قولها قلت شيئان اعجابه بما دل
من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وعلى شهرة حاله وحالهم في باب التقوى وذلك قولها وهم لا يشعرون يعني انهم لو شعروا لم يفعلوا
وسروره بما اتاه الله مما لم يوت احدا من ادراكه بسمعه ما همس به بعض الحكل الذي هو مثل في الصغر والقلة ومن احاطته بمعناه ولذلك اشتمل دعاؤه
على استيزاع الله شكر ما انعم به عليه من ذلك وعلى الاستيفاق لزيادة العمل الصالح والتقوى وحقيقة اوزعني اجعلني ازع شكر نعمتك عندي واكفّه
وارتبطه عني حتى لا ينفلت عني حتى لا انفك شاكرا لك وانما ادرج ذكر والديه لان النعمة على الولد نعمة على الوالدين خصوصا النعمة الراجعة الى الدين
فانه اذا كان تقيا نفعهما بدعائه وشفاعته وبدعاء المومنين لهما كلما دعوا له وقالوا رضي الله عنك وعن والديك وروي ان النملة احست بصوت الجنود
ولا تعلم انهم في الهواء فامر سليمان عليه السلام الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة ومعنى وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين
واجعلني من اهل الجنة ام هي المنقطعة نظر الى مكان الهدهد فلم يبصره فقال ما لي لا اراه على معنى انه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره او غير ذلك ثم لاح له
انه غائب فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو غائب كانه يسال عن صحة ما لاح له ونحوه قولهم انها لابل ام شاء وذكر من قصة الهدهد ان سليمان عليه السلام
حين تم له بناء بيت المقدس تجهز للحج بحشره فوافى الحرم واقام به ما شاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة الاف ناقة وخمسة الاف بقرة وعشرين الف شاة
ثم عزم الى السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فراى ارضا حسناء اعجبته خضرتها فنزل ليتغدى
ويصلي فلم يجد الماء وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى الماء في الزجاجة فيجيء الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الاهاب ويستخرجون
الماء فتفقده لذلك وحين نزل سليمان حلق الهدهد فراى هدهدا واقعا فانحط اليه فوصف له ملك سليمان وما سخر له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك
بلقيس وان تحت يدها اثني عشر الف قائد تحت يد كل قائد مائة الف وذهب معه لينظر فما رجع الا بعد العصر وذكر انه وقعت نفحة من الشمس على راس سليمان
فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عفريت الطير وهو النسر فساله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علي به فارتفعت فنظرت فاذا
هو مقبل فقصدته فناشدها الله وقال بحق الله الذي قواك واقدرك علي الا رحمتني فتركته وقالت ثكلتك امك ان نبي الله قد حلف ليعذبنك قال وما
استثنى قالت بلى او لياتيني بعذر مبين فلما قرب من سليمان ارخى ذنبه وجناحيه يجرها على الارض تواضعا له فلما دنا منه اخذ براسه فمده اليه فقال يا نبي
الله اذكر وقوفك بين يدي الله فارتعد سليمان وعفا عنه ثم ساله تعذيبه ان يودب بما يحتمله حاله ليعتبر به ابناء جنسه وقيل كان عذاب سليمان
للطير ان ينتف ريشه ويشمسه وقيل ان يطلى بالقطران ويشمس وقيل ان يلقى للنمل تاكله وقيل ايداعه القفص وقيل التفريق بينه وبين الفه وقيل
لالزمنه صحبة الاضداد وعن بعضهم اضيق السجون معاشرة الاضداد وقيل لالزمنه خدمة اقرانه فان قلت من اين حل له تعذيب الهدهد قلت

يجوز ان يبيح الله له ذلك لما راي فيه من المصلحة والمنفعة كما اباح ذبح البهايم والطيور للاكل وغيره من المنافع واذا سخر له الطير ولم يتم ما سخر من اجله
الا بالتاديب والسياسة جاز ان يباح له ما يستصلح به وقري ليأتينني وليأتين والسلطان الحجة والعذر فان قلت قد حلف على احد ثلثة اشيا فحلفه
على فعليه لا مقال فيه ولكن كيف صح حلفه على فعل الهدهد ومن اين دري انه ياتي بسلطان حتى يقول والله ليأتيني بسلطان قلت نظم الثلاثة باو في
الحكم الذي هو المحلوف عليه آل الكلام الى قولك ليكونن احد الامور يعني ان كان الاتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وان لم يكن كان احدهما وليس في
هذا ادعاء دراية على انه يجوز ان يتعقب حلفه بالفعلين وحي من الله بانه سياتيه بسلطان مبين فثلث بقوله او ليأتيني بسلطان مبين عن دراية
وايقان فمكث قري بفتح الكاف وضمها غير بعيد غير زمان بعيد كقولك عن قريب ووصف مكثه بقصر المدة للدلالة على اسراعه خوفا من سليمان و
ليعلم كيف كان الطير مسخرا له ولبيان ما اعطي من المعجزة الدالة على نبوته وعلى قدرة الله عز وجل احطت بادغام الطا في التا وباطباق وبغير
اطباق الهم الله الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام على ما اوتي من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلا
له في علمه وتنبيها على ان في ادنى خلقه واضعفه من احاط علما بما لم يحط به ليتحاقر اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا له في ترك الاعجاب الذي
هو فتنة العلما واعظم بها فتنة والاحاطة بالشي علما ان يعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم قالوا وفيه دليل على بطلان قول الرافضة
ان الامام لا يخفى عليه شي ولا يكون في زمانه احد اعلم منه سبا قري بالصرف ومنعه وقد روي سكون البا وعن ابن كثير في رواية سبا بالالف
كقولهم ذهبوا ايدي سبا وهو سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان فمن جعله اسما للقبيلة لم يصرف ومن جعله اسما للحي او للاب الاكبر صرف قال من سبا
الحاضرين مارب اذ يبنون من دون سيله العرما وقال الواردون وتيم في ذرى سبا قد عض اعناقهم جلد الجواميس ثم سميت مدينة مارب
بسبا وبينها وبين صنعا مسيرة ثلث كما سميت معافر بمعافر بن اد ويحتمل ان يراد المدينة والقوم والنبا الخبر الذي له شان وقوله من سبا بنبا من
جنس الكلام الذي سماه المحدثون البديع وهو من محاسن الكلام التي يتعلق باللفظ بشرط ان يجي مطبوعا او بصنعة عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة
المعنى وسداده ولقد جا هاهنا زايدا على الصحة فحسن وبدع لفظا ومعنى الا ترى انه لو وضع مكان بنبا بخبر لكان المعنى صحيحا وهو كما جا اصح لما
في النبا من الزيادة التي يطابقها وصف الحال المراة بلقيس بنت شراحيل وكان ابوها ملك ارض اليمن كلها وقد ولده اربعون ملكا ولم يكن له ولد غيرها
فغلبت على الملك وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس والضمير في تملكهم راجع الى سبا فان اريد به القوم فالامر ظاهر وان اريدت المدينة فمعناه
تملك اهلها وقيل في وصف عرشها كان ثمانين ذراعا في ثمانين وسمكه ثمانين وقيل ثلثين مكان ثمانين وكان من ذهب وفضة مكللا بانواع الجواهر وكانت
قوايمه من ياقوت احمر واخضر ودر وزمرد وعليه سبعة ابيات على كل بيت باب مغلق فان قلت كيف استعظم عرشها مع ما كان يري من ملك سليمان
قلت يجوز ان يستصغر حالها الى حال سليمان عليه السلام فاستعظم لها ذلك العرش ويجوز ان لا يكون لسليمان مثله وان عظمت مملكته في كل شي كما
يكون لبعض امرا الاطراف شي لا يكون مثله للملك الذي يملك عليهم امرهم ويستخدمهم ومن نوكى القصاص من يقف على قوله ولها عرش ثم يبتدي عظيم وجد
يريد امر عظيم ان وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله فر من استعظام الهدهد عرشها فوقع في عظيمة وهي مسخ كتاب الله فان قلت فكيف قال
واوتيت من كل شي مع قول سليمان واوتينا من كل شي كانه سوي بينهما قلت بينهما فرق بين لان سليمان عطف قوله على ما هو معجزة من الله وهو
تعليم منطق الطير فرجع اولا الى ما اوتي من النبوة والحكمة واسباب الدين ثم الى الملك واسباب الدنيا وعطفه الهدهد على الملك فلم يرد الا
ما اوتيت من اسباب الدنيا اللايقة بحالها فبين الكلامين بون بعيد فان قلت كيف خفي على سليمان مكانها وكانت المسافة بين محطه وبين بلدها قريبة
وهي مسيرة ثلث بين صنعا ومارب قلت لعل الله عز وجل اخفى عنه ذلك لمصلحة راها كما اخفى مكان يوسف على يعقوب فان قلت من اين اهتدى الى معرفة
الله ووجوب السجود له وانكار سجودهم للشمس واضافته الى الشيطان وتزيينه قلت لا يبعد ان يلهمه الله ذلك كما الهمه وغيره من الطيور وساير الحيوان
المعارف اللطيفة التي لا تكاد العقلا الرجاح العقول يهتدون لها ومن اراد استقرا ذلك فعليه بكتاب الحيوان خصوصا في زمن نبي سخرت له الطيور

وعلم منطقها وجعل ذلك معجزة له من قرا بالتشديد اراد فصدهم عن السبيل لان لا يسجدوا فحذف الجار مع ان ويجوز ان يكون لا مزيدة و
يكون المعنى فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا ومن قرا بالتخفيف فهو الا يا اسجدوا الا للتنبيه ويا حرف النداء ومناداه محذوف كما حذفه من قال الا يا اسلمي
يا دارمي على البلى وفي حرف عبد الله وهي قوله الاعمش هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وعن عبد الله هلا تسجدون بمعنى الا تسجدون على الخطاب وفي قراءة
ابي الا تسجدون لله الذي يخرج الخبا من السماء والارض ويعلم سركم وما تعلنون وسمي المخبو بالمصدر وهو النبات والمطر وغيرهما مما خباه عز
وعلا من غيوبه وقرئ الخب على تخفيف الهمزة بالحذف والخبا على تخفيفها بالقلب وهي قراءة ابن مسعود ومالك بن دينار ووجهها ان تخرج على لغة من
يقول في الوقف هذا الخبو ورايت الخبا ومررت بالخبي ثم اجرى الوصل مجرى الوقف لا على لغة من يقول الكماة والحماة لانها ضعيفة مسترذلة
وقرئ يخفون ويعلنون بالياء والتاء وقيل من احطت الى العظيم هو كلام الهدهد وقيل كلام رب العزة وفي اخراج الخبا امارة على انه من كلام
الهدهد لهندسته ومعرفته الماء تحت الارض وذلك بالهام من يخرج الخب في السموات والارض جلت قدرته ولطف علمه ولا يكاد يخفى على ذي الفراسة
النظار بنور الله مخايل كل مختص بصناعة او فن من العلم في روايه ومنطقه وشمايله ولهذا ورد ما عمل عبد عملا الا القى الله عليه رداء عمله فان قلت
اسجدة التلاوة واجبة في القراءتين جميعا او في احديهما قلت هي واجبة فيهما جميعا لان مواضع السجدة اما امر بها او مدح لمن اتى بها او ذم لمن تركها
واحدى القراءتين امر بالسجود والاخرى ذم للتارك فقد اتفق ابو حنيفة والشافعي رحمهما الله على ان سجدات القران اربع عشرة وانما اختلفا في سجدة
ص فهي عند ابي حنيفة سجدة تلاوة وعند الشافعي سجدة شكر وفي سجدتي سورة الحج وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد
فغير مرجوع اليه فان قلت هل يفرق الواقف بين القراءتين قلت نعم اذا خفف وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتدا الا يا اسجدوا وان شاء وقف على
الا يا ثم ابتدا اسجدوا واذا شدد لم يقف الا على العرش العظيم فان قلت كيف سوى الهدهد بين عرش بلقيس وعرش الله في الوصف بالعظم قلت بين
الوصفين بون عظيم لان وصف عرشها بالعظيم تعظيم له بالاضافة الى عروش ابناء جنسها من الملوك ووصف عرش الله بالعظيم تعظيم له بالنسبة الى ساير
ما خلق من السموات والارض وقرئ العظيم بالرفع سننظر من النظر الذي هو التامل والتصفح واراد اصدقت ام كذبت الا ان كنت من الكاذبين ابلغ
لانه اذا كان معروفا بالانخراط في سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة واذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيما اخبر به فلم يوثق به تول عنهم تنح عنهم الى
مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه بمسمع منك ويرجعون من قوله تعالى يرجع بعضهم الى بعض القول فيقال دخل عليها من كوة فالقى الكتاب
اليها وتوارى في الكوة فان قلت لم قال فالقه اليهم على لفظ الجمع قلت لانه قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس فقال فالقه الى الذين هذا دينهم
اهتماما منه بامر الدين واشتغالا به من غيره وبنى الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع لذلك كريم حسن مضمونه وما فيه او وصفه بالكرم لانه من عند ملك
كريم او مختوم قال عليه السلام كرم الكتاب ختمه وكان صلى الله عليه وسلم يكتب الى العجم فقيل انهم لا يقبلون الا كتابا عليه خاتم فاصطنع خاتما وعن
ابن المقفع من كتب الى اخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به وقيل مصدر ببسم الله الرحمن الرحيم هو استيناف وتبيين لما القي اليها كانها لما قالت
اني القي الي كتاب كريم قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه من سليمان وانه كيت وكيت وقرا عبد الله وانه من سليمان وانه عطفا على اني وقرئ انه
من سليمان وانه بالفتح على انه بدل من كتاب كانه قيل القي الي انه من سليمان ويجوز ان يريد لانه من سليمان كانها عللت كرمه بكونه من سليمان
وتصديره باسم الله وقرا ابي ان من سليمان وان بسم الله على ان المفسرة وان في ان لا تعلوا مفسرة ايضا لا تعلوا لا تتكبروا كما يفعل الملوك وقرا
ابن عباس بالغين معجمة من الغلو وهو مجاوزة الحد يروى ان نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبا السلام على من اتبع الهدى
اما بعد فلا تعلوا علي واتوني مسلمين وكانت كتب الانبياء جملا لا يطيلون ولا يكثرون وطبع الكتاب بالمسك وختمه بخاتمه فوجدها الهدهد راقدة
في قصرها بمارب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت راسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهي مستلقية وقيل نقرها
فانتبهت فزعة وقيل اتاها والقادة والجنود حواليها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت راسها فالقى الكتاب في حجرها وكانت قارية

كاتبة عربية من نسل تبّع بن شراحيل الحميري فلما رات الخاتم ارتعدت وخضعت وقالت لقومها ما قالت مسلمين منقادين او مومنين الفتوى الجواب
في الحادثة اشتقت على طريق الاستعارة من الفتا في السن والمراد بالفتوى هاهنا الاشارة عليها بما عندهم فيما حدث لها من الراي والتدبير وقصدت
بالانقطاع اليهم والرجوع الى استشارتهم واستطلاع ارائهم استعطافهم وتطييب نفوسهم ليمالئوها ويقوموا معها قاطعة امرا فاصلة وفي قراة
ابن مسعود قاضية اي لا ابتّ امرا الا بمحضركم وقيل كان اهل مشورتها ثلث ماية وثلثة عشر رجلا كل واحد على عشرة الاف ارادوا بالقوة قوة الاجساد
وقوة الالات والعدد وبالباس النجدة والبلاء في الحرب والامر اليك اي ونحن مطيعون لك فمرينا بامرك نطعك ولا نخالفك كانهم اشاروا
اليها بالقتال او ارادوا نحن من ابناء الحرب لا من ابناء الراي والمشورة وانت ذات الراي والتدبير فانظري ماذا تامرين نتبع رايك لما احست
منهم الميل الى المحاربة رات من الراي الميل الى الصلح والابتداء بما هو احسن ورتبت الجواب فزيفت اولا ما ذكروه وارتهم الخطاء فيه بان الملوك
اذا دخلوا قرية عنوة وقهرا افسدوها اي خربوها ومن ثم قالوا للفساد الخربة واذلوا اعزتها واهانوا اشرافها وقتلوا واسروا فذكرت لهم عاقبة
الحرب وسوء مغبتها ثم قالت وكذلك يفعلون ارادت وهذه عادتهم المستمرة الثابتة التي لا تتغير لانها كانت من بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك و
رات ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية وما رات من الراي السديد وقيل هو تصديق من الله لقولها وقد يتعلق الساعون في الارض بالفساد
بهذه الاية ويجعلونها حجة لانفسهم ومن استباح حراما فقد كفر واذا احتج بالقران على وجه التحريف فقد جمع بين كفرين مرسلة اليهم بهدية اي مرسلة
رسلا بهدية اصانعه بها عن ملكي فناظرة ما يكون منه حتى اعمل على حسب ذلك فروي انها بعثت خمسماية غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن الاساور
والاطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسماية جارية على رماك في زي الغلمان والف
لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلين من اشراف
قومها المنذر بن عمرو واخر ذا راي وعقل وقالت ان كان نبيا ميّز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا ثم قالت
للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنّك وان رايته بسطا لطيفا فهو نبي فاقبل الهدهد فاخبر سليمان فامر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة
وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة وامر باحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن
يمين الميدان ويساره على اللبن وامر باولاد الجن وهم خلق كثير فاقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا
فراسخ والانس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا وراوا الدواب تروث على اللبن فتقاصرت اليهم
نفوسهم ورموا بما معهم ولما وقفوا بين يديه ونظر اليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم قال اين الحق واخبره جبريل بما فيه فقال لهم ان فيه كذا وكذا
ثم امر الارضة فاخذت شعرة ونفذت فيها فجعل رزقها في الشجرة واخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت فيها فجعل رزقها في الفواكه ودعا بالماء
فكانت الجارية تاخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما ياخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع اليهم فقال لها
هو نبي وما لنا به طاقة فشخصت اليه في اثني عشر الف قيل تحت كل قيل الوف وفي قراة ابن مسعود فلما جاؤا اتمدونني وقرئ بحذف الياء والاكتفاء بالكسرة
وبالادغام كقوله اتحاجوني وبنون واحدة اتمدوني الهدية اسم المهدي كما ان العطية اسم المعطى فتضاف الى المهدي والمهدى له تقول هذه هدية فلان
تريد هي التي اهداها او اهديت اليه والمضاف اليه هاهنا هو المهدى اليه والمعنى ان ما عندي خير مما عندكم وذلك ان الله اتاني الدين الذي فيه الحظ
الاوفر والغنى الاوسع واتاني من الدنيا ما لا يستزاد عليه فكيف يرضى مثلي بان يمد بمال ويصانع به بل انتم قوم لا تعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا
فلذلك تفرحون بما تزادون ويهدى اليكم لان ذلك مبلغ همتكم وحالي خلاف حالكم وما ارضى منكم بشيء ولا افرح به الا بالايمان وترك المجوسية
فان قلت ما الفرق بين قولك اتمدني بمال وانا اغنى منك وبين ان تقوله بالفاء قلت اذا قلته بالواو فقد جعلت مخاطبي عالما بزيادتي عليه في الغنى
واليسار وهو مع ذلك يمدني في المال واذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالي فانا اخبره الساعة بما لا احتاج معه الى امداده كاني اقول

له انكر عليكم ما فعلت فاني غني عنه وعليه ورد قوله فما اتاني الله خير فان قلت فما وجه الاضراب قلت لما انكر عليهم الامداد وعلل انكاره اضرب عن ذلك
الى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو انهم لا يعرفون سبب رضا ولا فرح الا ان يهدى اليهم حظ من الدنيا التي لا يعلمون غيرها ويجوز ان تجعل الهدية
مضافة الى المهدي ويكون المعنى بل انتم بهديتكم هذه التي اهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك بانكم قدرتم على اهداء مثلها ويحتمل ان
يكون عبارة عن الرد كانه قال بل انتم من حقكم ان تاخذوا هديتكم وتفرحوا بها ارجع خطاب للرسول وقيل للهدهد محملا كتابا اخر لا قبل
لا طاقة وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة اي لا يقدرون ان يقابلوهم وقرا ابن مسعود لا قبل لهم بهم والضمير في منها لسبا والذل ان يذهب
عنهم ما كانوا فيه من العز والملك والصغار ان يقعوا في اسر واستعباد ولا يقتصر بهم على ان يرجعوا سوقة بعد ان كانوا ملوكا يروى انها امرت
عند خروجها الى سليمان عليه السلم فجعل عرشها في سبعة ابيات بعضها في بعض في اخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه
ولعله اوحي الى سليمان عليه السلام باستيثاقها من عرشها فاراد ان يغرب عليها ويريها بذلك بعض ما خصه الله به من اجراء العجائب على يده مع
اطلاعها على عظيم قدرة الله وعلى ما يشهد لنبوة سليمان ويصدقها وعن قتادة اراد ان ياخذه قبل ان تسلم لعلمه انها اذا اسلمت لم يحل له اخذ
مالها وقيل اراد ان يوتي به فينكر ويغير ثم ينظر اتثبته ام تنكره اختبارا لعقلها وقرئ عفرية والعفر والعفرية والعفرية والعفرات و
العفارية من الرجال الخبيث المنكر الذي يعفر اقرانه ومن الشياطين الخبيث المارد وقالوا كان اسمه ذكوان لقوي على حمله امين اتى به كما هو لا اختزل
منه شيا ولا ابدله الذي عنده علم من الكتاب رجل كان عنده اسم الله الاعظم وهو يا حي يا قيوم وقيل يا الهنا واله كل شيء الها واحدا لا اله
الا انت وقيل يا ذا الجلال والاكرام وعن الحسن الله والرحمن وقيل هو اصف بن برخيا كاتب سليمان وكان صديقا عالما وقيل اسمه اسطوم وقيل
هو جبريل وقيل ملك ايد الله به سليمان وقيل هو سليمان نفسه كانه استبطا العفريت فقال له انا اريك ما هو اسرع مما تقول وعن ابن لهيعة بلغني انه الخضر
عليه السلم علم من الكتاب من الكتاب المنزل وهو علم الوحي والشرايع وقيل هو اللوح والذي عنده علم منه جبريل وانيتك في الموضعين يجوز ان يكون فعلا
واسم فاعل الطرف تحريكك اجفانك اذا نظرت فوضع موضع النظر ولما كان الناظر موصوفا بارسال الطرف في نحو قوله وكنت اذا ارسلت طرفك رايدا
لقلبك يوما اتعبتك المناظر وصف برد الطرف ووصف الطرف بالارتداد ومعنى قوله قبل ان يرتد اليك طرفك انك ترسل طرفك الى شيء فقبل ان ترده
ابصرت العرش بين يديك ويروى ان اصف قال لسليمان عليه السلام مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمين ودعا اصف فغار العرش في مكانه
بمارب ثم نبع عند مجلس سليمان بالشام بقدرة الله قبل ان يرد طرفه ويجوز ان يكون هذا مثلا لاستقصار مدة المجي كما تقول لصاحبك افعل ذلك في
لحظة وفي ردة طرف والتفت ترني وما اشبه ذلك تريد السرعة يشكر لنفسه لانه يحط به عنها عب الواجب ويصونها عن سمة الكفران ويرتبط به النعمة
ويستمد المزيد وقيل الشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة وفي كلام بعض المتقدمين ان كفران النعمة بوار وقلما اقشعت نافرة
فرجعت في نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار واعلم ان سبوغ ستر الله متقلص عما قريب اذا انت لم ترج لله وقارا
غني عن الشكر كريم بالانعام على من يكفر نعمته والذي قاله سليمان عليه السلم عند روية العرش شاكرا لربه جري على شاكلة ابنا جنسه من انبيا الله
والمخلصين من عباده يتلقون النعمة القادمة بحسن الشكر كما يشيعون النعمة المودعة بجميل الصبر نكروا اجعلوه متنكرا متغيرا عن هيئته وشكله كما يتنكر
الرجل للناس لئلا يعرفوه قالوا وسعوه وجعلوا مقدمه موخره واعلاه اسفله قرئ ننظر بالجزم على الجواب وبالرفع على الاستيناف اتهتدي لمعرفته
او للجواب الصواب اذا سيلت عنه او للدين والايمان بنبوة سليمان اذا رات تلك المعجزة البينة من تقدم عرشها وقد خلفته واغلقت عليه الابواب
ونصبت عليه الحراس اهكذا ثلث كلمات حرف التنبيه وكاف التشبيه واسم الاشارة لم يقل اهذا عرشك ولكن امثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا فقالت
كانه هو ولم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل واوتينا العلم من كلام سليمان وملايه فان قلت علام عطف هذا
الكلام وبما اتصل قلت لما كان المقام الذي سيلت فيه عن عرشها واجابت بما اجابت به مقاما اجرى فيه سليمان وملاوه ما يناسب قولهم واوتينا العلم نحو

ان يقولوا عند قولها كانه هو فقد اصابت في جوابها وطبقت المفصل وهي عاقلة لبيبة وقد رزقت الاسلام وعلمت قدرة الله وصحة النبوة بالايات
التي تقدمت عند وفدة المنذر وبهذه الاية العجيبة من امر عرشها عطفوا على ذلك قولهم واوتينا نحن العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل
علمها ولم نزل على دين الاسلام شكرا على فضلهم عليها وسبقهم الى العلم والاسلام قبلها وصدها عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشوها بين
ظهراني الكفرة ويجوز ان يكون من كلام بلقيس موصولا بقولها كانه هو والمعنى واوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمان قبل هذه المعجزة
او قبل هذه الحالة يعني ما تبينت من الايات عند وفدة المنذر ودخلنا في الاسلام ثم قال الله تعالى وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن سواء
السبيل وقيل وصدها الله او سليمان عما كانت تعبد بتقدير حرف الجار وايصال الفعل وقرى انها بالفتح على انه بدل من فاعل صد او بمعنى لانها الصرح
القصر وقيل صحن الدار وقرا ابن كثير ساقيها بالهمز ووجهه انه سمع سؤقا فاجري عليه الواحد والممرد المملس وروي ان سليمان امر قبل قدومها فبني
له على طريقها قصر من زجاج ابيض واجري من تحته الماء والقي فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن
والانس وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما للامر وتحققا للنبوة وثباتا على الدين وزعموا ان الجن كرهوا ان يتزوجها فتفضي اليه باسرارهم لانها
كانت بنت جنية وقيل خافوا ان يولد له منها ولد تجتمع له فطنة الجن والانس فيخرجون من ملك سليمان الى ملك هو اشد واقطع فقالوا له ان في عقلها
شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها فكشفت عنهما فاذا هي احسن الناس ساقا وقدما
الا انها شعراء ثم صرف بصره وقال لها انه صرح ممرد من قوارير وقيل هي السبب في اتخاذ النورة امر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها سليمان واحبها
واقرها على ملكها وامر الجن فبنوا لها سيلحين وغمدان وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلثة ايام وولدت له وقيل بل زوجها ذا تبع ملك
همدان وسلطه على اليمن وامر زوبعة امير اليمن ان يطيعه فبنى المصانع ولم يزل اميرا حتى مات سليمان ظلمت نفسي تريد بكفرها فيما تقدم وقيل
حسبت ان سليمان يغرقها في اللجة فقالت ظلمت نفسي بسوء ظني بسليمان عليه السلام وقرى ان اعبدوا بالضم على اتباع النون الباء فريقان فريق مومن
وفريق كافر وقيل اريد بالفريقين صالح وقومه قبل ان يومن منهم احد يختصمون يقول كل فريق الحق معي السيئة العقوبة والحسنة التوبة فان قلت
ما معنى استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة وانما يكون ذلك اذا كانتا متوقعتين احديهما قبل الاخرى قلت كانوا يقولون لجهلهم ان العقوبة التي يعدها
صالح ان وقعت على زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا مقدرين ان التوبة مقبولة في ذلك الوقت وان لم يقع فنحن على ما نحن عليه فخاطبهم صالح على حسب
قولهم واعتقادهم ثم قال لهم هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب لعلكم ترحمون تنبيها لهم على الخطاء فيما قالوه وتجهيلا فيما اعتقدوه كان
الرجل يخرج مسافرا فيمر بطاير فيزجره فان مر سانحا تيمن وان مر بارحا تشام فلما نسبوا الخير والشر الى الطاير استعير لما كان سببهما من قدر الله و
قسمته او من عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة والنقمة ومنه قالوا طاير الله لا طايرك اي قدر الله الغالب الذي ينسب اليه الخير والشر لا طايرك الذي
تتشام به وتتيمن فلما قالوا اطيرنا بك اي تشامنا وكانوا قد قحطوا قال طايركم عند الله اي سببكم الذي يجي منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره
وقسمته ان شاء رزقكم وان شاء حرمكم ويجوز ان يريد عملكم مكتوب عند الله فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة ومنه قوله طايركم معكم وكل انسان
الزمناه طايره في عنقه وقرى تطيرنا بكم على الاصل ومعنى تطير به تشام وتطير منه تغر منه تفتنون تختبرون او تعذبون او يفتنكم الشيطان بوسوسته
اليكم الطيرة المدينة الحجر وانما جاز تمييز التسعة بالرهط لانه في معنى الجماعة فكانه قيل تسعة انفس والفرق بين الرهط والنفر ان الرهط من الثلثة
الى العشرة او من السبعة الى العشرة والنفر من الثلثة الى التسعة واسماوهم عن وهب الهذيل بن عبد رب غنم بن غنم رياب بن مهرج مصدع بن مهرج
عمير بن كردبة عاصم بن مخرمة سبيط بن صدقة سمعان بن صفي قدار بن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من
ابناء اشرافهم ولا يصلحون يعني ان شانهم الافساد البحت الذي لا يخالطه شي من الصلاح كما ترى بعض المفسدين قد يندر منهم منه بعض الصلاح
تقاسموا يحتمل ان يكون امرا وخبرا في محل الحال باضمار قد اي قالوا متقاسمين وقرى تقسموا وقرى لتبيتنه بالتاء والياء والنون فتقاسموا

مع النون والتاء يصح فيه الوجهان ومع الياء لا يصح الا ان يكون خبرا والتقاسم والتقسم كالتظاهر والتظهر التحالف والبيات مباغتة
العدو ليلا وعن الاسكندر انه اشير عليه بالبيات فقال ليس من ايين الملوك استراق الظفر وقرئ مهلك بفتح الميم واللام وكسرها من هلك ومهلك
بضم الميم من اهلك ويحتمل المصدر والمكان والزمان فان قلت كيف يكون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فاتوا بالخبر على خلاف المخبر عنه قلت كانهم
اعتقدوا انهم اذا بيتوا صالحا وبيتوا اهله فجمعوا بين البياتين جميعا الا احدهما وفي هذا دليل قاطع على ان الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون
الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم الا ترى انهم قصدوا قتل نبي الله ولم يرضوا لانفسهم بان يكونوا كاذبين حتى سوّوا للصدق في خبرهم حيلة يتفصون
بها عن الكذب مكرهم ما اخفوه من تدبير الفتك بصالح واهله ومكر الله اهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكرين على سبيل الاستعارة روي انه
كان لصالح مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلث فنحن نفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا
جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم اين هم ولم
يدروا ما فعل بهم وعذب الله كلا منهم في مكانه ونجى صالحا ومن معه وقيل جاؤوا بالليل شاهري سيوفهم وقد ارسل الله الملئكة ملء دار صالح
فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا انا دمرناهم استيناف ومن قرا بالفتح رفعه بدلا من العاقبة او خبر مبتدا محذوف تقديره هي
تدميرهم او نصبه على معنى لانا او على انه خبر كان اي كان عاقبة مكرهم الدمار خاوية حال عمل فيها ما دل عليه تلك وقرا عيسى بن عمر خاوية بالرفع على
خبر المبتدا المحذوف واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه واذ بدل على الاول وظرف على الثاني وانتم تبصرون من بصر القلب اي
تعلمون انها فاحشة لم تسبقوا اليها وان الله انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الانثى للانثى فهي مضادة لله في حكمته وحكمه وعلمكم
بذلك اعظم لذنوبكم وادخل في القبح والسماجة وفيه دليل على ان القبيح من الله اقبح منه من عباده لانه اعلم العالمين واحكم الحاكمين او تبصرونها
بعضكم من بعض خلاعة ومجانة وانهماكا في المعصية وكان ابو نواس بني على مذهبهم قوله وبح باسم ما تاتي وذرني من الكنى فلا خير في اللذات من
دونها ستر او تبصرون اثار العصاة قبلكم وما نزل بهم فان قلت فسرت تبصرون بالعلم وبعده بل انتم قوم تجهلون فكيف يكونون علماء جهلاء
قلت اراد تفعلون فعل الجاهلين بانها فاحشة مع علمكم بذلك وتجهلون العاقبة او اراد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها فان قلت
تجهلون صفة لقوم والموصوف لفظه لفظ الغايب فهلا طابقت الصفة الموصوف فقرئ بالياء دون التاء وكذلك بل انتم قوم تفتنون قلت اجتمعت
الغيبة والمخاطبة فغلبت المخاطبة لانها اقوى وارسخ اصلا من الغيبة وقرا الاعمش جواب قومه بالرفع والمشهورة احسن يتطهرون يتنزهون
عن القاذورات كلها فينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا انكارهم وعن ابن عباس هو استهزاء قدرناها قدرنا كونها من الغابرين كقوله قدرنا
انها لمن الغابرين فالتقدير واقع على الغبور في المعنى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتلو هذه الايات الناطقة بالبراهين على وحدانيته و
قدرته على كل شيء وحكمته وان يستفتح بتحميده والسلام على انبيائه والمصطفين من عباده وفيه تعليم حسن وتوقيف على ادب جميل وبعث على التيمن
بالذكرين والتبرك بهما والاستظهار بمكانهما على قبول ما يلقى الى السامعين واصغائهم اليه وانزاله من قلوبهم المنزلة التي يبغيها المسمع ولقد توارث
العلماء والخطباء والوعاظ كابرا عن كابر هذا الادب فحمدوا الله وصلوا على رسول الله امام كل علم مفاد وقبل كل عظة وتذكرة وفي مفتتح
كل خطبة وتبعهم المترسلون فاجروا عليه اوايل كتبهم في الفتوح والتهاني وغير ذلك من الحوادث التي لها شان وقيل هو متصل بما قبله وامر بالتحميد
على الهالكين من كفار الامم والصلوة على الانبياء واشياعهم الناجين وقيل هو خطاب للوط عليه السلام وان يحمد الله على هلاك كفار قومه
ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم معلوم ان لا خير فيما اشركوه اصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل
شيء ومالكه وانما هو الزام لهم وتبكيت وتهكم وذلك انهم اثروا عبادة الاصنام على عبادة الله ولا يوثر عاقل شيئا على شيء الا لداع يدعوه
الى ايثاره من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم بانه لا خير فيما اثروه وانهم لم يوثروه لزيادة الخير ولكن هوى وعبثا لينبهوا على الخطا المفرط

ثم قالوا ما شهدنا مهلك اهله
وانا لصادقين وا احدهما كانوا صادقين
لانهم فعلوا البياتين ص

لانهم كانوا في ناديهم يرتكبونها
معالنين بها لا يستتر بعضهم
من بعض ص

والجهل الموّرط واضل الهم التميز ونبذهم المعقول وليعلموا ان الايثار يجب ان يكون للخير الزايد ونحوه ماحكاه عن فرعون ام انا خير من هذا
الذي هو مهين مع علمه انه ليس لموسي مثل انهاره التي كانت تجري تحته ثم عدّد سبحانه الخيرات والمنافع التي هي اثار رحمته وفضله كما عددها في
موضع اخر ثم قال هل من شركايكم من يفعل من ذلكم من شي وقري تشركون بالتا والياء وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قراها قال
بل الله خير وابقي واجل واكرم فان قلت ما الفرق بين أم وأمْ في اما يشركون وامن خلق قلت تلك متصلة لان المعني ايهما خير وهذه منقطعة بمعنى
بل والهمزة لما قال الله خير ام الالهة قال بل امن خلق السموات والارض خير تقريرا لهم بان من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر علي شي وقرا
الاعمش امن بالتخفيف ووجهه ان يجعل بدلا من الله كانه قال امن خلق خلق السموات والارض خير ام ماتشركون فان قلت اي نكتة في نقل
الاخبار عن الغيبة الى التكلم عن ذاته في قوله فانبتنا قلت تاكيد معنى اختصاص الفعل بذاته والايذان بان انبات الحدايق المختلفة الاصناف
والالوان والطعوم والروايح والاشكال مع حسنها وبهجتها بماء واحد لا يقدر عليه الا هو وحده الا تري كيف رشح معنى الاختصاص بقوله
ماكان لكم ان تنبتوا شجرها ومعنى الكينونة الانبغاء اراد ان تاتي ذلك محال عن غيره وكذلك قوله بل هم بعد الخطاب ابلغ في تخطية رايهم والحديقة
البستان عليه حايط من الاحداق وهو الاحاطة وقيل ذات لان المعني جماعة حدايق ذات بهجة كما يقال النساء ذهبت والبهجة الحسن لان الناظر
يتبهج به االه مع الله اغيره يقرن به ويجعل شريكا له وقري االها مع الله بمعني اتدعون او تشركون ولك ان تحقق الهمزتين وتوسط بينهما مدة وتخرج
الثانية بين بين يعدلون به غيره او يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد امن جعل وما بعده بدل من امن خلق فكان حكمها حكمه قرارا دحاها وسواها
للاستقرار عليها حاجزا كقوله برزخا الضرورة الحالة المحوجة الى اللجا والاضطرار افتعال منها يقال اضطره الى كذا والفاعل والمفعول مضطر
والمضطر الذي احوجه مرض او فقر او نازلة من نوازل الدهر الى اللجا والتضرع الى الله وعن ابن عباس هو المجهود وعن السدي الذي لا حول له ولا قوة
وقيل المذنب اذا استغفر فان قلت قد عمّ المضطرين بقوله يجيب المضطر اذا دعاه وكم من مضطر يدعو فلا يجاب قلت الاجابة موقوفة على ان يكون المدعو
به مصلحة ولهذا لا يحسن دعاء العبد الا شارطا فيه المصلحة واما المضطر فمتناول للجنس مطلقا يصلح لكله ولبعضه فلا طريق الى الجزم على احدهما الا
بدليل وقد قام الدليل على البعض وهو الذي اجابته مصلحة فبطل التناول على العموم خلفاء الارض خلفاء فيها وذلك توارثهم سكناها والتصرف
فيها قرنا بعد قرن او اراد بالخلافة الملك والتسلط وقري يذكرون بالياء مع الادغام وبالتاء مع الادغام والحذف وما مزيدة اي تذكرون
تذكرا قليلا والمعنى نفي التذكر والقلة تستعمل في معنى النفي يهديكم بالنجوم في السماء والعلامات في الارض اذا جن الليل عليكم مسافرين في البر
والبحر فان قلت كيف قيل لهم امن يبدؤ الخلق ثم يعيده وهم منكرون للكل للاعادة قلت قد ازيحت علتهم بالتمكين من المعرفة والاقرار فلم يبق
لهم عذر في الانكار من السماء الماء ومن الارض النبات ان كنتم صادقين ان مع الله الها فاين دليلكم عليه فان قلت لم رفع اسم الله والله يتعالي ان
يكون ممن في السموات والارض قلت جاء على لغة بني تميم حيث يقولون ما في الدار احد الا حمار كان احدا يذكر ومنه قوله عشية ماتغني الرماح مكانها
ولا النبل الا المشرفي المصمم وقولهم ما اتاني زيد الا عمرو وما اعانه اخوانكم الا اخوانه فان قلت ما الداعي الى اختيار المذهب التميمي على الحجازي
قلت دعت اليه نكتة سرية حيث اخرج المستثنى مخرج قوله الا اليعافير بعد قوله ليس بها انيس ليؤول المعنى الى قولك ان كان الله ممن في السموات والارض
فهم يعلمون الغيب يعني ان علمهم في استحالته كاستحالة ان يكون الله منهم كما ان معنى ما في البيت ان كانت اليعافير انيسا ففيها انيس بتا بالقول لخلوها
عن الانيس فان قلت هلا زعمت ان الله ممن في السموات والارض كما يقول المتكلمون ان الله في كل مكان على معنى ان علمه في الاماكن كلها فكان ذاته فيها حتى
لا تحمله على مذهب بني تميم قلت يابي ذلك ان كونه في السموات والارض مجاز وكونهم فيهن حقيقة وارادة المتكلم بعبارة واحدة حقيقة ومجازا
غير صحيح على ان قولك من في السموات والارض وجمعك بينه وبينهم في اطلاق اسم واحد فيه ايهام تسوية والايهامات مزالة عنه وعن صفاته
الا تري كيف قال عليه السلام لمن قال ومن يعصهما فقد غوي بيس خطيب القوم انت وعن عايشة رضي الله عنها من زعم انه يعلم ما في غد فقد

الحسن و العرف

اعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وعن بعضهم اخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه احدا لئلا
يامن احد من عبيده مكره وقيل نزلت في المشركين حين سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة ايان بمعنى متى ولو سمي به لكان فعالا
من ان يئين ولا ينصرف وقرئ ايان بكسر الهمزة وقرئ بل ادرك بل ادارك بل تدارك بل اادرك بهمزتين بل آادرك بالف بينهما بل ادرك بالتخفيف
والنقل بل ادّرك بفتح اللام وتشديد الدال واصله بل ادرك على الاستفهام ام ادرك ام تدارك بلى ادرك بلى اادرك فهذه ثنتا عشرة قراءة
وادّارك اصله تدارك فادغمت التاء في الدال وادرك افتعل ومعنى ادرك علمهم انتهى وتكامل وادارك تتابع واستحكم وهو على وجهين احدهما
ان اسباب استحكام العلم وتكامله بان القيامة كاينة لا ريب فيها قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وذلك قوله بل هم في شك
منها بل هم منها عمون يريد المشركين ممن في السموات والارض لانهم لما كانوا في جملتهم نسب فعلهم الى الجميع كما يقال بنو فلان فعلوا كذا وانما فعله
ناس منهم فان قلت الاية سيقت لاختصاص الله بعلم الغيب وان العباد لا علم لهم بشيء منه وان وقت بعثهم ونشورهم من جملة الغيب وهم لا
يشعرون فكيف لاءم هذا المعنى وصف المشركين بانكارهم البعث مع استحكام اسباب العلم والتمكن من المعرفة قلت لما ذكر ان العباد لا يعلمون
الغيب ولا يشعرون بالبعث الكاين ووقته الذي يكون فيه وكان هذا بيانا لعجزهم ووصفا لقصور علمهم وصل به ان عندهم عجزا ابلغ منه وهو انهم
يقولون للكاين الذي لا بد ان يكون وهو وقت جزاء اعمالهم لا يكون مع ان عندهم اسباب معرفة كونه واستحكام العلم به والوجه الثاني ان وصفهم
باستحكام العلم وتكامله تهكم بهم كما يقول لاجهل الناس ما اعلمك على سبيل الهزؤ وذلك حيث شكوا وعموا عن اثباته الذي الطريق الى علمه مسلوك
فضلا ان يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق الى معرفته وفي ادرك علمهم وادارك وجه اخر وهو ان يكون ادرك بمعنى انتهى وفني من قولك ادركت الثمرة
لان تلك غايتها التي عندها تعدم وقد فسره الحسن باضمحل علمهم وتدارك من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك فان قلت فما وجه قراءة من قرا
بل اادرك على الاستفهام قلت هو استفهام على وجه الانكار لادراك علمهم وكذلك من قرا ام ادرك وام تدارك لانها ام التي بمعنى بل والهمزة فان
قلت فمن قرا بلى ادرك وبلى اادرك قلت لما جاء بلى بعد قوله وما يشعرون كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور بقوله ادرك علمهم في الاخرة على سبيل
التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم فكانه قال شعورهم بوقت الاخرة انهم لا يعلمون كونها فيرجع الى نفي الشعور على ابلغ ما يكون واما من قرا
بلى اادرك على الاستفهام فمعناه بل يشعرون متى يبعثون ثم انكر علمهم بكونها واذا انكر علمهم بكونها لم يتحصل لهم شعور بوقت كونها لان العلم لوقت
الكاين تابع في الاخرة ومعناها فان قلت هذه الاضرابات الثلاث ما معناها قلت ما هي الا تنزيل لاحوالهم وصفهم اولا بانهم لا يشعرون وقت
البعث ثم بانهم لا يعلمون ان القيامة كاينة ثم بانهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه والازالة مستطاعة الا ترى ان من لم يسمع اختلاف المذاهب
وتضليل اربابها بعضهم لبعض كان امره اهون ممن سمع بها وهو جاث لا يتشخص به طلب التمييز بين الحق والباطل ثم بما هو اسوء حالا وهو العمى وان يكون
مثل البهيمة قد عكف همه على بطنه وفرجه لا يخطر بباله حقا ولا باطلا ولا يفكر في عاقبة وقد جعل الاخرة مبدا عماهم ومنشاه فلذلك
عداه بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي جعلهم كالبهايم لا يتدبرون ولا يتبصرون العامل في اذا ما دل عليه اينا لمخرجون وهو نخرج
لان بين يدي عمل اسم الفاعل فيه الذي وهي همزة الاستفهام وان ولام الابتداء وواحدة منها كافية فكيف اذا اجتمعن والمراد الاخراج من الارض
او من حال الفناء الى الحيوة وتكرير حرف الاستفهام بادخاله على اذا وان جميعا انكار على انكار وجحود عقيب جحود ودليل على كفر موكد مبالغ فيه
والضمير في انا لهم ولابايهم لان كونهم ترابا قد تناولهم واباءهم فان قلت قدم في هذه الاية هذا على نحن واباونا وفي اية اخرى قدم نحن واباونا
على هذا قلت التقديم دليل على ان المقدم هو الغرض المتعمد بالذكر وان الكلام انما سيق لاجله ففي احدى الايتين دل على اتخاذ البعث هو الذي تعمد به
بالكلام وفي الاخرى على اتخاذ المبعوث بذلك الصدد لم تلحق علامة التانيث بفعل العاقبة لان تانيثها غير حقيقي ولان المعنى كيف كان اخر امرهم [illegible]
واراد بالمجرمين الكافرين وانما عبر عن الكفر بلفظ الاجرام ليكون لطفا للمسلمين في ترك الجرايم وتخوف عاقبتها الا ترى الى قوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم

وقوله مما خطيئاتهم اغرقوا ولا تحزن عليهم لانهم لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا وهم قومه قريش كقوله لعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يومنوا بهذا الحديث
اسفا في ضيق في حرج صدر من مكرهم وكيدهم لك ولا تبال بذلك فان الله يعصمك من الناس يقال ضاق الشيء ضيقا بالفتح والكسر وقد قرئ بهما والضيق ايضا
تخفيف الضيق قال الله تعالى ضيقا حرجا قرئ مخففا ومثقلا ويجوز ان يراد في امر ضيق من مكرهم استعجلوا العذاب الموعود فقيل لهم عسى ان يكون ردفكم
بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت اللام للتاكيد كالباء في قوله ولا تلقوا بايديكم او ضمن معنى فعل يتعدي باللام نحو دنا لكم وازف لكم ومعناه
تبعكم ولحقكم وقد عدي بمن قال فلما ردفنا من عمير وصحبه تولوا سراعا والمنية تعتنق يعني دنونا من عمير وقرا الاعرج ردف لكم بوزن ذهب وهما لغتان
والكسر افصح وعسى ولعل وسوف في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الامر وجده وما لا مجال للشك بعده وانما يعنون بذلك اظهار وقارهم وانهم
لا يعجلون بالانتقام لادلالهم بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم بان عدوهم لا يفوتهم وان الرمزة الى الاغراض كافية من جهتهم فعلى ذلك جرى وعد الله
ووعيده الفضل والفاضلة الافضال وبفلان فواضل في قومه وفضول ومعناه انه مفضل عليهم بتاخير العقوبة وانه لا يعاجلهم واكثرهم لا يعرفون
حق النعمة فيه ولا يشكرونه ولكنهم بجهلهم يستعجلون وقوع العقاب وهم قريش قرئ تكن يقال كننت الشيء واكننته اذا سترته واخفيته يعني انه يعلم ما
يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله ومكايدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستوجبونه سمى الشيء الذي يغيب ويخفى غائبة وخافية فكانت التاء
فيهما بمنزلتها في العاقبة والعافية ونظائرها النطيحة والرمية والذبيحة في انها اسماء غير صفات ويجوز ان يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة
كالراوية في قولهم ويل الشاعر من رواية السوء كانه قال وما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء الا وقد علمه الله واحاط به واثبته في اللوح المبين
الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة قد اختلفوا في المسيح فتحزبوا فيه احزابا ووقع بينهم التناكر في اشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل القران
ببيان ما اختلفوا فيه لو انصفوا واخذوا به واسلموا يريد اليهود والنصارى للمومنين لمن انصف منهم وامن اي من بني اسرائيل او منهم ومن غيرهم
بينهم من امن بالقران ومن كفر به فان قلت ما معنى يقضي بحكمه ولا يقال زيد يضرب بضربه ويمنع بمنعه قلت معناه بما يحكم به وهو عدله لانه لا يقضي
الا بالعدل فسمي المحكوم حكما واراد بحكمته ويدل عليه قراءة من قرا بحكمه جمع حكمة وهو العزيز فلا يرد قضاؤه العليم لمن يقضي له ومن يقضي عليه او العزيز
في انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين المحقين امره بالتوكل على الله وقلة المبالاة باعداء الدين وعلل التوكل بانه على الحق الابلج
الذي لا يتعلق به الشك والظن وفيه بيان ان صاحب الحق حقيق بالوثوق بصنع الله وبنصرته وان مثله لا يخذل فان قلت انك لا تسمع الموتى يشبه ان
يكون تعليلا اخر للتوكل فما وجه ذلك قلت وجهه ان الامر بالتوكل جعل مسببا عما كان يغيظ رسول الله من جهة المشركين واهل الكتاب من ترك اتباعه
وتشييع ذلك بالعداوة والاذى فلازم ذلك ان يعلل توكل متوكل مثله بان اتباعهم امر قد يئس منه فلم يبق الا الاستنصار عليهم لعداوتهم و
واستكفاء شرورهم واذاهم وشبهوا بالموتى وهم احياء صحاح الحواس لانهم اذا سمعوا ما يتلى عليهم من ايات الله فكانوا اقماع القول لا تعيه اذانهم و
كان سماعهم كلا سماع كانت حالهم لانتفاء جدوى السماع كحال الموتى الذين فقدوا مصحح السماع وكذلك تشبيههم بالصم الذين ينعق بهم فهم لا يسمعون وشبهوا
بالعمي حيث يضلون الطريق ولا يقدر احد ان ينزع ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصراء الا الله عز وجل فان قلت ما معنى قوله اذا ولوا مدبرين قلت هو تاكيد
لحال الاصم لانه اذا تباعد عن الداعي بان يولي عنه مدبرا كان ابعد عن ادراك صوته وقرئ ولا يسمع الصم الدعاء وما انت بهادي العمي على الاصل وتهدي
العمي وعن ابن مسعود وما ان تهدي العمي وهداه عن الضلال كقولك سقاه الله عن العيمة اي ابعده عنها بالسقي وابعده عن الضلال بالهدى ان تسمع اي
ما يجدي اسماعك الا على الذين علم الله انهم يومنون باياته اي يصدقون بها فهم مسلمون اي مخلصون من قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله يعني جعله
سالما لله خالصا له سمي معنى القول ومؤداه بالقول وهو ما وعدوا من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله والمراد مشارفة الساعة وظهور
اشراطها وحين لا تنفع التوبة ودابة الارض الجساسة جاء في الحديث ان طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وروي لها اربع
قوائم وزغب وريش وجناحان وعن ابن جريج في وصفها راس ثور وعين خنزير واذن فيل وقرن ايل وعنق نعامة وصدر اسد ولون نمر وخاصرة

هرة وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع ادم عليه السلام وروي لا تخرج الا راسها وراسها يبلغ اعنان السماء
ويبلغ السحاب وعن ابي هريرة فيها من كل لون ما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسين لا يتم خروجها الا بعد ثلثة ايام وعن علي رضي الله عنه انها تخرج ثلثة
ايام والناس ينظرون فلا تخرج الا ثلثها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سيل من اين تخرج الدابة فقال من اعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام
وروي انها تخرج ثلث خرجات تخرج باقصى اليمن ثم تتمكن ثم تخرج بالبادية ثم تتمكن دهرا طويلا فبينا الناس في اعظم المساجد حرمة واكرمها على الله فما
يهولهم الا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وقيل يخرج من الصفا فتكلمهم
بالعربية بلسان ذلق فيقول ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون يعني ان الناس كانوا لا يوقنون بخروجي لان خروجها من الايات وتقول الا لعنة الله
على الظالمين وعن السدي تكلمهم ببطلان الاديان كلها سوي دين الاسلام وعن ابن عمر تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل المشرق ثم الشام
ثم اليمن فيفعل مثل ذلك وروي تخرج من اجياد وروي بينا عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل
وتنشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتضرب المومن في مسجده او فيما بين عينيه بعصا موسى فتنكت
نكتة بيضاء فيفشو تلك النكتة في وجهه حتى يضيء لها وجهه او فتترك وجهه كانها كوكب دري وتكتب بين عينيه كافر وروي فتجلو وجه المومن بالعصا و

من وتنكت الكافر بالخاتم في
فه فتفشو النكتة حتى يسود
ها وجهه وتكتب بين عينيه صح

تخطم انف الكافر بالخاتم تقول لهم يا فلان انت من اهل الجنة ويا فلان انت من اهل النار وقري تكلمهم من الكلم وهو الجرح والمراد به الوسم بالعصا
والخاتم ويجوز ان يكون تكلمهم من الكلم ايضا على معنى التكثير يقال فلان مكلّم اي مجرح ويجوز ان يستدل بالتخفيف على ان المراد بالتكليم التجريح كما
فسر لنحرقنه بقراءة علي رضي الله عنه لنحرقنه وان يستدل بقراءة ابي تنبيهم وبقراءة ابن مسعود تكلمهم بان الناس على انه من الكلام والقراءة بان مكسورة
حكاية لقول الدابة اما لان الكلام بمعنى القول وباضمار القول اي تقول الدابة ذلك او هي حكاية لقول الله عز وجل عند ذلك فان قلت اذا كانت
حكاية لقول الدابة فكيف يقول باياتنا قلت قولها حكاية لقول الله عز وجل او على معنى بايات ربنا او لاختصاصها بالله واثرتها عنده وانها من
خواص خلقه اضافت ايات الله الى نفسها كما يقول بعض خاصة الملك خيلنا وبلادنا وانما هي خيل مولاه وبلاده ومن قرا بالفتح فعلى حذف الجار
اي تكلمهم بان فهم يوزعون يحبس اولهم على اخرهم حتى يجتمعوا فيكبكبوا في النار وهذه عبارة عن كثرة العدد وتباعد اطرافه كما وصفت جنود سليمان
بذلك وكذلك قوله فوجا فان الفوج الجماعة الكثيرة ومنه قوله تعالى يدخلون في دين الله افواجا وعن ابن عباس ابو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة
يساقون بين يدي اهل مكة وكذلك يحشر قادة سائر الامم بين ايديهم الى النار فان قلت اي فرق بين من الاولى والثانية قلت الاولى للتبعيض و
الثانية للتبيين كقوله من الاوثان الواو للحال كانه قال اكذبتم بها بادي الراي من غير فكر ولا نظر يودي الى احاطة العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق
او بالتكذيب او للعطف اي اجحدتموها ومع جحودكم لم تلقوا اذهانكم لتحققها وتبصرها فان المكتوب اليه قد يجحد ان يكون الكتاب من عند من كتبه
ولا يدع مع ذلك ان يقراه ويتفهم مضامينه ويحيط بمعانيه ام ماذا كنتم تعملون بها للتبكيت لا غير وذلك انهم لم يعملوا الا التكذيب فلا يقدرون
ان يكذبوا ويقولوا قد صدقنا بها وليس الا التصديق بها او التكذيب ومثاله ان يقول لراعيك وقد عرفته رويعي سوء اتاكل نعمي ام ماذا تعمل بها
فتجعل ما تبتدي به وتجعله اصل كلامك واساسه هو الذي صح عندك من اكله وفساده وترمي بقولك ام ماذا تعمل بها مع علمك انه لا يعمل
بها الا الاكل لتبهته وتعلمه علمك بانه لا يجيء منه الا اكلها وانه لا يقدر ان يدعي الحفظ والاصلاح لما شهر من خلاف ذلك او اراد اما كان لكم عمل في الدنيا
الا الكفر والكذب بايات الله ام ماذا كنتم تعملون من غير ذلك يعني انه لم يكن لهم عمل غيره كانهم لم يخلقوا الا للكفر والمعصية وانما خلقوا للايمان والطاعة
يخاطبون بهذا قبل كبهم في النار ثم يكبون فيها وذلك قوله ووقع القول عليهم بما ظلموا يريد ان العذاب الموعود يغشاهم بسبب ظلمهم وهو التكذيب
بايات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله هذا يوم لا ينطقون جعل الابصار للنهار وهو لاهله فان قلت ما للتقابل لم يراع في قوله ليسكنوا
ومبصرا حيث كان احدهما علة والاخر حالا قلت هو مراعى من حيث المعنى وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف لان معنى مبصرا ليبصروا فيه طرق التقلب في المكاسب

فان قلت لم قيل ففزع دون فيفزع قلت لنكتة وهو الاشعار بتحقق الفزع وثبوته وانه كاين لا محالة واقع على اهل السموات والارض لان
الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به والمراد فزعهم عند النفخة الاولى حين يصعقون الا من شا الله الا من ثبت الله قلبه من الملئكة
قالوا هم جبرئيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وقيل الشهدا وعن الضحاك الحور وخزنة النار وحملة العرش وعن جابر منهم موسى لانه صعق مرة
ومثله قوله تعالى ونفخ فى الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شا الله وقرى اتوه واتاه ودخرين فالجمع على المعنى والتوحيد على
اللفظ والداخر والدخر الصاغر وقيل معنى الاتيان حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية ويجوز ان يراد رجوعهم الى امره وانقيادهم له جامدة
من جمد في مكانه اذا لم يبرح تجمع الجبال فتسير كما تسير الريح السحاب فاذا نظر اليها الناظر حسبها واقفة ثابتة فى مكان واحد وهى تمر مرا حثيثا
كما يمر السحاب وهكذا الاجرام العظام المتكاثرة العدد اذا تحركت لا تكاد تتبين حركتها كما قال النابغة في صفة جيش باوعن مثل الطود تحسب
انهم وقوف لحاج والركاب تهملج صنع الله من المصادر الموكدة كقوله وعد الله وصبغة الله الا ان موكدة محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ
والمعنى ويوم ينفخ فى الصور فكان كيت وكيت اثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين ثم قال صنع الله يريد به الاثابة والمعاقبة وجعل هذا الصنع من
جملة الاشيا التي اتقنها واتى بها على الحكمة والصواب حيث قال صنع الله الذي اتقن كل شي يعني ان مقابلته الحسنة بالثواب السيئة بالعقاب من
جملة احكامه للاشيا واتقانه لها واجرايه لها على قضايا الحكمة انه عالم بما يفعل العباد وبما يستوجبون عليه فيكافيهم على حسب ذلك ثم لخص ذلك
بقوله من جا بالحسنة الى اخر الايتين فانظر الى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانة اضماره ورصانة تفسيره واخذ بعضه بحجز بعض
كانما افرغ افراغا واحدا ولامر ما اعجز القوى واخرس الشقاشق ونحو هذا المصدر اذا جا عقيب كلام جا كالشاهد بصحته والمنادي على سداده
وانه ما كان ينبغي ان يكون الا كما قد كان الا ترى الى قوله صنع الله وصبغة الله ووعد الله وفطرة الله بعدما وسمها باضافتها اليه بسمة التعظيم كيف تلاها
بقوله الذي اتقن كل شي ومن احسن من الله صبغة ان الله لا يخلف الميعاد لا تبديل لخلق الله وقرى تفعلون على الخطاب فله خير منها يريد الاضعاف
وان العمل ينقضي والثواب يدوم وشتان ما بين فعل العبد وفعل السيد وقيل فله خير منها اي له خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس الحسنة
كلمة الشهادة وقرى يوميذ مفتوحا مع الاضافة لانه اضيف الى غير متمكن ومنصوبا مع تنوين فزع فان قلت ما الفرق بين الفزعين قلت
الفزع الاول هو ما لا يخلو منه احد عند احساس بشدة تقع وهول يفجا من رعب وهيبة وان كان المحسن يامن لحاق الضرر به كما يدخل الرجل على
الملك بصدر هياب وقلب وجاب وان كانت ساعة اعزاز وتكرمة واحسان وتولية واما الثاني فالخوف من العذاب فان قلت فمن قرا من فزع
بالتنوين ما معناه قلت يحتمل معنيين من فزع واحد وهو خوف العقاب واما ما يلحق الانسان من التهيب والرعب لما يرى من الاهوال والعظايم
فلا يخلون منه لان البشرية تقتضي ذلك وفى الاخبار والاثار ما يدل عليه ومن فزع شديد مفرط الشدة لا يكتنهه الوصف وهو خوف النار امن يعدى
بالجار وبنفسه كقوله تعالى افامنوا مكر الله وقيل السيئة الاشراك يعبر عن الجملة بالوجه والراس والرقبة وكانه قيل فكبوا فى النار كقوله فكبكبوا فيها
ويجوز ان يكون ذكر الوجوه ايذانا بانهم يكبون على وجوههم فيها منكوسين هل تجزون يجوز فيه الالتفات وحكاية ما يقال لهم عند الكب باضمار القول امر
رسوله بان يقول امرت بان اخص الله وحده بالعبادة الثابتة ولا اتخذ له شريكا كما فعلت قريش وان اكون من الحنفا الثابتين على ملة الاسلام وان
اتلو القران من التلاوة او من التلو كقوله واتبع ما يوحى اليك والبلدة مكة حرمها الله اختصها من بين ساير البلاد باضافة اسمه اليها لانها احب
بلاده اليه واكرمها عليه واعظمها عنده وهكذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج فى مهاجره فلما بلغ الحزورة استقبلها بوجهه الكريم
فقال اني اعلم انك احب بلاد الله الى الله ولولا ان اهلك اخرجوني ما خرجت واشار اليها اشارة تعظيم لها وتقريب دالا على انها موطن نبيه ومهبط
وحيه ووصف ذاته بالتحريم الذي هو خاص وصفها فاجزل بذلك قسمها فى الشرف والعلو ووصفها بانها محرمة لا ينتهك حرمتها الا ظالم مضاد
لربه ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها واللاجي اليها امن وجعل دخول كل شي تحت

ربوبيته وملكوته كالتابع له لدخولهما تحتهما وفي ذلك اشارة الى ان ملكا ملك مثل هذه البلدة لعظيم الشان قد ملك وملك اليها كل شيء اللهم بارك لنا
في سكناها وامنا فيها شر كل ذي شر ولا تنقلنا من جوار بيتك الا الى دار رحمتك وقربي التي حرمها واتل عليهم هذا القران عن ابي وان اتل عن ابن مسعود
فمن اهتدى باتباعه اياي فيما انا بصدده من توحيد الله ونفي الانداد عنه والدخول في الملة الحنيفية واتباع ما انزل علي من الوحي فمنفعة
اهتدائه راجعة اليه لا الي ومن ضل ولم يتبعني فلا علي وما انا الا رسول منذر وما على الرسول الا البلاغ ثم امره ان يحمد الله على ما خوله من نعمة
النبوة التي لا توازنها نعمة وان يهدد اعداءه بما سيريهم الله من اياته التي تلجئهم الى المعرفة والاقرار بانها ايات الله وذلك حين لا تنفعهم المعرفة
يعني في الاخرة عن الحسن وعن الكلبي الدخان وانشقاق القمر وما حل بهم من نقمات الله في الدنيا وقيل هو كقوله سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم
الاية وكل عمل يعملونه فالله عالم به غير غافل لان الغفلة والسهو لا يجوزان على عالم الذات وهو من وراء جزاء العاملين قرئ تعملون بالياء
والتاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ طس سليمان كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود وشعيب وصالح وابراهيم
ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله سورة القصص مكية وهي ثمان وثمانون اية بسم الله الرحمن الرحيم من نبأ موسى وفرعون مفعول
نتلو اي نتلو عليك بعض خبرهما بالحق محقين كقوله تنبت بالدهن لقوم يؤمنون لمن سبق في علمنا انه يؤمن لان التلاوة انما ينتفع بها هؤلاء دون غيرهم
ان فرعون جملة مستانفة كالتفسير للمجمل كان قائلا قال وكيف كان نبؤهما فقال ان فرعون علا في الارض يعني ارض مملكته قد طغى فيها وجاوز الحد في
الظلم والعسف شيعا فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك احد منهم ان يلوي عنقه قال الاعشى وبلدة يرهب الجواب دلجتها حتى تراه عليها يبتغي
الشيعا او يشيع بعضهم بعضا في طاعته او اصنافا في استخدامه يستخدم صنفا في بناء وصنفا في حرث وصنفا في حفر ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية او
فرقا مختلفة قد اغرى بينهم العداوة وهم بنو اسرائيل والقبط والطائفة المستضعفة بنو اسرائيل وسبب ذبح الابناء ان كاهنا قال له يولد مولود
في بني اسرائيل يذهب ملكك على يده وفيه دليل بين على ثخانة حمق فرعون فانه ان صدق الكاهن لم يدفع القتل الكائن وان كذب فما وجه القتل ويستضعف
حال من الضمير في وجعل او صفة لشيعا او كلام مستانف ويذبح بدل من يستضعف وقوله انه كان من المفسدين بيان ان القتل ما كان الا فعل المفسدين
فحسب لانه فعل لا طائل تحته صدق الكاهن او كذب فان قلت علام عطف قوله ونريد ان نمن وعطفه على نتلو ويستضعف غير سديد قلت هي جملة
معطوفة على قوله ان فرعون علا في الارض لانها نظيرة تلك في وقوعها تفسيرا لنبأ موسى وفرعون واقتصاصا له ونريد حكاية حال ماضية ويجوز
ان يكون حالا من يستضعف اي يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم فان قلت كيف يجتمع استضعافهم وارادة الله المنة عليهم واذا اراد الله
شيئا كان ولم يتوقف الى وقت اخر قلت لما كانت منة الله بخلاصهم من فرعون قريبة الوقوع جعلت ارادة وقوعها كانها مقارنة لاستضعافهم ائمة
مقدمين في الدين والدنيا يطأ الناس اعقابهم وعن ابن عباس قادة يقتدى بهم في الخير وعن مجاهد دعاة الى الخير وعن قتادة ولاة كقوله وجعلكم
ملوكا الوارثين يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم مكن له اذا جعل له مكانا يقعد عليه او يرقد فوطأه ومهده ونظيره ارض له ومعنى التمكين
لهم في الارض وهي ارض مصر والشام ان يجعلها بحيث لا تنبو بهم ولا تغث عليهم كما كانت في ايام الجبابرة وينفذ امرهم ويطلق ايديهم ويسلطهم ونري
ويرى فرعون وهامان وجنودهما اي يرون منهم ما حذروه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم اليم البحر وقيل هو نيل مصر فان قلت ما المراد
بالخوفين حتى اوجب احدهما ونهى عن الاخر قلت اما الاول فالخوف عليه من القتل لانه كان اذا صاح خاف ان يسمع الجيران صوته فينموا عليه واما الثاني
فالخوف من الغرق ومن الضياع ومن الوقوع في يد بعض العيون المبثوثة من قبله في تطلب الولدان وغير ذلك من المخاوف فان قلت ما الفرق بين
الخوف والحزن قلت الخوف غم يلحق الانسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والاخطار به فنهيت عنهما جميعا واومنت بالوحي اليها
ووعدت ما يسليها ويطامن قلبها ويملأها غبطة وسرورا وهو رده اليها وجعله من المرسلين وروي انه ذبح في طلب موسى تسعون الف وليد وروي
انها حين اقربت وضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى بني اسرائيل مصافية لها فقالت لها لينفعني حبك اليوم فعالجتها فلما وقع الى الارض

ها الها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه قلبها ثم قالت ما جئتك الا لاقتل مولودك واخبر فرعون ولكني وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله
فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته في خرقة ووضعته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيا فخرجوا وهي
لا تدري مكانه فسمعت بكاه من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فلما الح فرعون في طلب الولدان اوحي الله اليها
فالقيه في اليم وقد روي انها ارضعته ثلثة اشهر في تابوت من بردي مطلي بالقار من داخله اللام في ليكون هي لام كي التي معناها التعليل كقولك
جئتك لتكرمني سواء بسواء ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة لانه لم يكن داعيهم الى الالتقاط ان يكون لهم عدوا وحزنا
ولكن المحبة والتبني غير ان ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لاجله وهو الاكرام الذي هو نتيجة المجي والتادب
الذي هو ثمرة الضرب في قولك ضربته ليتادب وتحريره ان هذه اللام حكمها حكم الاسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار الاسد لمن يشبه الاسد
وقري حزنا وهما لغتان كالعدم والعدم كانوا خاطئين في كل شي فليس خطاؤهم في تربية عدوهم ببدع منهم او كانوا مذنبين مجرمين فعاقبهم الله
بان ربي عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على يديه وقري خاطين بتخفيف خاطئين او خاطين الصواب الى الخطاء روي انهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه
فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فاعياهم فدنت آسية فرات في جوف التابوت نورا فعالجته ففتحته فاذا بصبي نوره بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا
فاحبوه وكانت لفرعون بنت برصاء وقالت له الاطباء لا تبرا الا من قبل البحر يوجد فيه شبه انسان دواوها ريقه فلطخت البرصاء برصها بريقه
فبرات وقيل لما نظرت الى وجهه برات فقالت ان هذه لنسمة مباركة فهذا احد ما عطفهم عليه فقال الغواة من قومه هو الصبي الذي يحذر منه
فاذن لنا في قتله فهم بذلك فقالت اسية قرة عين لي ولك فقال فرعون لك لا لي وروي في حديث لو قال هو قرة عين لي كما هو لك لهداه الله
كما هداها وهذا على سبيل الفرض والتقدير اي لو كان غير مطبوع على قلبه كاسية لقال مثل قولها ولاسلم كما اسلمت هذا ان صح الحديث تاويله
والله اعلم بصحته وروي انها قالت له لعله من قوم اخرين ليس من بني اسرائيل قرة عين خبر مبتدا محذوف ولا يقوى ان تجعله مبتدا ولا تقتلوه خبرا
ولو نصب لكان اقوى وقراة ابن مسعود دليل على انه خبر قوله لا تقتلوه قرة عين لي ولك بتقديم لا تقتلوه عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن و
دلايل النفع لاهله وذلك لما عاينت من النور وارتضاع الابهام وبرء البرصاء ولعلها توسمت في سيمايه النجابة المودنة لكونه نفاعا او
نتبناه فانه اهل للتبني ولان يكون ولدا لبعض الملوك فان قلت وهم لا يشعرون حال ممن قلت ذو حالها ال فرعون وتقدير
الكلام فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امراة فرعون كذا وهم لا يشعرون انهم على خطاء عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه
وتبنيه وقوله ان فرعون الاية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه موكدة لمعنى خطائهم وما احسن نظم هذا الكلام عند المرتاض
بعلم محاسن النظم فارغا صفرا من العقل والمعنى انها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها لما دهمها من فرط الجزع والدهش ونحوه قوله
تعالى وافيدتهم هواء اي جوف لا عقول فيها ومنه بيت حسان الا ابلغ اباسفيان عني فانت مجوف نخب هواء وذلك ان القلوب مراكز العقول
الا تري الى قوله فيكون لهم قلوب يعقلون بها ويدل عليه قراة من قرا فزعا وقري قرعا اي خاليا من قولهم اعوذ بالله من صفر الاناء وقرع الفناء و
فرغا من قولهم دماوهم بينهم فرغ اي هدر يعني بطل قلبها وذهب وبقيت لا قلب لها من شدة ما ورد عليها ان كادت لتبدي به لتصحر به والضمير لموسى والمراد
بامره وقصته وانه ولدها لولا ان ربطنا على قلبها بالهام الصبر كما يربط على الشي المنفلت ليقر ويطمين لتكون من المومنين من المصدقين بوعد
الله وهو قوله انا رادوه اليك ويجوز واصبح فوادها فارغا من الهم حين سمعت ان فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت لتبدي انه ولدها
لانها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت لولا انا طامنا قلبها وسكنا قلقه الذي حدث به من شدة الفرح والابتهاج لتكون من المومنين
الواثقين بوعد الله لا بتبني فرعون وتعطفه وقري موسى بالهمز جعلت الضمة في جارة الواو وهي الميم كانها فيها فهمزت كما تهمز واو ووجوه قصيه اتبعي
اثره وتتبعي خبره وقري فبصرت بالكسر يقال بصرت به عن جنب وعن جنابة بمعنى عن بعد وقري عن جانب وعن جنب والجنب الجانب يقال قعد الى جنبه والى جانبه

اي نظرت اليه من ورة متجانفة مخاتلة وهم لا يحسون بانها اخته وكان اسمها مريم التحريم استعارة للمنع لان من حرم عليه الشي فقد منعه الا تري الي
قولهم محظور وحجر وذلك لان الله منعه ان يرضع ثديا فكان لا يقبل ثدي مرضع قط حتي اهمهم والمراضع جمع مرضع وهي المراة التي ترضع او جمع
مرضع وهو موضع الرضاع يعني الثدي والرضاع من قبل قصصها اثره روي انها لما قالت وهم له ناصحون قال هامان انها لتعرفه وتعرف اهله
فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون والنصح اخلاص العمل من شايب الفساد فانطلقت الي امها بامرهم فجات بها والصبي علي يد فرعون يعلله
شفقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استانس والتقم ثديها فقال فرعون ومن انت منه فقد ابي كل ثدي الا ثديك قالت اني امراة
طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتي بصبي الا قبلني فدفعه اليها واجري عليها وذهبت به الي بيتها وانجز الله وعده في الرد فعندها ثبت و
استقر في علمها ان سيكون نبيا وذلك قوله ولتعلم ان وعد الله حق يريد وليثبت علمها ويتمكن فان قلت كيف حل لها ان تاخذ الاجر علي
ارضاع ولدها قلت ماكانت تاخذه علي انه اجر علي الرضاع ولكنه مال حربي كانت تاخذه علي وجه الاستباحة ولكن اكثرهم لا يعلمون داخل
تحت علمها المعني لتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون انه حق فيرتابون ويشبه هذا التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسي فجزعت
واصبح فوادها فارغا يروي انها حين القت التابوت في اليم جاءها الشيطان فقال لها يا ام موسي كرهت ان تقتل فرعون موسي فتوجري ثم ذهبت
فتوليت قتله فلما اتاها الخبر بان فرعون اصابه قالت وقع في يد العدو فنسيت وعد الله ويجوز ان يتعلق ولكن بقوله ولتعلم ومعناه ان الرد انما
كان لهذا الغرض الديني وهو علمها بصدق وعد الله ولكن الاكثر لا يعلمون بان هذا هو الغرض الاصلي الذي ماسواه تبع له من قرة العين وذهاب
الحزن واستوي واعتدل وتم استحكامه وبلغ المبلغ الذي لا يزاد عليه كما قال لقيط واستحملوا امركم لله دركم شزر المريرة لا قحما ولا ضرعا وذلك
اربعون سنة ويروي انه لم يبعث نبي الا علي راس اربعين سنة العلم التورية والحكم السنة وحكمة الانبياء سنتهم قال الله تعالي واذكرن مايتلي في
بيوتكن من ايات الله والحكمة وقيل معناه اتيناه سيرة الحكماء العلماء وسمتهم قبل البعث فكان لا يفعل فعلا يستجهل فيه المدينة مصر وقيل مدينة منف
من ارض مصر وحين غفلتهم مابين العشائين وقيل وقت القايلة وقيل يوم عيد لهم هم مشتغلون فيه بلهوهم وقيل لما شب وعقل اخذ يتكلم
بالحق وينكر عليهم فاخافوه فلا يدخل قرية الا علي تغفل وقرا سيبويه فاستغاثه من شيعته ممن شايعه علي دينه من بني اسرايل وقيل هو السامري من
عدوه من مخالفيه من القبط وهو فاتون وكان يتسخر اسرايليا لحمل الحطب الي مطبخ فرعون والوكز الدفع باطراف الاصابع وقيل بجمع الكف و
قرا ابن مسعود فلكزه باللام فقضي عليه فقتله فان قلت لم جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه قلت لانه قتله قبل
ان يوذن له في القتل فكان ذنبا يستغفر منه وعن ابن جريج ليس لنبي ان يقتل مالم يومر بما انعمت علي يجوز ان يكون قسما جوابه محذوف تقديره اقسم
بانعامك علي بالمغفرة لاتوبن فلن اكون ظهيرا للمجرمين وان يكون استعطافا كانه قال رب اعصمني بحق ما انعمت علي من المغفرة فلن اكون ان عصمتني
ظهيرا للمجرمين واراد بمظاهرة المجرمين صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثيره سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمي ابن فرعون
واما مظاهرة من ادت مظاهرته الي الجرم والاثم كمظاهرة الاسرايلي المودية الي القتل الذي لم يحل له وعن ابن عباس لم يستثن فابتلي مرة اخري يعني
لم يقل فلن اكون ان شاء الله وهذا نحو قوله ولا تركنوا الي الذين ظلموا وعن عطا رحمه الله ان رجلا قال له ان اخي يضرب بقلمه ولا يعدو رزقه قال فمن الراس
يعني من يكتب له قال خالد بن عبد الله القسري قال فاين قول موسي وتلا هذه الاية وفي الحديث ينادي مناد يوم القيمة اين الظلمة واشباه الظلمة
واعوان الظلمة حتي من لاق لهم دواة اوبري لهم قلما فيجمعون في تابوت من حديد فيرمي به في جهنم وقيل معناه بما انعمت علي من القوة فلن استعملها
الا في مظاهرة اوليايك واهل طاعتك والايمان بك ولا ادع قبطيا يغلب احدا من بني اسرايل يترقب المكروه وهو الاستقادة منه او الاخبار وما
يقال فيه ووصف الاسرايلي بالغي لانه كان سبب قتل رجل وهو يقاتل اخر وقري يبطش بالضم والذي هو عدو لهما القبطي لانه ليس علي دينهما ولان
القبط كانوا اعداء بني اسرايل والجبار الذي يفعل مايريد من الضرب والقتل بظلم لا ينظر في العواقب ولا يدفع بالتي هي احسن وقيل المتعظم الذي

لايتوامنع لامرالله ولما قال هذا افشى على موسى فانتشر الحديث فى المدينة ورقي الى فرعون وهموا بقتله قيل الرجل هو من آل فرعون وكان ابن عم فرعون
ويسعى يجوز ارتفاعه وصفا للرجل وانتصابه حالا عنه لانه قد تخصص بان وصف بقوله من اقصى المدينة واذا جعل صلة لجاء لم يجز في يسعى الا الوصف و
الايتمار التشاور يقال الرجلان يتامران لان كل واحد منهما يامر صاحبه بشي او يشير عليه بامر والمعنى يتشاورون بسببك لك بيان وليس بصلة الناصحين
الناصحين يترقب التعرض له فى الطريق او ان يلحق تلقا، مدين قصدها ونحوها ومدين قرية شعيب عليه السلام سميت بمدين بن ابراهيم ولم يكن في سلطان
فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمان وكان موسى عليه السلام لا يعرف اليها الطريق قال ابن عباس خرج وليس له علم بالطريق الا حسن ظنه بربه
وسواء السبيل وسطه ومعظم نهجه وقيل خرج خايفا لا يعيش الا بورق الشجر فما وصل حتى سقط خف قدمه وقيل جاءه ملك على فرس بيده عنزة فانطلق
به الى مدين ماء مدين ماءهم الذي يستقون منه وكان بيرا فيما روي ووروده مجيئه والوصول اليه وجد عليه وجد فوق شفيره ومستقاه امة
جماعة كثيفة العدد من الناس من اناس مختلفين من دونهم في مكان اسفل من مكانهم والزود الطرد والدفع وانما كانتا تذودان لان على الماء
من هو اقوى منهما فلا يتمكنان من السقي وقيل كانتا تكرهان المزاحمة على الماء وقيل لئلا تختلط اغنامهما باغنامهم وقيل تزودان عن وجوههما
نظر الناظر لتسترهما ما خطبكما ما شانكما وحقيقته ما مخطوبكما اي مطلوبكما من الزياد فسمى المخطوب خطبا كما سمي المشئون شانا في قولك ما شانك
يقال شانت شانه اي قصدت قصده وقري اي قصدت قصده وقري لا نسقي ونصدر والرعا بضم النون والياء والرعاء اسم جمع كالرخال والثنا، واما
الرعاء بالكسر فقياس كصيام وقيام كبير كبير السن فسقى لهما فسقى غنمهما لاجلهما وروي ان الرعاة كانوا يضعون على راس البير حجرا لا يقلبه الا
سبعة رجال وقيل عشرة وقيل اربعون وقيل مائة فاقله وحده وروي انه سالهم دلوا من ماء فاعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكانت
لا ينزعها الا اربعون فاستقى بها وصبها فى الحوض ودعا بالبركة وروي غنمهما واصدرهما وروي انه دفعهم على الماء حتى سقى لهما وقيل كانت
بير اخرى عليها الصخرة وانما فعل هذا رغبة فى المعروف واغاثة للملهوف والمعنى انه وصل الى ذلك الماء وقد ازدحمت عليه امة من اناس مختلفة
متكاثفة العدد وراى الضعيفتين من ورائهم مع غنيمتهما مترقبتين لفراغهم فما اخطات همته فى دين الله تلك الفرصة مع ما كان به من النصب وسقوط
خف القدم والجوع ولكنه رحمهما فاغاثهما وكفاهما امر السقي فى مثل تلك الزحمة بقوة قلبه وقوة ساعده وما اتاه الله من الفضل فى مطالته ومتانة الفطرة
ورصانة الجبلة وفيه مع اراده اقتصاص امره وما اوتي من البطش والقوة وما لم يغفل عنه ما كان به من انتهاز فرصة الاحتساب ترغيب في الخير و
انتهاز فرصة وبعث على الاقتداء فى ذلك بالصالحين والاخذ بسيرهم ومذاهبهم فان قلت لم ترك المفعول غير مذكور في قوله يسقون تزودان لا نسقي
قلت لان الغرض هو الفعل لا المفعول الا ترى انه انما رحمهما لانهما كانتا على الزياد وهم على السقي ولم يرحمهما لان مزودهما غنم ومسقيهم ابل
مثلا وكذلك قولهما لا نسقي حتى يصدر الرعاء المقصود فيه السقي لا المسقي فان قلت كيف طابق جوابهما سواله قلت سالهما عن سبب الزود فقالتا
السبب في ذلك انا امراتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم فلا بد لنا من تاخير السقي الى ان يفرغوا وما لنا رجل يقوم
بذلك وابونا شيخ كبير قد اضعفه الكبر فلا يصلح للقيام ابلتا اليه عذرهما فى توليهما السقي بانفسهما فان قلت كيف ساغ لنبي الله الذي هو شعيب
عليه السلام ان يرضى لابنتيه بسقي الماشية قلت الامر في نفسه ليس بمحظور فالدين لا ياباه واما المروة فالناس مختلفون في ذلك والعادات متباينة
فيه واحوال العرب فيه خلاف احوال العجم ومذهب اهل البدو فيه غير مذهب اهل الحضر خصوصا اذا كانت الحالة حالة ضرورة انى لما اي شي انزلت الى قليل او
كثير غث او سمين لفقير وانما عدي فقير باللام لانه ضمن معنى سايل وطالب قيل ذكر ذلك وان خضرة البقل تتراى في بطنه من الهزال ما سال الله الا
اكلة ويحتمل ان يريد انى فقير من الدنيا لاجل ما انزلت الى من خير الدين وهو النجاة من الظالمين لانه كان عند فرعون في ملك وثروة قال ذلك
رضى بالبدل السني وفرحا به وشكرا له وكان الظل ظل سمرة على استحياء وموضع الحال اي مستحيية متخفرة وقيل قد استترت بكم درعها روي انهما
لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس واغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحديهما اذهبي فادعيه

لى فتبعها موسى فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق فلما قص عليه قصته قال لا تخف فلا سلطان لفرعون
بارضنا فان قلت كيف ساغ لموسى عليه السلام ان يعمل بقول امراة وان يمشي معها وهي اجنبية قلت اما العمل بقول امراة فكما نعمل بقول الواحد حرا
كان او عبدا ذكرا كان او انثى في الاخبار وما كانت الا مخبرة عن ابيها فانه يدعوه ليجزيه واما مماشاته امراة اجنبية فلا باس بها في نظائر تلك الحال
مع ذلك الاحتياط والتورع فان قلت كيف صح له اخذ الاجر على البر والمعروف قلت يجوز ان يكون قد فعل ذلك لوجه الله وعلى سبيل البر والمعروف
وقبل اطعام شعيب واحسانه لا على سبيل اخذ الاجر ولكن على سبيل التقبل لمعروف مبتدا كيف وقد قص عليه قصصه وعرفه انه من بيت النبوة من اولاد
يعقوب ومثله حقيق بان يضيف ويكرم خصوصا في دار نبي من انبياء الله وليس بمنكر ان يفعل ذلك لاضطرار الفقر والفاقة طلبا للاجر وقد روي
ما يعضد كلا القولين روي انها لما قالت ليجزيك كره ذلك ولما قدم اليه الطعام امتنع وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الارض ذهبا ولا
ناخذ على المعروف ثمنا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل ضيف من ينزل بنا وعن عطاء بن السايب رفع صوته بدعائه ليسمعهما فلذلك قيل له ليجزيك
اجر ما سقيت اي جزاء سقيك والقصص مصدر كالعلل سمي به المقصوص كبراهما كانت تسمى صفراء والصغرى صفيرا وصفرا هي التي ذهبت به وطلبت الى
ابيها ان يستاجره وهي التي تزوجها وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان شعيبا احفظته الغيرة فقال وما علمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر ونزع
الدلو وانه صوب راسه حتى بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه وقولها ان خير من استاجرت القوي الامين كلام حكيم جامع لا يزاد عليه لانه اذا اجتمعت
هاتان الخصلتان اعني الكفاية والامانة في القايم بامرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقد استغنت بارسال هذا الكلام الذي سياقه سياق المثل و
الحكمة ان تقول استاجره لقوته وامانته فان قلت كيف جعل خير من استاجرت اسما لان والقوي الامين خبرا قلت هو مثل قوله الا ان خير الناس حيا
وهالكا اسير ثقيف عندهم في السلاسل في ان العناية هي سبب التقديم وقد صدقت حتى جعل لها ما هو احق بان يكون خبرا اسما وورود الفعل بلفظ
الماضي للدلالة على انه امر قد جرب وعرف ومنه قولهم اهون ما اعملت لسان ممخ وعن ابن مسعود رضي الله عنه افرس الناس ثلثة بنت شعيب وصاحب
يوسف في قوله عسى ان ينفعنا وابو بكر في عمر رضي الله عنهما روي انه انكحه صفراء وقوله هاتين فيه دليل على انه كان له غيرهما تاجرني من اجرته اذا كنت له اجيرا
كقولك ابوته اذا كنت له ابا وثماني حجج ظرف او من اجرته كذا اذا اثبته اياه ومنه تعزية رسول الله صلى الله عليه وسلم اجركم الله ورحمكم وثماني حجج مفعول
به ومعناه رعية ثماني حجج فان قلت كيف صح ان ينكحه احدى ابنتيه من غير تمييز قلت لم يكن ذلك عقد النكاح ولكن مواعدة ومواصفة امر قد عزم عليه و
لو كان عقدا لقال انكحتك ولم يقل اني اريد ان انكحك فان قلت فكيف صح ان يمهرها اجارة نفسه في رعية الغنم ولا بد من تسليم ما هو مال الا ترى ان ابا
حنيفة رحمه الله كيف منع ان يتزوج امراة بان يخدمها سنة وجوز بان يتزوجها بان يخدمها عبده سنة او يسكنها داره سنة لانه في الاول مسلم نفسه
وليس بمال وفي الثاني هو مسلم مالا وهو العبد والدار قلت الامر على مذهب ابي حنيفة رحمه الله على ما ذكرت واما الشافعي فقد جوز التزوج على
الاجارة لبعض الاعمال والخدمة اذا كان المستاجر له او المخدوم فيه امرا معلوما ولعل ذلك كان جايزا في تلك الشريعة ويجوز ان يكون المهر شيا اخر
وانما اراد ان يكون راعي غنمه هذه المدة واراد ان ينكحه ابنته فذكر له المرادين وعلق الانكاح بالرعية على معنى اني افعل هذا اذا فعلت ذلك
على وجه المعاهدة لا على وجه المعاقدة ويجوز ان يستاجره لرعيته ثماني سنين بمبلغ معلوم ويوفيه اياه ثم ينكحه ابنته به ويجعل قوله على ان تاجرني
ثماني حجج عبارة عما جرى بينهما فان اتممت عمل عشر حجج فمن عندك فاتمامه من عندك والمعنى فهو من عندك يعني لا الزمكه ولا احتمه عليك ولكنك ان فعلته
فهو منك تفضل وتبرع والا فلا عليك وما اريد ان اشق عليك بالزام اتم الاجلين وايجابه فان قلت ما حقيقة قولهم شققت عليه وشق عليه الامر
قلت حقيقته ان الامر اذا تعاظمك فكانه شق عليك ظنك باثنين يقول تارة اطيقه وتارة لا اطيقه او وعده المساهلة والمسامحة من نفسه وانه
لا يشق عليه فيما استاجره له من رعي غنمه ولا يفعل نحو ما يفعل المعاسرون من المسترعين من المناقشة في مراعاة الاوقات والمداقة في استيفاء الاعمال
وتكليف الرعاة اشغالا خارجة من حد الشرط وهكذا كان الانبياء عليهم السلام اخذين بالاسمح في معاملات الناس ومنه الحديث كان رسول الله صلى

الله عليه وسلم شريكي فكان خير شريك لا يداري ولا يشاري ولا يماري وقوله ستجدني ان شاء الله من الصالحين يدل على ذلك يريد بالصلاح حسن المعاملة

والمراد باشتراط مشية الله فيما وعد من الصلاح الاتكال على توفيقه فيه ومعونته لا انه يستعمل الصلاح بان شاء الله وان شاء استعمل خلافه ذلك

مبتدا بيني وبينك خبره وهو اشارة الى ما عاهده عليه شعيب يريد ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قايم بيننا جميعا لا نخرج كلانا

عنه لا انا عما شرطت علي ولا انت عما شرطت على نفسك ثم قال اي اجل قضيت من الاجلين اطولهما الذي هو العشر او اقصرهما الذي هو الثماني فلا عدوان

علي اي لا يعتدي علي في طلب الزيادة عليه فان قلت تصور العدوان انما هو في احد الاجلين الذي هو الاقصر وهو المطالبة بتتمة العشر فما معنى تعليق

العدوان بهما جميعا قلت معناه كما اني ان طولبت بالزيادة على العشر كان عدوانا لا شك فيه فكذلك ان طولبت بالزيادة على الثماني اراد بذلك

تقرير امر الخيار وانه ثابت مستقر وان الاجلين على السوا اما هذا واما هذا غير تفاوت بينهما في القضا واما التتمة فموكولة الى رايي ان شيت اتيت

بها والا لم اجبر عليها وقيل معناه فلا اكون معتديا وهو في نفي العدوان عن نفسه كقولك لا اثم علي ولا تبعة علي وفي قراة ابن مسعود

اي الاجلين ما قضيت وقري ايما بسكون اليا كقوله تنظّرت نصرا والسماكين ايهما علي من الغيث استهلت مواطره وعن ابن قطيب عدوان بالكسر فان

قلت ما الفرق بين موقعي ما المزيدة في القراتين قلت وقعت في المستفيضة موكدة لابهام اي زايدة في شياعها وفي الشاذة تاكيد للقضا

كانه قال اي الاجلين صممت على قضايه وجردت عزيمتي له الوكيل الذي وكل اليه الامر ولما استعمل في موضع الشاهد والمهيمن والمقيت عدي بعلي

لذلك وروي ان شعيبا كانت عنده عصي الانبيا فقال لموسى بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصى من تلك العصي فاخذ عصى هبط بها ادم من الجنة

ولم يزل الانبيا يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال غيرها فما وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شانا وقيل

اخذها جبريل بعد موت ادم وكانت معه حتى لقي بها موسى ليلا وقيل اودعها شعيبا ملك في صورة رجل فامر بنته ان تاتيه بعصا فاتته بها فردها

سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها لا عنا وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا ان يحكم بينهما اول طالع فاتاهما الملك فقال

القياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى وعن الحسن ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبي الشجرة التي منها نودي

شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما اصبح قال له شعيب اذا بلغت مفرق الطريق فلا تاخذ على يمينك فان الكلا وان كان بها اكثر الا ان فيها تنينا

اخشاه عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها فمشى على اثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا بالتنين قد اقبل فحاربته

العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى دامية فلما ابصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب مس الغنم فوجدها ملاء البطون و

غزيرة اللبن واخبره موسى ففرح وعلم ان لموسى ولعصا شانا وقال له اني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل ادرع ودرعاء فاوحي اليه في المنام

ان اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما اخطات واحدة الا وضعت ادرع ودرعاء فوفى له بشرطه وسيل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاجلين

قضى موسى فقال ابعدهما وابطاهما وروي انه قال قضى اوفاهما وتزوج صغراهما وهذا خلاف الرواية التي سبقت الجذوة باللغات الثلاث وقري

بهن جميعا العود الغليظ كانت في راسه نار او لم يكن قال كثير باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذي غير خوّار ولا دعر وقال والقى على

قبس من النار جذوة شديدا عليه حرّها والتماعها من الاولى والثانية لابتدا الغاية اي اتاه النداء من شاطي الوادي من قبل الشجرة ومن الشجرة

بدل من قوله من شاطي الوادي بدل الاشتمال لان الشجرة كانت نابتة على الشاطي كقوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وقري البقعة بالضم و

الفتح والرهب بضمتين وبفتحتين وفتح وسكون وضم وسكون وهو الخوف فان قلت ما معنى قوله واضمم اليك جناحك من الرهب قلت فيه معنيان احدهما

ان موسى عليه السلام لما قلب الله العصا حية فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخايف من الشي فقيل له ان اتقاك بيدك فيه غضاضة عند

الاعدا فاذا القيتها فكما تنقلب حية فادخل يدك تحت عضدك مكان اتقايك بها ثم اخرجها بيضا ليحصل الامران اجتناب ما هو غضاضة عليك واظهار

معجزة اخرى والمراد بالجناح اليد لان يدي الانسان بمنزلة جناحي الطاير واذا ادخل يده اليمنى تحت عضد يده اليسرى فقد ضم جناحه اليه والثاني

ووطاة الخلق ولين الجانب
ويجوز ان يريد الصلاح على
العموم ويدخل تحته حسن المعاملة
صح